فتح الرحمن في تسهيل علم البديع والمعاني والبيان

د/ ابو الحسن علي بن محمد المطري

غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين

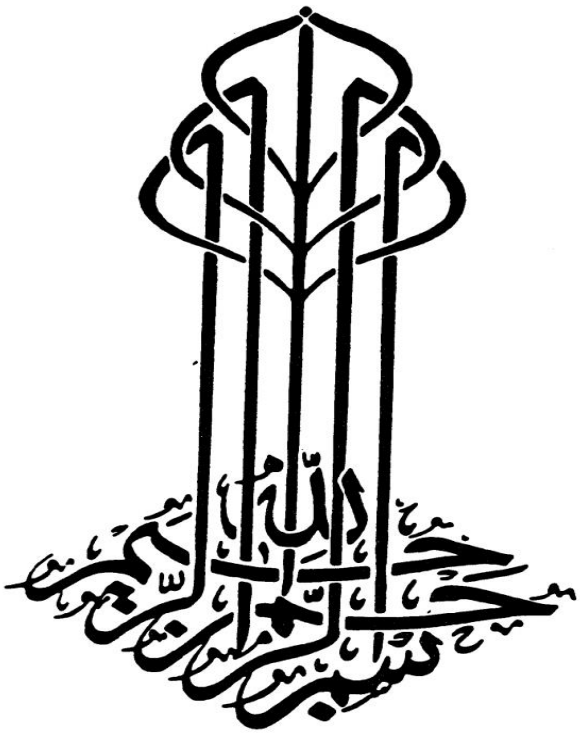

المقدمة

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

إن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد:

فإن للهِ عَظيمَ الامتِنانِ، وجَزيلَ الفَضْلِ والإحسانِ، اذ فضَّلَ الإنسانَ بتَعليمِ البَيانِ؛ فقال عزَّ مِن قائِلٍ: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرَّحمن: ١ - ٤]، وقد كان نبيتا محمد وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على أفْصحِ مَنْ نطَق بلِسانٍ،

وإنَّ مِنَ المُستَقِرِّ عندَ العُلَماءِ أنَّ الكلامَ والبيانَ فيه هو الَّذي يُعطي العُلومَ مَنازِلَها، ويُبَيِّنُ مَراتِبَها، ويَكشِفُ عن صُوَرِها، ويَجني صُنوفَ ثَمَرِها، ويدُلُّ على سَرائِرِها، ويُبْرِزُ مَكنونَ ضمائِرِها، ولولاه لم تكُنْ منافسةٌ بين الشعراءِ والفصحاءِ وقد جعلتها العربُ ميزانَ النَّجاحِ وعنوانَ الفوزِ، ولقد نزل القرآنُ الكريمُ بلسانٍ عربيٍ مبينٍ.

أعجز الفصحاء والبلغاء، وتحداهم تحدٍ مستمر ولا زال التحدي قائماً متجدداً ويتجدد.

جـــاءَ النَّبِيّونَ بِالآياتِ فَانصَرَمَتْ ***وَجِئتَنا بِحَكيمٍ غَيرِ مُنصَـــرِمِ
آياتُهُ كُلّما طـــالَ المَـــدى جُـــدُدٌ *** يَزينُهُنّ جَلالُ العِتقِ وَالقِـــدَمِ
يا أَفصَحَ الناطِقينَ الضادَ قاطِبَـــةً***حَديثُكَ الشَهدُ عِندَ الذائِقِ الفَهِمِ

لعلمِ البلاغةِ أهميةٌ بارزةٌ في اللغةِ العربيةِ، منها ما يأتي:

تُساعد البلاغة المُتكلم على تصيير الكلام وجعله مفهوماً واضح الدلالة، ومن هنا جاء نوعها الأول الذي هو "علم المعاني"، والذي يُعنى بتعليم المُتحدّث فنّ التعبير عن مُراده بألفاظٍ قليلةٍ للدلالة على معانٍ كثيرةٍ، سواء باستخدام المُحسنات اللفظية أو المُحسنات البديعية، والذي يُعنى بدراسته "فن البديع"

وضوح معنى الجملة لعلم البلاغة أهميّة سياقيّة بالغة الفائدة، حيث إنّنا نستطيع التعرّف على معنى الجملة عند وضعها في سياق كلامي ضمن تركيب مُعيّن بترتيب مُعيّن مدروس بالشكل الذي يُعين القارئ على فهم معنى الجملة بشكل واضح ودال على مُراد المُتكلّم، ومنعاً للالتباس الذي قد يُصيب القارئ إثر ذِكْر المُتحدّث كلمات غامضة المعنى مُنفردة الذِّكر.

على سبيل المثال كلمة: (الرجل) تكون ذات معنى غير مفهوم وواضح عند ذكرها مُنفردة، ولكن عند قولنا: (صَدَقَ الرجلُ) أو(كَذَبَ الرجلُ)؛ فهذان تركيبان أحدهما: يوضّح أنّ الرجلَ قد صدق -بأسلوب مدح-، والآخر: أن الرجلَ قد كَذَبَ -بأسلوب ذم-، وبهذين المثالين اتضح المعنى المُراد من كلمة الرجل بوضعها في سياقَين لغويين واضحَي الدلالة.

معرفة إعجاز القرآن الكريم يستطيع الدارس لعلم البلاغة فهم التراكيب اللغوية والمُحسنات البديعية الكلامية -اللفظية والمعنوية- المذكورة في القرآن الكريم، وبالتالي فهو يستطيع فهم المعاني الخفية، ولأنّ إعجاز القرآن مُرتبط بفصاحته كلّ الارتباط، فالغافل بعلم البلاغة والفصاحة غافل لا شك بإعجاز القرآن الكريم، وحُسْن تأليفه، وبراعة تراكيبه، وجمال إيجازه البديع، واختصاره اللطيف.

تعلم فن الحديث تُعلم البلاغة فنّ الحديث وتُعين المُتعلّم على فهم أساليب التحدّث السليمة الخالية من العيوب اللفظية والنطقية، وتعلمه فنّ التفريق بين صنوف الأساليب، وفنّ اختيار الكلمات والأساليب المُناسبة كالإيجاز، وصحة المُقابلات، وصحة التفسير وغيرها، بالإضافة إلى فنّ انتقاء أحسن الكلام وترك أردءه حسب مقامات الكلام، ومواطنه، وحال السامعين، ونزعتهم النفسية وقت الحديث

وعلم البلاغة هو علم جمال الكلام وعلم جمال الأدب، وهو العلم الذي يبحث في أسرار البلاغة التي هي بلاغة الذوق وإدراك الجمال وحُسْن الاهتداء إلى لطائف الصنعة، وبراعة التمييز بين طبقات الكلام، ومقاماته، وعلم البلاغة يجمع أسرار البلاغة من مظانها ويدونها في قواعد ومعايير وأُسس ثابتة.

الغاية مِن دِراسةِ هذا العِلمِ هي الوُقوفُ على بَلاغةِ القُرآنِ الكَريمِ، ومَعرِفةُ أوْجُهِ إعْجازِه، وسَببِ عجْزِ أعْدائِه عن مُحاولةِ تَحدِّيه أو مُجاراتِه، فإذا أغْفَل الإنْسانُ عِلمَ البَلاغةِ وأخَلَّ بمَعرفةِ قَواعدِه لم يَستطِعْ أنْ يُدرِكَ إعْجازَ النَّظْمِ الكَريمِ، ولم يَعرفْ من أيِّ جِهةٍ أعْجَز اللهُ العربَ عن أنْ يأتُوا بشيءٍ مِن مِثلِه.

كما أنَّ عِلمَ البَلاغةِ عِلمٌ يُوقِفُك على تَبَيُّنِ عظيمِ بَلاغةِ نَبيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ، الَّذي أُوتِيَ جَوامِعَ الكَلِمِ، وهُو أبلغُ النَّاسِ وأفصَحُهم، وخيرُ مَنْ نطَق بالضَّادِ؛ ولهذا تَجِدُ في أحاديثِه الَّتي لا يَتجاوَزُ بعضُها بِضعَ كلماتٍ مِنَ المَعاني والحِكَمِ ما لا تُطيقُه الخُطَبُ الرَّنَّانةُ

صلى عليك الله يا علم الهدى *** واستبشرت بقدومك الأيامُ

هتفت لك الأرواح من أشواقها *** وازينت بحديثك الأقلامُ

وقد خدم العلماء هذا العلمَ نظماً، ونثراً، ونشراً، وتأليفاً، واختصاراً، وبسطاً، فأحببت المشاركة في تسهيله باختصار مادتِهِ، ليرتقي الطلابُ إلى علیائه، للشرب من منابِعِهِ، والتَّصدرِ بمنافِعِهِ، والغوص في أعماقِهِ، لاستخراجِ صدفهِ ولآلئِهِ وهو جهدُ المقلِ

وأَقولُ بكلِ صراحةٍ: إن لعلم البلاغة لذةً تشحذُ الهممَ، وتشد العزيمةَ؛ لأنَّهُ طريقٌ يهدي إلى صراطِ اللهِ المستقيمِ، فهو وسيلةٌ لغايةٍ نبيلةٍ.

قَالَ الإمامُ ابنُ الجوزي ـ رَحِمهُ اللهُ تعالى ـ: لما كَانَ القرآنُ أشرفَ العلومِ كان الفَهمُ لمعانيه أولى الفهوم؛ لأنَّ شرفَ العلمِ بشرفِ المعلومِ.

وقد وضعت هذا المختصر على ثلاثة فصول لعلوم البلاغة الثلاثة، وهي: (البديع البيان المعاني).

وقد بدأت بالبديع لحسنِهِ ولطافتِهِ وسهولتهِ على الطلابِ، وكذلك راعيتُ فيها التشويقَ لهذا العلمِ فيذوق الطالبُ من عسله الصافي، ويستمر ويواصل على بركة الله

أسألُ اللهَ العظيمَ ربَّ العالمينَ أن يرزقني الصوابَ والسدادَ، إنَّه جوادٌ كريمٌ

والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ الأمينِ البشيرِ النذيرِ، والسراجِ المنيرِ سيدِ البلغاءِ وافصحهم لهجةً من أعطى جوامع الكلمِ، ومنابع الحكم وبدائع الألفاظ ومحاسن الأخلاق والآداب ومن اهتدى واقتدى به إلى يوم الدين.

وكتب علي بن محمد المطري

٢٥جماد اخر ١٤٤٦هـ

علمُ البلاغةِ

تَمهِيدٌ:

الحَمْدُ للهِ على عَظيمِ الامتِنانِ، وجَزيلِ الفَضْلِ والإحسانِ، فضَّلَ الإنسانَ بتَعليمِ البَيانِ؛ فقال عزَّ مِن قائِلٍ: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرَّحمن: ١ - ٤]، وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على أفْصحِ مَنْ نطَق بلِسانٍ، وعلى آلِه وأزواجِه، ومَن تَبِعَهم إلى يومِ الدِّينِ بإحسانٍ.

أمَّا بعدُ؛ فإنَّ مِنَ المُستقِرِّ عندَ العُلَماءِ أنَّ الكلامَ والبيانَ فيه هو الَّذي يُعطي العُلومَ مَنازِلَها، ويُبَيِّنُ مَراتِبَها، ويَكشِفُ عن صُوَرِها، ويَجني صُنوفَ ثَمَرِها، ويدُلُّ على سَرائِرِها، ويُبْرِزُ مَكنونَ ضمائِرِها، ولولاه لم تكُنْ لتَتعدَّى فوائِدُ العِلمِ عالِمَه، ولا صحَّ مِنَ العاقِلِ أن يَفْتُقَ عن أزاهيرِ العَقلِ كَمائِمَه، ولتعطَّلَت قُوَى الخواطِرِ والأفكارِ مِن معانيها، واستوَتِ القضيَّةُ في مَوْجُودِها وفانِيها، نَعمْ، وَلوقَعَ الحيُّ الحسَّاسُ في مَرتبةِ الجَمادِ، ولكان الإدْراكُ كالذي يُنافيه مِنَ الأضْدادِ، ولبَقِيَتِ القلوبُ مُقْفَلةً تَتَصَوَّنُ على وَدائِعِها، والمعاني مَسْجُونَةً في مَواضِعِها، ولصارتِ القَرائِحُ عن تَصرُّفِها مَعْقولةً، والأذْهانُ عن سُلطانِها مَعْزولةً، ولَمَا عُرِفَ كُفرٌ مِن إيْمانٍ، وإساءَةٌ مِن إحْسانٍ، ولَمَا ظهرَ فَرْقٌ بَيْنَ مَدْحٍ وتَزيينٍ، وذَمٍّ وتَهْجينٍ .

ولمَّا كان الكلامُ وَسيلةً يُعبِّرُ المُتكلِّمُ بِها عن غَرَضِه، كان مِنَ الطَّبيعيِّ أنْ تختلِفَ أساليبُ الكلامِ حسَبَ ذلك الغَرَضِ؛ فتَعْبيرُ المَرءِ عن فَرَحِه يُخالِفُ تَعبيرَه عن حُزْنِه أو خَوْفِه، بلْ إنَّ الغَرَضَ الواحِدَ تَختلِفُ دَرَجاتُهُ، وتَتَبايَنُ بذلك وَسائلُه في التَّعبيرِ عنها.

وهُنا تَكمُنُ أهمِّيَّةُ عِلمِ البلاغةِ؛ وهُو العِلمُ الَّذي يُرَكِّزُ على أنْ يُطابِقَ الكَلامُ مُقتَضى الحالِ، وأنْ يُوصِلَ المُتكلِّمُ ما بداخلِه إلى المُتلقِّي على أَتَمِّ بَيانٍ، مِن غيرِ إيجازٍ مُخِلٍّ أو إسْهابٍ مُمِلٍّ، فَضْلًا عن أنْ تَعتريَه آفاتُ اللُّكْنةِ والغَرابةِ وما يُخِلُّ بالفَصاحةِ.

وقد قسَّمَ العُلَماءُ عِلمَ البلاغةِ إلى ثَلاثةِ أقْسامٍ:

(عِلمُ المَعاني، وَعِلمُ البَيانِ، وَعِلمُ البَدِيعِ).

والدَّارِسُ لِعُلومِ البَلاغةِ يَسْتطيعُ أنْ يُنَمِّقَ أُسْلوبَه، ويُهذِّبَ ألْفاظَه وعِباراتِه، فيَنأى بِها عن رُتْبةِ الكَلامِ المُبْتذَلِ إلى سُمُوقِ الفُصَحاءِ والبُلَغاءِ، ناهِيكَ عن أنْ تَنضَجَ مدارِكُه النَّقديَّـةُ، فيَتبيَّنَ الغَثَّ والسَّمينَ، ويَقِفَ على مَحاسِنِ الشُّعَراءِ وهَفَواتِهم، ويُقارِنَ بَيْنَ أقْوالِهِم وأقْـوالِ السَّابِقين واللَّاحِقين، فيَعرِفَ أيُّهم أجادَ وأحْسنَ، وأيُّهم نزَل عن رُتْبةِ الإجادَةِ والإحْسـانِ، ويَتبيَّنَ له تَأثُّرُ اللَّاحِقِ بالسَّابِقِ إنْ كان، وهل هذا التَّأثُّرُ مَعِيبٌ أم مَحمُودٌ.

قال العَسْكريُّ مُبيِّنًا فَضْلَ عِلمِ البَلاغةِ: (صـاحِبُ العَربيَّـةِ إذا أخَـلَّ بطَلبِـه، وفَـرَّط في الْتِماسِه، ففاتَتْه فَضيلتُه، وعَلِقتْ به رَذيلةُ فَوْتِه؛ عـفَّى على جَميـعِ مَحاسـنِه، وعَـمَّى سـائرَ فَضائلِه؛ لأنَّه إذا لم يُفَرِّقْ بَيْنَ كلامٍ جيِّدٍ وآخرَ رَديءٍ، ولفْظٍ حَسَنٍ وآخَرَ قَبيحٍ، وشِعرٍ نادرٍ وآخرَ باردٍ؛ بانَ جَهلُه، وظهَر نقْصُه.

وهُو أيضًا إذا أراد أنْ يَصنعَ قَصيدةً، أو يُنْشِئَ رِسالةً -وقد فاتَه هذا العِلـمُ- مـزَج الصَّـفْوَ بالكَدَرِ، وخلَط الغُرَرَ بالعُرَرِ[1]، واستَعمل الوَحْشِيَّ العَكِرَ، فجعَل نَفسَـه مَهْـزأةً للجاهِـلِ، وعِبْرةً للعاقِلِ... وإذا أراد أيضًا تَصنيفَ كلامٍ منْثورٍ، أو تَأليفَ شِعرٍ مَنْظـومٍ، وتَخطَّـى هـذا العِلمَ؛ ساء اختيارُه له، وقَبُحتْ آثارُه فيه، فأخَذ الرَّديءَ المَرذولَ، وترَك الجيِّدَ المَقبولَ؛ فدَلَّ على قُصورِ فَهْمِه، وتَأخُّرِ معْرفتِه وعِلمِه) .

غَايةُ هَذا العلمِ:

وأعْظَمُ غايةٍ مِن دِراسةِ هذا العِلمِ هي الوُقوفُ على بَلاغةِ القُرآنِ الكَـريمِ، ومَعرِفـةُ أوْجُـهِ إعْجازِه، وسَبب عجْزِ أعْدائِه عن مُحاولةِ تَحدِّيه أو مُجاراتِه، فإذا أغْفَل الإنْسانُ عِلمَ البَلاغةِ

---

[1] الغرر: جمع غرة، وهي النفيس من كل شيء. والعرر: جمع عرة، وهي القذر

وأخَلَّ بمَعرفةِ قَواعدِه لم يَستطِعْ أنْ يُدرِكَ إعْجازَ النَّظْمِ الكَريمِ، ولم يَعرفْ من أيِّ جِهةٍ أعْجَز اللهُ العربَ عن أنْ يأتُوا بشيءٍ مِن مِثلِه.

كما أنَّ عِلمَ البَلاغةِ عِلمٌ يُوقِفُك على تَبَيُّنِ عظيمِ بَلاغةِ نَبيِّنا مُحَمَّدٍ ـ ﷺ ـ، الَّذي أُوتِيَ جَوامِعَ الكَلِمِ، وهُو أبلغُ النَّاسِ وأفصَحُهم، وخيرُ مَنْ نطَق بالضَّادِ؛ ولهذا تَجدُ في أحاديثِه الَّتي لا يَتجاوَزُ بعضُها بِضعَ كلماتٍ مِنَ المَعاني والحِكَمِ ما لا تُطيقُه الخُطَبُ الرَّنَّانةُ!

مدخل عام الى علم البلاغة

إنَّ البلاغةَ كما هو معلومٌ - مطابقة الكلام لمقتضى الحقيقة، وهي لب العربية، وقد وضعت لخدمة القرآن الكريم وكلام النبي ﷺ خاصة، ولخدمة علوم العربية عامة .. هذه نبذة مختصرة في علم البلاغة، أتمنى لكم قراءة ممتعة ومفيدة .

* البلاغةُ في اللغة:

الوُصولُ والانتهاءُ[٢]، يقالُ بلغَ فلانٌ مرادَه إذا وصلَ إليه، وبلغَ الركبُ المدينةَ إذا انتهى إليها، وَمبلغُ الشيء منتهاهُ .

وتقعُ البلاغةُ في الاصطلاح وصفاً للكلامِ، والمتكلّمِ فقط، ولا توصفُ الكلمةُ بالبلاغةِ، لقصورها عن الوصول بالمُتكلِّمِ إلى غرضِهِ، ولعدمِ السَّماع بذلك.

* بلاغةُ الكلامِ:

البلاغةُ في الكلام: مطابقتُه لما يقتضيه حالُ[٣] الخطاب- مع فصاحةِ ألفاظهِ مفردِها ومركبها [٤].

---

[٢] ينظر: الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، لابن الأثير، (ص٨١).

[٣] مقتضى الحال - هو ما يدعو إليه الأمر الواقع، أي ما يستلزمه مقام الكلام واحوال المخاطب من التكلم على وجه مخصوص، ولن يطابق الحال إلا إذا كان وفق عقول المخاطبين، واعتبار طبقاتهم في البلاغة، وقوتهم في البيان والمنطق.

[٤] ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، للهاشمي، (ص٤٠).

والكلامُ البليغُ: هو الذي يُصورُّهُ المتُكلِّمُ بصورةٍ تناسبُ أحوالَ المخاطبين، وحالُ الخطابِ ويسمى بالمقام، هو الأمرُ الحاملُ للمتكلِّم على أن يُوردَ عبارتَه على صورةٍ مخصوصةٍ دون أخرى[٥] .

* أساسُ علم البلاغة:

يقومُ علم البلاغة على أساسين هما:

(أ) الذوقُ الفطريُّ الذي هو المرجعُ الأول في الحكم على الفنون الأدبية، فيجد القارئ أو السامع في بعض الأساليب من جرسِ الكلمات وحلاوتها، والتئام التراكيب وحسنِ رصفها وقوة المعاني وسمو الخيالِ ما لا يجدُ في بعضها الآخر، فيفضلُ الأولى على الثانية .

(ب) البصيرةُ النفَّاذةُ، والعقل القادر على المفاضلة والموازنة والتعليلِ، وصحةِ المقدمات، لتبنَى عليها أحكامٌ يطمئنُ العقل جدارتِها، ويسلِّمُ بصحَّتِها .

* نشأة علمِ البلاغة[٦]:

هناك اختلافٌ كبير في هذا الصدد، فمنهم من يقول: واضع علم البلاغة هو الجاحظُ وخاصة في كتابه البيانُ والتبيينُ، وقيل: هو الجرجاني المتوفى ٤٧١هـ بكتابيه دلائل الإعجازِ وأساس البلاغة

وقيل: هو ابن المعتزِّ المتوفى ٢٩٦هـ بكتابه البديع، وقيل: السكاكيُّ بكتابه المفتاح ...

* الغايةُ منَ البلاغة:

تأديةُ المعنى الجميل واضحاً بعبارة صحيحة فصيحة، لها في النفس أثرٌ ساحر، مع ملائمة كل كلام للموطنِ الذي يقال فيه، والأشخاصُ الذين يُخاطَبون .

---

[٥] ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، للهاشمي، (ص٤١).

[٦] للاستزادة ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، للقزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، الطبعة: الثالثة، (١/ ٧).

* عناصرُ البلاغةِ:

هي لفظٌ ومعنًى، وتأليفٌ للألفاظ يمنحُها قوةً وتأثيراً وحسناً، ثمَّ دقة في اختيارِ الكلماتِ والأساليب على حسب مواطن الكلام ومواقعه، و موضوعاته، وحال السامعين، والنزعةِ النفسية التي تتملكهم، و تسيطرُ على نفوسهم .

* الهدفُ من دراسة البلاغة:

(أ) هدفٌ دينيٌّ: يتمثل في تذوق بلاغةِ القرآن الكريم والوقوف على أسرارِ ها، وتذوقِ بلاغة الرسول ـ ﷺ ـ واقتفاءِ أثره فيها.

(ب) هدفٌ نقديٌّ أو بلاغيٌّ: يتمثلُ في التمييز بين الجيد والرديء من كلام العرب شعراً ونثراً

(ت) هدفٌ أدبيٌّ: يتمثل في التدريب على صناعةِ الأدب، وتأليف الجيد من الشعر والنثر .

* أقسامُ علمِ البلاغةِ[٧]:

ينقسمُ علمُ البلاغة إلى ثلاثة أقسامٍ:

(أ) علمُ المعاني: وهو علمٌ يعرَفُ به أحوال اللفظ العربيِّ التي بها يطابقُ مقتضَى الحال .

(ب) علمُ البيان: وهو علمٌ يعرَف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوحِ الدلالة عليه

(ت)علمُ البديع: وهو علمٌ يعرَف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعايةِ تطبيقه على مقتضَى الحال ووضوحِ الدلالة .

[٧] ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، للقزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق، (١/ ٥١).

* علم المعاني[٨]:

و موضوعه اللَّفظُ العربي، من حيثُ إفادتُه المعـاني الثَّـواني الـتي هي الأغـراضُ المقصـودةُ للمتكلّم، من جعلِ الكلام مشتملاً على تلـك اللَّطـائفَ والخصوصـيّاتِ، الـتي بهـا يُطـابقُ مُقتضَى الحال.

وفائدتُهُ:

معرفةُ إعجازِ القرآن الكريم، من جهةِ ما خصَّهُ الله به من جودةِ السبَّكِ، وحُسن الوصفِ، وبَراعةِ التَّراكيبِ، ولُطفِ الإيجاز، وما اشتملَ عليه من سُهولةِ التَّركيبِ، وجزالةِ كلماتِهِ، وعُذوبةِ ألفاظِهِ وسلامتِها، إلى غير ذلك من محاسنِهِ التي أقعدتِ العـربَ عـن مناهضـتِه، وحارتَ عقولهُم أمامَ فصاحتهِ وبلاغتهِ.

وكذلكَ معرفة أسرارِ كلامِ النبيِّ ـ ﷺ ـ، فهو أبلغُ البلغاءِ، وأفضلُ من نطقَ بالضادِ، وذلك ليصارَ للعملِ بها، ولاقتفاء أثره في ذلكَ .

و الوقوفُ على أسرارِ البلاغةِ والفصاحةِ في مَنثورِ كلامِ العرب ومنظومِه كي تحتذيَ حـذوهُ، وتَنسُجَ على منوالهِ، وتَفرِّقَ بين جَيِّدِ الكلام ورديئِهِ.

* علم البيان[٩]:

البيانُ لغة: الكشفُ، والإيضاحُ، والظهور.

واصطلاحاً: أصولٌ وقواعدُ، يعرفُ بها إيراد المعنَى الواحدِ، بطرقٍ يختلفُ بعضُها عن بعضٍ، في وُضوحِ الدّلالةِ العقليةِ على نفسِ ذلك المعنَى، فالمعنَى الواحـدُ يُسـتطاعُ أداؤهُ بأسـاليبَ مُختلفةٍ، في وضوحِ الدّلالةِ عليه فإنكَ تقرأُ في بيانِ فضلِ العلمِ - مثلا – قولَ الشاعر:

العلمُ ينهضُ بالخسيسِ إلى العلَى **** والجهلُ يقعدُ بالفتَى المنسوبِ

---

[٨] ينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، (١/ ٣٣).

[٩] ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، للهاشمي، (ص٢١٦).

وموضوع هذا العلم: الألفاظُ العربية، من حيث التشبيهُ، والمجازُ، والكنايةُ .

وثمرته: الوقوفُ على أسرارِ كلامِ العربِ منثورِه ومنظومِه، ومعرفةُ ما فيه من تفاوتٍ في فنونِ الفصاحةِ، وتبايُنٍ في درجاتِ البلاغةِ التي يصلُ بها إلى مرتبةِ إعجازِ القرآنِ الكريمِ، الذي حارَ الجنُّ والإنسُ في مُحاكاته وعجزوا عن الإتيانِ بمثله .

* علم البديع[١٠]:

عِلْمُ الْبَدِيعِ مَا بِهِ قَدْ عُرِفَا ... وُجُوهُ تَحْسِينِ الْكَلامِ إِنْ وَفَى

مُطَابِقًا وَقَصْدُهُ جَلِيُّ ... فَمِنْهُ لَفْظِيٌّ وَمَعْنَوِيُّ[١١]

لغة: المخْتَرَعُ المُوجَدُ على غير مِثَال سابق، وهو مأخوذ ومُشْتَقٌّ من قولهم: بَدَع الشيء وأبْدَعه، اخترعَه لا عَلَى مِثال .

و اصطلاحاً: هو علمٌ يُعْرفُ به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسْناً وطلاوةً، وتكسوه بهاءً ورونقاً، بعدَ مُطابقته لمقتضى الحال، مع وُضوح دلالته على المراد لفظاً ومعنى.

أثرُ علم البديع في الكلام لا يتعدَّى تزيين الألفاظ أو المعاني بألوانٍ بديعةٍ من الجمال اللفظي

يراجع (جواهر البلاغة) للهاشمي (البلاغة الواضحة) لعلي الجارم ومصطفى أمين (الخلاصة في علوم البلاغة) لعلي نايف

مكانة علم البلاغة

للبلاغة منزلة رفيعة بين علوم اللغة العربية، وتُعد من علوم القرآن الكريم؛ لأنه يشترط لمن يتصدى لتفسيره أن يعرف البلاغة، كما أن معرفتها مهمة لعلمي العقيدة وأصول الفقه.

---

[١٠] ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، للهاشمي، (ص٢٩٨).

[١١] ينظر: عُقُودُ الجُمَانْ في عِلْمِ الْمَعَانِي وَالْبَيَانْ، للقزويني، (ص٩٥).

فإنَّ من المقاصد العالية التي يتطلَّع إليها الباحث، ما يكون الهدف الأسمى من معالجتها خِدمة اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، الذي أُنزِل بلسانٍ عربي مبين، فكان المعجزة الخالدة إلى يوم الدِّين.

ومن أهمِّ العلوم التي وُضِعت للبحث في المعجزة، وأسهَمتْ فيه بنصيبٍ موفور: علم البلاغة، علم الذوق والجمال، والفن الأدبي.

ولقد كان لعلم البلاغة فضلٌ كبير في بيان أساليب العرب، وتَراكيب لغتهم، وما تَمتاز به من قوَّةٍ وجمال؛ في اللفظ والمعنى، والعاطفة والخَيال؛ ممَّا أعان كثيرًا على فَهْم تُراثنا، وتقدير لُغتنا، وبَيان إعجاز كتابنا الكريم، بل إنَّ دراسة الإعجاز وإدراكه كان الهدف الأسمى الذي من أجْله وُضِعَ علم البلاغة؛ يقول ابن خلدون: "واعلم أنَّ ثمرة هذا الفن، إنما هي فَهْم الإعجاز من القرآن

فالبلاغة العربيَّة إذًا دينية النشأة، قرآنية المولد، درجتْ ونَمتْ في رحاب كتاب الله، تستهدي آياته، وتتشرَّب معانيه، قبل أنْ تتناولَ الأدب العربي بوجْه عام.

وعلى هذا، فالبلاغة علمٌ له قَدْره ومكانته، وعلينا نحن العرب والمسلمين أنْ نحلَّه المكانة اللائقة به من الاهتمام والتقدير.

تعريف البلاغة[١٢]:

البلاغة لغة: بلوغ المتكلم هدفه ومراده.

اصطلاحا: مطابقة الكلام المقتضي للحال.

معنى الفَصاحةِ لُغةً واصطِلاحًا

الفَصاحةُ لُغةً: الفَصاحةُ هي الإبانةُ والظُّهورُ، يُقالُ: أفصَحَ الصُّبحُ: إذا بدا ضَوءُه.

-أي الفَصاحةُ- في المفرَدِ: خُلوصُه من تنافُرِ الحروفِ والغَرابةِ وخلوص الكلمات من التعقيد مثل: الهعخع[١٣].

المقصود بتنافر الحروف في اللغة العربية من حيث الفصاحة والبلاغة؟

أن تكون الكلمة مكونة من حروف متقاربة المخرج بحيث يصعب النطق بها لأول مرة فتكون الكلمة متناهية في الثقل على اللسان.

مثال ذلك: أن أعرابيًا سُئِلَ عن ناقته فقال: (تركتها ترعى الهعخع)

قول امرؤ القيس:

غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إِلَى الْعُلاَ ** تَضِلُّ الْمَدَارِي فِي مُثَنّى وَمُرْسَلِ

الشاهد: (الهعخع)

هذه الكلمة غير فصيحة لدى البلاغيين لأنها مكونة من حروف متنافرة (ه - ع – خ) لأنها متقاربة المخرج.

(مستشزرات)

وهذه الكلمة غير فصيحة لدى البلاغيين أيضًا لأنها مكونة من حروف متنافرة (س – ش) لأنها متقاربة المخرج.

---

[١٢] ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، للقزويني (٢٠/١).

[١٣] ينظر: كتاب التعريفات، للجرجاني، (ص١٦٧).

وليس كل كلمة بها تنافر حروف تكون غير فصيحة كما يقول البلاغيون لأن القرآن الكريم وهو مقياس البلاغة والحديث
الشريف وهو أفصح الكلم وأبلغه بعد القرآن الكريم قد ورد في كل منهما كلمات بها حروف متنافرة فلا يجوز البتة القول على أن القرآن الكريم أو الحديث الشريف بهما ألفاظ غير فصيحة.

مثال من القرآن: ﴿كُبْكِبُوا﴾ ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾

﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (٩٤) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (٩٥)﴾سورة الشعراء

﴿كُبْكِبُوا﴾ هذه الكلمة بها تنافر حروف (ك – ب) وعلى الرغم من ذلك فهي في غاية الفصاحة والبلاغة

ثمار وفوائد علم البلاغة

١) تُعين على معرفة إعجاز القرآن الكريم.

لذلك فهم الصحابة رضي الله عنهم القرآن الكريم حينما كانت البلاغة تسري في عروقهم

٢)تكشف القناع عمّا في القرآن الكريم من معانٍ وأحكام وأخبار وقضايا فهي المعجزة الخالدة جميع معجزات الأنبياء راحت وبقيت أخبار تتلى.

وكما قال أبو تمام:

جاءَ النبِيّونَ بِالآياتِ فَانصَرَمَتْ ***وَجِئتَنا بِحَكيمٍ غَيرِ مُنصَرِمِ

آياتُهُ كُلّما طالَ المَدى جُدُدٌ***يَزينُهُنّ جَلالُ العِتقِ وَالقِدَمِ

٣)تساعد في فهم الأحاديث النبوية، وإدراك بلاغتها وروعة أسلوبها.

٤) تنمي ملكةَ الكتابةِ والتعبير عن المعنى: إن الكاتبَ يمتلكُ بعلمِ البلاغة ناصيةَ البيانِ،

٥) تخلقُ كَفاءاتٍ وقدراتٍ على نقدِ الكلام

٦) تزيد الإحساس بالجمال الفني من خلال:

ـ الجناس التام والناقص.

ـ الطباق والمشاكلة والسجع والتعجب.

ـ المدح والذم.

ـ الفصل والوصل.

ـ الاستعارة المكنية والتصريحية.

ـ المجاز.

ـ المُحسنات اللفظية .

ـ معرفة علم البيان والبديع والمعاني.

تعريف البلاغة في اللغة والاصطلاح.

أولاً: البلاغة لغة:

جاءَ في اللسانِ [١٤] (بلغ): «بَلَغَ الشيءُ يبلغ بلوغاً وبلاغاً: وصل وانتهى، ... وبلغت المكان بلوغا: وصلت إليه، وكذلك إذا شارفت عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذا بَلَغْنَ أَجَلَهُنّ﴾ البقرة:٢٣٤ أي: قاربنه. وبلغ النّبت: انتهى.» وهكذا نرى أن الدلالة اللغوية تتمحور حول الوصول، أو مقاربة الوصول، والانتهاء إلى الشيء والإفضاء إليه.

ثانياً: البلاغة اصطلاحاً:

جاء في معجم المصطلحات العربية[١٥] «هي مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال، فلا بدّ فيها من التفكير في المعاني الصادقة القيّمة القوية المبتكرة منسّقة حسنة الترتيب، مع توخّي الدقّة في انتقاء الكلمات والأساليب على حسب مواطن الكلام ومواقعه وموضوعاته وحال من يكتب لهم أو يلقى إليهم».

---

[١٤] ينظر: لسان العرب، لابن منظور، (٨/ ٤١٩).

[١٥] ينظر: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبه- كامل المهندس، مكتبة لبنان، (ص ٤٥).

من مليح تَعْريفِات البَلاغةِ؛ منها: (سُئِل بعضُ البُلَغاءِ: ما البَلاغةُ؟ فقال: قليلٌ يُفهَمُ، وكثيرٌ لا يُسأَمُ.

وقال آخَرُ: البَلاغةُ إجاعَةُ اللَّفظِ، وإشباعُ المَعنى.

وسُئل آخَرُ فقال: مَعانٍ كثيرةٌ في ألْفاظٍ قليلةٍ.

وقِيل لأحدِهم: ما البَلاغةُ؟ فقال: إصابةُ المَعنى وَحُسْنُ الإيجازِ.

وقدِ استُقِرَّ على تَعريفِها بَيْنَ العُلَماءِ بأنَّها: (مُطابَقةُ الكَلامِ لمُقتضَى الحالِ معَ فَصاحتِه) والمُطابَقةُ المَقصودُ بها المُواءَمةُ والمُلاءَمةُ[١٦].

الفرق بين البلاغة والفصاحة؟

-البَلَاغة هي: أن يبلغ المتكلِّم بعبارته كُنْه مراده، مع إيجاز بلا إخلال، وإطالة من غير إملال[١٧].

والفَصَاحة خُلُوص الكلام من التّعقيد. وقيل: البَلَاغة في المعاني، والفَصَاحة في الألفاظ، فيقال: لفظ فَصِيح ومعنى بَلِيغ.

فوائد الفصاحة

١- الفَصاحةُ من وسائِلِ تبليغِ الدِّينِ:

الفَصاحةُ وسيلةٌ مُهِمَّةٌ من وسائِلِ تبليغِ دِينِ اللهِ تبارك وتعالى؛ لذا طَلَب موسى عليه السَّلامُ من رَبِّه أن يمُدَّه بأخيه هارونَ عليه السَّلامُ، وعَلَّل ذلك بكونِه أفصَحَ منه لسانًا، فصاحِبُ اللِّسانِ الفصيحِ يَقدِرُ على إبلاغِ حُجَّتِه للنَّاسِ، وإيصالِ الحَقِّ لهم.

---

[١٦] ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، لبهاء الدين السبكي (١/ ٩٠).

[١٧] ينظر: طيب المذاق من ثمرات الأوراق، لابن حجة الحموي، (ص٣٥٠).

٢-القُدرةُ على الدِّفاعِ عن الحُقوقِ:

الفصيحُ أقدَرُ وأجدَرُ في الدِّفاعِ عن حَقِّه، وانتزاعِه من المعتَدين، وذلك إذا كان الميدانُ مَيدانَ حِجاجٍ وكلامٍ، وإذا كان النَّبيُّ ﷺ قد ذمَّ من كانت بلاغتُه وبيانُه سببًا في أن يُقضى له بما ليس له بحَقٍّ، فلا شَكَّ أنَّ هذه الفَصاحةَ والبلاغةَ إذا أدَّت إلى الوصولِ للحَقِّ تكونُ حينَئذٍ محمودةً.

قال المُناويُّ في شَرحِ حَديثِ: ((ولعَلَّ بعضَكم أن يكونَ ألحَنَ بحُجَّتِه من بعضٍ))، قال: (ألحَنَ -بفَتحِ الحاءِ-: الفَطانةُ، أي: أبلَغَ وأفصَحَ، وأعلَمَ في تقريرِ مَقصودِه، وأفطَنَ ببيانِ دليلِه، وأقدَرَ على البرهنةِ على دَفعِ دعوى خَصمِه، بحيثُ يَظُنُّ أنَّ الحَقَّ معه، خَصمِه، بحيثُ يَظُنُّ أنَّ الحَقَّ معه)[١٨].

٣- الفَصاحةُ من وسائِلِ التَّأثيرِ في المُستَمِعِ:

ومن فوائِدِ الفَصاحةِ أنَّها تدعو السَّامِعَ للعَمَلِ بالكلامِ الذي يسمَعُه؛ قال ابنُ عُثَيمين: (ينبغي صياغةُ الكلامِ بما يحمِلُ على العَمَلِ به؛ لأنَّ من الفَصاحةِ صياغةَ الكلامِ بما يَحمِلُ على العَمَلِ به.

وإنَّ ذا الفَصاحةِ يستطيعُ تمثيلَ المُسلِمين في المحافِلِ والاجتِماعاتِ دونَ خَوفٍ أو خَجَلٍ، ويستطيعُ أن يتكلَّمَ بما يُمليه عليه دِينُه، ويكونَ صاحِبَ كَلِمةٍ مسموعةٍ، تهفو إليه الأرواحُ، وتشرَئِبُّ إليه الأعناقُ، وتتطَلَّعُ إليه قلوبُ المُؤمِنين إذا تكلَّم أو خَطَب، فيكونُ حالُه كما قال سَحبانُ:

لقد عَلِم الحَيُّ اليمانون أنَّني إذا قُلتُ أمَّا بعدُ أنِّي خَطيبُها[١٩].

---

[١٨] ينظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦هـ، (٢/ ٥٦٤).

[١٩] ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري (٢/ ١١٩).

٤- معرفةُ الفَصاحةِ وسيلةٌ لمعرفةِ إعجازِ القُرآنِ:

يقولُ أبو هِلالٍ العَسكريُّ: (أحَقُّ العُلومِ بالتَّعلُّمِ، وأولاها بالتَّحفُّظِ -بعدَ المعرفةِ باللهِ جَلَّ ثناؤُه- عِلمُ البلاغةِ، ومَعرِفةُ الفَصاحةِ، الذي به يُعرَفُ إعجازُ كِتابِ اللهِ تعالى، النَّاطِقِ بالحَقِّ، الهادي إلى سَبيلِ الرُّشدِ، المدلولِ به على صِدقِ الرِّسالةِ وصِحَّةِ النَّبوَّةِ التي رفَعَت أعلامَ الحَقِّ، وأقامت منارَ الدِّينِ، وأزالت شُبَهَ الكُفرِ ببراهينِها، وهتَكَت حُجُبَ الشَّكِّ بيقينِها، وقد عَلِمْنا أنَّ الإنسانَ إذا أغفَل عِلمَ البلاغةِ، وأخَلَّ بمعرفةِ الفَصاحةِ، لم يقَعْ عِلمُه بإعجازِ القرآنِ من جهةِ ما خصَّه اللهُ به من حُسنِ التَّأليفِ، وبراعةِ التَّركيبِ، وما شَحَنه به من الإيجازِ البديعِ، والاختصارِ اللَّطيفِ، وضَمَّنَه من الحلاوةِ، وجَلَّلَه من رونقِ الطَّلاوةِ، مع سهولةِ كَلِمِه وجزالتِها، وعذوبتِها وسلاستِها، إلى غيرِ ذلك من محاسِنِه التي عَجَز الخَلقُ عنها، وتحيَّرت عُقولُهم فيها) [٢٠].

٥- من أفضَلِ وسائِلِ إعانةِ المرءِ على الإبانةِ والإفصاحِ عن مرادِه.

٦- لها أثرٌ كبيرٌ في تجليةِ الحقائِقِ ووَصفِ الوقائِعِ.

٧- من أسبابِ رَفعِ مكانةِ صاحِبِها وعُلُوِّ منزلتِه عِندَ النَّاسِ

---

[٢٠] ينظر: أساليب بلاغية، الفصاحة - البلاغة – المعاني، للرفاعي، (ص٥٥).

الوسائِلُ المعينةُ على اكتِسابِ الفَصاحةِ

١- الإكثار من قراءة القرآن وحفظه، فهو أفصح كلام وأكمله، ومن أكثر من قراءة القرآن انطلق لسانه فصاحة، واكتسى كلامه عذوبة، وتزيَّنت عباراته بالبَلَاغة.

٢- حفظ أحاديث المصطفى ﷺ والإكثار من قراءتها، فهو أفصح الناطقين بالضَّاد قاطبة.

٣- تعلُّم النحو وقواعد العربية، والبعد عن اللحن في الكلام.

٤- تعلُّم علم البلاغة وقواعده من معان وبيان وبَدِيع، ومحاولة استخدامه أثناء الكتابة أو الكلام.

٥- مُجَالسة الفصحاء ومُعَاشرتهم، وهذا من أفضل طرق اكتساب الفَصاحة والبَيان، فـإن الجليس يأخذ من أخلاق وطِبَاع جليسه حتى في كلامه.

٦- الإكثار من قراءة كتب الأدب ودواوين العربية، والاهتمام بها، فإنَّ ذلك يعطـي المـرء مَلَكَة لغوية تُمَكِّنه من التحدث بطلاقة، والكلام بفصاحة.

٧- محاولة انتقاء الكلام وتخيُّر محاسنه عند الحديث، وتجنب المرْذُول منه والقبيح، الذي تَنْبُو عنه الأسماع، وتستقبحه النفوس والطباع السليمة.

الفَصاحةُ عِندَ الأنبياءِ والمُرسَلين

- فصاحةُ إسماعيلَ عليه السَّلامُ:

عن عليٍّ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: ((أوَّلُ من فُتِقَ لِسانُه بالعربيَّةِ المُبينةِ إسماعيلُ، وهو ابنُ أربَعَ عَشْرةَ سَنَةً)) [٢١].

قال ابنُ كثيرٍ: (كان إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ عليهما السَّلامُ أوَّلَ من تكلَّمَ بالعربيَّةِ الفصيحةِ البليغةِ، وكان قد أخَذَ كلامَ العَرَبِ من جُرْهُمٍ الذين نزَلوا عِندَ أمِّه هاجَرَ بالحَرَمِ) [٢٢].

وقال ابنُ حَجَرٍ: (أوَّلِيَّتُه في ذلك بحَسَبِ الزِّيادةِ في البيانِ لا الأوَّلِيَّةِ المُطلَقةِ، فيكونُ بعدَ تعلُّمِه أصلَ العربيَّةِ مِن جُرْهُمٍ ألهمه اللهُ العربيَّةَ الفصيحةَ المُبِينةَ فنَطَق بها، ويشهَدُ لهذا ما حكاه ابنُ هِشامٍ عن الشَّرقيِّ بنِ قَطاميٍّ «إنَّ عربيَّةَ إسماعيلَ كانت أفصحَ من عَربيَّةِ يَعرُبَ بنِ قَحطانَ وبقايا حِمْيَرٍ وجُرْهُمٍ»، ويحتَمِلُ أن تكونَ الأوَّلِيَّةُ في الحديثِ مُقَيَّدةً بإسماعيلَ بالنِّسبةِ إلى بَقيَّةِ إخوتِه من وَلَدِ إبراهيمَ؛ فإسماعيلُ أوَّل من نَطَق بالعربيَّةِ من وَلَدِ إبراهيمَ) [٢٣].

- فصاحةُ شُعَيبٍ عليه السَّلامُ:

وممَّا جاء من فصيحِ بَيانِه موعظتُه عليه السَّلامُ لِقَومِه، وقد قدَّم لها ابنُ كثيرٍ بقولِه: (ثمَّ قال تعالى إخبارًا عن شُعَيبٍ، الذي يُقالُ له: خَطيبُ الأنبياءِ؛ لفصاحةِ عِبارتِه، وجزالةِ موعظتِه) [٢٤].

---

[٢١] أخرجه الشيرازي في الألقاب كما في الجامع الصغير، للسيوطي (٢٨٣٧). صحَّحه الألباني في صحيح الجامع، (٢٥٨١)، وحسَّن إسناده ابن حجر في فتح الباري، (٤٦٤/٦).

[٢٢] ينظر: البداية والنهاية، (٢٨٣/١).

[٢٣] ينظر: فتح الباري، (٤٠٣/٦).

[٢٤] ينظر: تفسير القرآن العظيم، (٣/ ٤٤٧).

قال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ * وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ [الأعراف: ٨٥ - ٨٧] ﴾.

نماذِجُ من الفَصاحةِ عِندَ النَّبيِّ ﷺ

قال القاضي عِياضٌ في وصفِ فصاحتِه ﷺ: (وأمَّا فصاحةُ اللِّسانِ، وبلاغةُ القولِ، فقد كان ﷺ من ذلك بالمحَلِّ الأفضَلِ، والموضِعِ الذي لا يُجهَلُ، سلاسةَ طَبعٍ، وبراعةَ مَـنزِعٍ، وإيجـازَ مَقطَعٍ، ونصاعةَ لَفظٍ، وجزالةَ قَولٍ، وصِحَّةَ مَعانٍ، وقِلَّةَ تكلُّفٍ[٢٥].

من فصيحِ كَلامِه الموجَزِ المتعَلِّقِ بالحِكَمِ والآدابِ:

كقولِه ﷺ: ((لا تصاحِبْ إلَّا مُؤمِنًا، ولا يأكُلْ طعامَك إلَّا تـقيٌّ)) . رواه أبـو داود عـن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

وقولِه ﷺ: ((... فرُبَّ حامِلِ فِقهٍ إلى من هو أفقَهُ منه، ورُبَّ حامِلِ فِقهٍ ليس بفقيـهٍ)) .رواه أبو دوواد عن زيد بن ثابت رضي الله عنه.

وقولِه ﷺ: ((الحَربُ خَدعةٌ)) . متفق عليه عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه.

وقولِه ﷺ: ((مَن لا يرحَمْ لا يُرحَمْ)) . متفق عليه عن أبي هُريرة رضي الله عنه.

وقولِه ﷺ: ((إنَّما الصَّبرُ عِندَ الصَّدمةِ الأولى) البخاري عن أنس رضي الله عنه.

فهذا ونحوُه الكثيرُ من كلامِه -ﷺ- الموجَزِ بأقصَرِ عِبارةٍ وأبلَغِها.

فلْيَنظُرِ المتأمِّلُ ما اشتَمَلت عليه هذه الكَلِمُ القصيرةُ من المعاني الجَمَّةِ والنُّكَتِ العديدةِ، مع نهايةِ البلاغةِ، ووُقوعِه في الفَصاحةِ أحسَنَ مَوقِعٍ.

وقد أشار الرَّافِعِيُّ إلى هذه السِّمةِ النَّبَويَّةِ البلاغيَّةِ في الكلامِ، فقال: (الكلامُ النَّبويُّ جامِعٌ مجتَمِعٌ، لا يذهبُ في الأعَـمِّ الأغلَـبِ إلى الإطالـةِ، بـل كالتِّمثـالِ؛ يـأتي مقَـدَّرًا في مادَّتِـه ومعانيه[٢٦].

---

[٢٥] ينظر: الشفا، (١٦٧/١).

[٢٦] ينظر: تاريخ آداب العرب، (١٩٣/٢)

من فصيح دُعائِه ﷺ:

منه قولُه ﷺ: ((اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بك من الهَمِّ والحَزَنِ، والعَجزِ والكَسَلِ، والجُبنِ والبُخلِ، وضَلَعِ الدَّينِ، وغَلَبةِ الرِّجالِ)) .البخاري عن أنس رضي الله عنه.

وقولُه: ((اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ برِضاك من سَخَطِك، وبمُعافاتِك من عقوبتِك، وأعوذُ بك منك، لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيتَ على نَفسِك)). رواه أبو دواد، عن أنس رضي الله عنه.

إلى غيرِ ذلك من أنواعِ التَّحميدِ والتَّقديسِ، والتَّضرُّعِ بالكلامِ البليغِ، واللَّفظِ الفصيحِ.

من فَصيحِ ما قاله ﷺ تشريعًا:

منه قَولُه ﷺ: ((العَجْماءُ جُبارٌ)) . متفق عليه عن أبي هُريرة رضي الله عنه

فاختيارُ النَّبيِّ ﷺ لفظةَ ((العَجْماء)) مَظهَرٌ من مظاهِرِ الفَصاحةِ العاليةِ؛ لأنَّ أصلَ الوَضعِ اللُّغويِّ للأعجَمِ هو الأخرَسُ، والعَجْماءُ والمُستعجَمُ يُقالُ لكُلِّ بهيمةٍ، وإنَّما سُمِّيت عَجماءَ؛ لأنَّها لا تتكلَّمُ، فاختيارُ اللَّفظِ يوحي بأنَّ الدَّابَّةَ غيرُ ناطقةٌ، فلا تُنذِرُ ولا تحذِّرُ، فلا حُجَّةَ للشَّاكي فيها، وأمَّا لفظُ الجُبارِ فهو الهَدرِ، وكُلُّ ما أُهلِك وأُفسِد فهو جُبارٌ، والجَبْرُ خِلافُ الكَسرِ، ومنه جَبرُ العَظمِ والفقيرِ واليتيمِ؛ فهو بَيْنَ الإبطالِ والتَّرميمِ، وإصابةُ البهيمةِ ممَّا لا يُعتَدُّ به، وكأنَّه مُرمَّمٌ ومجبورٌ، فدعواه باطِلةٌ[٢٧] .

من فَصيحِ جَوابِه ﷺ:

عن أبي موسى رَضِيَ اللهُ عنه قال: ((جاء رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ، فقال: يا رسولَ اللهِ، ما القتالُ في سبيلِ اللهِ؟ فإنَّ أحَدَنا يقاتِلُ غَضَبًا، ويقاتِلُ حَمِيَّةً، فرفَعَ إليه رأسَه، قال: وما رفَعَ إليه رأسَه إلَّا أنَّه كان قائمًا، فقال: من قاتَلَ لتكونَ كَلِمةُ اللهِ هي العليا فهو في سبيلِ اللهِ عزَّ وجَلَّ)) . متفق عليه .

---

[٢٧] ينظر: فصاحة الرسول المصطفى وبلاغته، لعادل البدري، (ص١٥٦-١٥٧).

قال العَينيُّ[٢٨]: (فيه ما أعطِيَ النَّبيُّ ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ من الفَصاحةِ وجوامِعِ الكَلِمِ؛ لأنَّه أجاب السَّائِلَ بجوابٍ جامِعٍ لمعنى سؤالِه لا بلفظِه؛ من أجلِ أنَّ الغَضَبَ والحميَّةَ قد يكونُ للهِ عزَّ وجَلَّ، وقد يكونُ لغَرَضِ الدُّنيا، فأجابه عليه السَّلامُ بالمعنى مختَصَرًا؛ إذ لو ذهب يُقَسِّمُ وجوهَ الغَضَبِ لطال ذلك، ولخشي أن يُلبِسَ عليه. وجاء أيضًا في الصَّحيحِ: يقاتِلُ للمَغنَمِ، والرَّجُلُ يُقاتِلُ للذِّكْرِ، والرَّجُلُ يقاتِلُ ليُرى مكانُه، فمَن في سبيلِ اللهِ تعالى؟ فقال: عليه السَّلامُ في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: ((مَن قاتَلَ لتكونَ كَلِمةُ اللهِ أعلى فهو في سبيلِ اللهِ)).

أمثلة على فصاحة العرب:

قُسُّ بنُ ساعِدةَ:

قال الضَّبِّيُّ[٢٩]: (كان قُسُّ بنُ ساعِدةَ بنِ إيادٍ مُفَوَّهًا ناطِقًا، فوَقَف بسُوقِ عكاظٍ على جَمَلٍ له أحمَرَ، فقال: أيُّها النَّاسُ، اجتَمِعوا واسمَعوا وعُوا، مَن عاشَ مات، ومَن ماتَ فات، وكُلُّ ما هو آتٍ آت. ثُمَّ قالَ: أمَّا بعدُ، فإنَّ في السَّماءِ لَخَبَرًا، وإنَّ في الأرضِ لعِبَرًا، نُجومٌ تَغورُ، وبِحارٌ تَمورُ ولا تَغورُ، وسَقفٌ مَرفوعٌ، ومِهادٌ مَوضوعٌ، أقسَمَ قُسٌّ قَسَمًا باللهِ وما أَثِمَ، لتَطلُبُنَّ مِن الأمرِ شَحَطًا، ولئِن كانَ بعضُ الأمرِ رِضًا إنَّ للهِ في بعضِه سَخَطًا، وما بِهذا لَعِبًا، وإنَّ مِن وَراءِ هذا عَجَبًا. يا مَعشَرَ إياد، أين ثَمودُ وعاد؟، وأين الآباءُ والأجداد؟ أين المَعروفُ الذي لم يُشكَرْ، والظُّلمُ الَّذي لم يُنكَرْ؟ أقسَمَ قُسٌّ قَسَمًا باللهِ وما أَثِم، إنَّ للهِ دينًا هو أَرضى مِن دينٍ نحن عليه.

---

[٢٨] ينظر: عمدة القاري، (١٩٨/٢).

[٢٩] ينظر: أمثال العرب، للضبي، (ص: ١١٣).

فصاحة أبي بكر الصديق رضي الله عنه :

عن هشامِ بنِ عُروةَ، عن أبيه، قال: (لمَّا وَلِيَ أبو بكرٍ خطَب النَّاسَ، فحَمِد اللهَ، وأثنى عليه، ثمَّ قال: أمَّا بعدُ، أيُّها النَّاسُ قد وُلِّيتُ أمْرَكم، ولستُ بخَيرِكم، ولكِنْ نَزَل القرآنُ، وسَنَّ النَّبيُّ ﷺ السُّنَنَ فعَلَّمَنا فعَلِمْنا. اعلَموا أنَّ أكيَسَ الكَيسِ: التَّقوى، وأنَّ أحمَقَ الحُمقِ: الفُجورُ، وأنَّ أقواكم عندي الضَّعيفُ حتَّى آخُذَ له بحَقِّه، وأنَّ أضعَفَكم عندي القَويُّ حتَّى آخُذَ منه الحَقَّ. أيُّها النَّاسُ إنَّما أنا متَّبعٌ ولستُ بمُبتَدِعٍ، فإن أحسَنْتُ فأعينوني، وإن زِغْتُ فقَوِّموني) [٣٠].

فصاحةُ عُمَرَ بنِ الخطَّابِ رَضِيَ اللهُ عنه:

خطَب عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عنه، فقال بعدَ ما حَمِد اللهَ، وأثنى عليه، وصلَّى على النَّبيِّ ﷺ: (أيُّها النَّاسُ، إنَّ بعضَ الطَّمَعِ فَقرٌ، وإنَّ بعضَ اليأسِ غِنًى، وإنَّكم تَجمَعون ما لا تأكُلون، وتأمُلون ما لا تُدرِكون، وأنتم مؤجَّلون في دارِ غُرورٍ، كنتُم على عهدِ رَسولِ اللهِ ﷺ تؤخَذون بالوحيِ، فمَن أسرَّ شيئًا أُخِذ بسريرتِه، ومن أعلَن شيئًا أُخِذ بعلانيتِه، فأظهِروا لنا أحسَنَ أخلاقِكم، واللهُ أعلمُ بالسَّرائرِ؛ فإنَّه من أظهَر شيئًا وزَعَم أنَّ سريرتَه حَسَنةٌ، لم نُصَدِّقْه، ومن أظهَرَ لنا علانيةً حَسَنةً ظَنَنَّا به حَسَنًا، واعلَموا أنَّ بعضَ الشُّحِّ شُعبةٌ من النِّفاقِ، فأنفِقوا خيرًا لأنفُسِكم، ومَن يُوقَ

شُحَّ نفسِه فأولئك هم المُفلِحون. أيُّها النَّاسُ، أطيبُوا مثواكم، وأصلِحوا أمورَكم، واتَّقوا اللهَ رَبَّكم، ولا تُلبِسُوا نِساءَكم القَباطيَّ

القَباطيُّ جَمعُ القُبطيِّ: وهو ثوبٌ رقيقٌ من كتانٍ يُعمَلُ بمِصرَ نِسبةً إلى القِبطِ [٣١].

---

[٣٠] ينظر: رواه أبو عبيد القاسم بن سلام في الخطب والمواعظ، (ص١١٩)، وابن سعد في الطبقات الكبرى، (ص٣٤١٨).

[٣١] ينظر: شرح الزرقاني على موطأ مالك، (٤٨٩/٢).

فصاحةُ عليِّ بنِ أبي طالبٍ:

فمِن فصيحِ كَلِماتِه ـ رَضِيَ اللهُ عنه ـ: (مَن كانت له عِندَ النَّاسِ ثلاثٌ وَجَبت له عليهم ثلاثٌ: من إذا حدَّثهم صَدَقهم، وإذا ائتَمَنوه لم يخُنْهم، وإذا وعدَهم وفَى لهم؛ وجب له عليهم أن تحِبَّه قلوبُهم، وتنطِقَ بالثَّناءِ عليه ألسِنَتُهم، وتظهَرَ له معونتُهم) [٣٢].

وقال أيضًا موصيًا ابنَه: (يا بُنَيَّ إن استطَعْتَ ألَّا يكونَ بينَك وبينَ اللهِ ذو نعمةٍ فافعَلْ، ولا تكُنْ عبدَ غَيرِك وقد جعَلَك اللهُ حُرًّا؛ فإنَّ اليسيرَ من اللهِ تعالى أكرَمُ وأعظَمُ من الكثيرِ من غيرِه، وإن كان كُلٌّ منه كثيرًا) [٣٣].

فصاحةُ عائشةَ رَضِيَ اللهُ عنها:

كانت عائشةُ رَضِيَ اللهُ عنها على درجةٍ عاليةٍ من الفَصاحةِ والبلاغةِ؛ فعن معاويةَ قال: (ما رأيتُ خطيبًا قَطُّ أبلَغَ ولا أفطَنَ من عائشةَ رَضِيَ اللهُ عنها) [٣٤].

- وحينما توفِّي أبوها قالت ـ رَضِيَ اللهُ عنها ـ: (رَحِمك اللهُ يا أَبَتِهِ! لقد قُمتَ بالدِّينِ حينَ وهى شُعَبُه، وتفاقَمَ صَدْعُه، ورَحُبَت جوانبُه، وبغَّضْتَ ما أصغَوا إليه، وشمَّرْتَ فيما وَنَوا عنه، واستخفَفْتَ من دُنياك ما استوطَنوا، وصَغَّرْتَ منها ما عَظَّموا، ولم تهضِمْ دينَك، ولم تَنْسَ غَدَك؛ ففاز عِندَ المساهمةِ قِدْحُك، وخَفَّ مما استوزروا ظَهْرَك، حتى قَرَرْتَ الرُّؤوسَ على كواهِلِها، وحقَنْتَ الدِّماءَ في أُهُبِها -يعني: في الأجسادِ -؛ فنضَّر اللهُ وَجْهَك يا أَبَتِهِ! فلقد كنتَ للدُّنيا مُذِلًّا بإدبارِك عنها، وللآخِرةِ مُعِزًّا بإقبالِك عليها، ولكأنَّ أجَلَّ الرَّزايا بعدَ رَسولِ اللهِ ﷺ رُزْؤُك، وأكبَرَ المصائِبِ فَقْدُك؛ فعليك سلامُ اللهِ ورحمتُه، غيرَ قاليةٍ لحياتِك، ولا زاريةٍ على القضاءِ فيك!) [٣٥].

---

[٣٢] رواه أبو بكر الدِّينَوَري في المجالسة وجواهر العلم، (٢٤٢٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق، (٤٤٣/٣٠).

[٣٣] يُنظَر: أدب الدنيا والدين، للماوردي (ص: ٣٣٠).

[٣٤] يُنظَر: الآداب الشرعية والمنح المرعية، لابن مفلح، (١/ ٣٩).

[٣٥] رواه أبو بكر الدِّينَوَري في المجالسة وجواهر العلم، (٢٤٢٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق، (٤٤٣/٣٠).

موانِعُ الفَصاحةِ

١- ضَعفُ العنايةِ وتدقيقِ النَّظَرِ بمواطِنِ الفَصاحةِ والبلاغةِ؛ وعلى رأسِها القُرآنُ الكـريمُ، والسُّنَّةُ الشَّريفةُ، وأدبُ العَرَبِ وكَلامُهم.

٢- إهمالُ دراسةِ عُلومِ العَرَبيَّةِ مِن نحوٍ وصَرفٍ وعَروضٍ، وبلاغةٍ بفُروعِها: البيانُ، والمعاني، والبديعُ.

٣- ضَعفُ الحصيلةِ اللُّغَويَّةِ، فينتُجُ عنه عدَمُ القُدرةِ على التَّعبيرِ باللَّفظِ المناسِبِ في موضِعِه الصَّحيحِ.

٤- الفَصلُ بَيْنَ الدِّراسةِ النَّظَريَّةِ للُّغةِ العربيَّةِ والتَّطبيقِ العَمَليِّ؛ إذ إنَّ الدِّراسةَ النَّظَريَّـةَ لا تكفي بمفرَدِها، وإنَّما لا بُدَّ من الممارسةِ والتَّطبيقِ العَمَليِّ لقَواعِدِها.

٥- قِلَّةُ استعمالِ اللُّغةِ العَرَبيَّةِ وتَداولِها تحدُّثًا أو قراءةً أو استِماعًا.

٦- طغيانُ العامِّيَّةِ في وسائِلِ الإعلامِ المقروءةِ والمسموعةِ والمرئيَّةِ.

٧- مراعاةُ الألفاظِ دونَ المعاني والموضوعِ؛ فالألفاظُ الجَيِّدةُ الحَسَنةُ الفصيحةُ لا يكونُ لها مزيَّةٌ ورَونَقٌ ولا قيمةٌ إلَّا بإيداعِها معنًى شريفًا، وموضوعًا واضِحًا.

٨- استِعمالُ الغَريبِ والوَحشيِّ والسُّوقيِّ من الألفاظِ.

٩- تنافُرُ الألفاظِ والعباراتِ مع السِّياقِ العامِّ للموضوعِ، كاستخدامِ ألفاظِ الحَربِ والشِّدَّةِ في السَّلامِ والمهادنةِ، وألفاظِ الموادَعةِ واللِّينِ في الحَربِ والجِهادِ.

١٠- أن تكونَ معاني الكلامِ مُبهَمةً تحولُ دونَ فَهمِ المرادِ

حكم الفصاحة

الفَصاحةُ ممدوحةٌ إذا صُرِفَت إلى نُصرةِ حَقٍّ، أو رَدِّ ظُلمٍ، أو كان الغَرَضُ منها إظهارَ دينِ اللهِ سُبحانَه، والدَّعوةَ إليه أو الذَّبَّ عنه، وتكونُ مذمومةً محَرَّمةً إذا كان المقصودُ منها ردَّ الحَقِّ وإثباتَ الباطِلِ[٣٦].

الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ أنموذجاً:

ـــ قال أحمد بن حنبل لابنه عبد الله: كان الشافعي رحمه الله كالشمس للدنيا وكالعافية للناس فانظر هل لهذين من عوض أو خلف؟. أثر صحيح[٣٧].

ـــ قال الرَّبيعُ بنُ سُلَيمانَ: (لو رأيتَ الشَّافعيَّ وحُسنَ بيانِه وفصاحتَه لعَجِبتَ! ولو أنَّه ألَّف الكُتُبَ على عربيَّتِه التي يتكلَّمُ بها في المناظَرةِ لم نقدِرْ على كُتُبِه؛ لفصاحتِه وغرائِبِ ألفاظِه، غيرَ أنَّه في تأليفِه يُوضِّحُ للعوامِّ[٣٨].

حسبك بديوانٍ كُتب عليه: اسم الإمام الشافعي، وحسبك بحروف صاغها الشافعي، فإن الإنسان يخجل أن يتكلم عن فصاحة الشافعي وبراعته وعظمة شعره السلس العذب اللذيذ في تغريدة واحدة !! ويا أسفى على أعمارٍ تذهب في شعر بعض المولدين المتنطعين المتكلفين المتشدقين! ومن قصدَ البحر استقلّ السواقيا!

ومن بديع فصاحته:

توكّلت في رزقي على الله خالقي***وأيقنت أنّ الله لا شكّ رازقي

وما يك من رزقٍ فليس يفوتني***ولو كان في قاع البحار العوامق

سيأتي به الله العظيم بفضله***ولو لم يكن منّي اللسان بناطق

---

[٣٦] يُنظَر: الاستذكار، لابن عبد البر، (٨/٥٥٨).

[٣٧] أخرجه ابن عبد البر في كتابه الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، (ص٧٤).

[٣٨] ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، (١٠/ ٧٤).

ففي أيّ شيءٍ تذهب حسرة***وقد قسم الرّحمن رزق الخلائق

كتب أدبية للثراء الأدبي:

القراءة عن الأدب العربي وفيه له متعة خاصة، وتكسبنا فوائد عظيمة، فهي تجعلنا نغوص في بحر الأدب لنستمتع بتلك الأعمال الأدبية الرائعة، والتي تتحفنا بالكثير عن اللغة.

وهناك كثيرٌ من الأعمالِ الأدبية التي سبرت أغوار اللغة، وعادت لنا بلآلي ودرر كتب نالت هذا الشرف العظيم، فأضحت يشار إليها بالبنان عند التحدث عن الأدب العربي، وليس معنى عرضها هنا وجود أفضلية بينهم؛ لأن كل كتاب له ميزة وخاصية تميزه عن غيره، ومن هذه المؤلفات:

١-كتاب أدب الكاتب: ابن قتيبة.

٢- كتاب البيان والتبيين، للجاحظ.

٣- كتاب الكامل في اللغة والأدب، للمبرد.

٤- كتاب الأمالي، لأبي علي القالي.

٥- كتاب بهجة المَجالس وأنس المُجالس، لابن عبد البر.

٦- كتاب العقد الفريد، لابن عبد ربه.

٧- كتاب مقامات، لبديع الزمان الهمذاني.

٨- كتاب التذكرة الحمدونية، لابن حمدون.

٩- كتاب ربيع الأبرار، للزمخشري.

١٠- كتاب الأغاني، للأصفهاني، ويعد من أفضل كتب الأدب للمبتدئ.

١١ ـ البخلاء، للجاحظ.

١٢ـ مقامات الحريري.

١٣ـ جواهر الأدب، للهاشمي.

١٤ـ كتب المنفلوطي.

١٥ـ كتب الطنطاوي.

القرآن الكريم المعجزة الخالدة الباقية:

القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة، وهو أحسن الحديث، وهو في أعلى درجةٍ من الفصاحةِ، وأرفع رتبةٍ في البلاغةِ، وفصاحة القرآن وجه من وجوه إعجازه، التي أعجزت البلغاء، وأبهرت الفصحاء، وقبل أن نتكلم عن فصاحة القرآن الكريم وبلاغته، وعن إعجازه الذي بهر العقول، وأدهش الألباب، وسلَّم له أساطين البلاغة، وسجد له الفصحاءُ اللسنُ، نذكركم بما تقدم من تعريف حدود الفصاحة والبلاغة، ليتبين المراد، ويعلم القصدُ والسدادُ، وتتميز الذرى من الوهاد.

ثم ننظر هل نرى في القرآن الكريم شيئًا مما ذُكِرَ مما يقدحُ في فصاحةِ الكلامِ، أو يوسمُ بأنه ركيكُ من الألفاظ، أو هل ترى فيه تنافرًا بين حروفِهِ، أو لفظًا غريبًا يصعب في النطق، أو ينبو عنه السمع؟

﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾.[٣، ٤: الملك]

فانظر إلى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.[٤٨: هود]

وفيها تكرر حرف الميم ستَ عشرةَ مرةً، ومع ذلك لا يشعر القارئ بشيءٍ من العسر عند النطق بها، ولا بشيء من الثقل عند سماعها.

ثم انظر إلى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.[٢٧: المائدة]

وفيها تكرر حرف القاف عَشْرَ مراتٍ، ولا يكاد القارئ يشعرُ بتوالي هذا الحرف مع شدته وقلقلته، وجهره، واستعلائه، ومع ذلك لا يشعر القارئ إلا بسهولة النطق، وسلاسة الألفاظ.

وصدق الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾.[القمر: ١٧]

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ [٣٩]: (وَأَمَّا الْقُرْآنُ فَجَمِيعُهُ فَصِيحٌ فِي غَايَةِ نِهَايَاتِ الْبَلَاغَةِ عِنْدَ مَنْ يَعْرِفُ ذَلِكَ تَفْصِيلًا وَإِجْمَالًا مِمَّنْ فَهِمَ كَلَامَ الْعَرَبِ وَتَصَارِيفَ التَّعْبِيرِ، فَإِنَّهُ إِنْ تَأَمَّلْتَ أَخْبَارَهُ وَجَدْتَهَا فِي غَايَةِ الْحَلَاوَةِ، سَوَاءٌ كَانَتْ مَبْسُوطَةً أَوْ وَجِيزَةً، وَسَوَاءٌ تَكَرَّرَتْ أَمْ لَا وَكُلَّمَا تَكَرَّرَ حَلَا وَعَلَا لَا يَخلق عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا يَمَلُّ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَإِنْ أَخَذَ فِي الْوَعِيدِ وَالتَّهْدِيدِ جَاءَ مِنْهُ مَا تَقْشَعِرُّ مِنْهُ الْجِبَالُ الصُّمُّ الرَّاسِيَاتُ، فَمَا ظَنُّكَ بِالْقُلُوبِ الْفَاهِمَاتِ، وَإِنْ وَعَدَ أَتَى بِمَا يَفْتَحُ الْقُلُوبَ وَالْآذَانَ، وَيُشَوِّقُ إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَمُجَاوَرَةِ عَرْشِ الرَّحْمَنِ، كَمَا قَالَ فِي التَّرْغِيبِ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.[السجدة: ١٧].

وَقَالَ: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.[الزخرف: ٧١]

وَقَالَ فِي التَّرْهِيبِ: ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾.[الإسراء: ٦٨].

﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾.[الملك: ١٦].

وَقَالَ فِي الزَّجْرِ: ﴿فَكُلا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ﴾.[العنكبوت: ٤٠].

وَقَالَ فِي الْوَعْظِ: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾.[الشعراء: ٢٠٥].

---

[٣٩] ينظر: تفسير ابن كثير، (١/ ٢٠٠).

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ وَالْحَلَاوَةِ، وَإِنْ جَاءَتِ الْآيَاتُ فِي الْأَحْكَامِ وَالْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي، اشْتَمَلَتْ عَلَى الْأَمْرِ بِكُلِّ مَعْرُوفٍ حَسَنٍ نَافِعٍ طَيِّبٍ مَحْبُوبٍ، وَالنَّهْيِ عَنْ كُلِّ قَبِيحٍ رَذِيلٍ دَنِيءٍ؛ كَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَغَيْرُهُ مِنَ السَّلَفِ: إِذَا سَمِعْتَ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي الْقُرْآنِ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فَأَوْعِهَا سَمْعَكَ فَإِنَّهُ خَيْرٌ مَا يُأْمَرُ بِهِ أَوْ شَرٌّ يُنْهَى عَنْهُ.

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾. الْآيَةَ.[الأعراف: ١٥٧]

وَإِنْ جَاءَتِ الْآيَاتُ فِي وَصْفِ الْمَعَادِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْأَهْوَالِ وَفِي وَصْفِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ فِيهِمَا لِأَوْلِيَائِهِ وَأَعْدَائِهِ مِنَ النَّعِيمِ وَالْجَحِيمِ وَالْمَلَاذِ وَالْعَذَابِ الْأَلِيمِ، بَشَّرَتْ بِهِ وَحَذَّرَتْ وَأَنْذَرَتْ؛ وَدَعَتْ إِلَى فِعْلِ الْخَيْرَاتِ وَاجْتِنَابِ الْمُنْكَرَاتِ، وَزَهَّدَتْ فِي الدُّنْيَا وَرَغَّبَتْ فِي الْأُخْرَى، وَثَبَّتَتْ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْمُثْلَى، وَهَدَتْ إِلَى صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ وَشَرْعِهِ الْقَوِيمِ، وَنَفَتْ عَنِ الْقُلُوبِ رِجْسَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)[٤٠].

القرآن الكريم

أساس الفصاحة والبلاغة والاعجاز

- قال الله تبارك وتعالى: {الرَّحْمَٰنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنسَانَ . عَلَّمَهُ الْبَيَانَ} [الرحمن:١ـ٤].

قال ابن عطية: "{الْبَيَانَ} النُّطق والفهم والإبانة عن ذلك بقول. قاله: ابن زيد والجمهور، وذلك هو الذي فضَّل الإنسان من سائر الحيوان"[٤١].

وقال السمرقندي: "{عَلَّمَهُ الْبَيَانَ} يعني: الكلام. ويقال: يعني: الفَصَاحة. ويقال: الفهم"[٤٢].

---

[٤٠] يُنظَر: تفسير ابن كثير، (١/ ٢٠٠).

[٤١] يُنظَر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، (٥/٢٢٣).

[٤٢] يُنظَر: تفسير بحر العلوم للسمرقندي، (٣/٣٧٨).

- وقال الله تعالى على لسان نبيه موسى عليه السلام: {وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ . قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ} [القصص:٣٤-٣٥].

قوله: {هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا} [القصص من الآية:٣٤] أي: "أحسن بيانًا عما يريد أن يبينه فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يقول: عونا يُصَدِّقُنِي: أي يبين لهم عني ما أخاطبهم به"[٤٣].

- وقال أيضًا على لسانه: {وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي. يَفْقَهُوا قَوْلِي} [طه:٢٧-٢٨]. قال الشّافعي: "الفصاحة إذا استعملتها في الطاعة أشفى وأكفى في البيان، وأبلغ في الإعذار، لذلك دعا موسى ربه، فقال {وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي. يَفْقَهُوا قَوْلِي} [طه:٢٧-٢٨] لما عَلِم أن الفصاحة أبلغ في البيان"[٤٤].

وقال السعدي: "أن الفصاحة والبيان مما يعين على التعليم، وعلى إقامة الدعوة، لهذا طلب موسى من ربه أن يحلَّ عقدة من لسانه؛ ليفقهوا قوله، وأن اللُّثْغة لا عيب فيها إذا حصل الفهم للكلام..." [٤٥].

اللثغة: أن تعدل الحرف إلى حرف غيره. والألثغ: الذي لا يستطيع أن يتكلم بالراء[٤٦].

كيفَ تَكونُ فَصيحَاً طليقَ اللسانِ؟

إن فصاحة اللسان فنٌ رشيق، وأسلوبٌ أنيق، لا يُكتسب بالفطرة، ولا يأتي بالصدفة، ولا يُنال بالوراثة، فإن أردتَ لنفسك لسانا فصيحاً يفتنُ العقول، وقولا بليغا يأخذ الألباب، فلتجعل مِداد لسانك، وحبر قلمك، وغذاء عقلك،

١)قراءة القرآن الكريم؛ فهو منبع البلاغة والفصاحة.

---

[٤٣] يجامع البيان للطبري، (٢٤٩/١٨).

[٤٤] تفسير الإمام الشافعي، (١٠٧٠/٣).

[٤٥] تيسير اللطيف المنان، للسعدي، (٢٣٥/١).

[٤٦] يُنظَر: لسان العرب لابن منظور، (٤٤٨/٨)..

٢)قراءة كتب التفسير عموماً ثم التي تهتم بالجوانب البلاغية.

٣)الاستماع للخطباء المفوهين في البلاغة وحسن التعبير، لا إلى هؤلاء الذين ينصبون الفاعل مرة ويجرونه أخرى، ويخلطون في الحركات أثناء خطبهم.

الكلمة الفصيحة

من شروط الفصاحة في الكلام :

- سلامة التركيب الكلامي أو الكتابي من ضعف التأليف والتعبير، والضابط في ذلك هو مدى الالتزام بقواعد اللغة العربية كتابة وتعبيراً. سلامة التركيب من تنافر الكلام ومثال ذلك قول الشاعر:

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرُ ... وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ

أ- استخدام اللفظ بشكل واضح من غير تعقيد مقصود في المعنى، كأن يكون المعنى يمكن عرضه بطريقة سهلة وواضحة، فطمعاً في التكلّف في التعبير يلجأ إلى استخدام ألفاظ تعقّد إلى حد ما المعنى.

الكلام المتنافر الحروف مذموم عند أهل الفصاحة، حتَّى لو كان له معنى جميل، فكيف وهو بلا معنى كتلك الجملة.

كأن يقول: (بث الحاكمُ ألسنةً في المدينةِ) بدلاً من (نشرَ الحاكمُ عيونَهُ في المدينة).

ب-خلو التركيب من العاميّة، التي تضعف هيبة الفصاحة في اللغة، كأن يستخدم عبارات فصيحة يتخللها بعض الكلمات العاميّة.

ج-الضعف النحوي، أو مخالفة القياس النحوي.

كعود الضمير على متقدم لفظاً ورتبةً إلى متأخرٍ لفظاً ورتبة، كقول الشاعر:

جَزَى بَنُوه أَبَا الغَيْلانِ عَنء كِبَرٍ *** وحُسْنِ فِعْل كَمَا يُجْزَى سِنِمّارُ

فالضمير في بنوه يعود على أبي الغيلان وبقوة متقدم عليه لفظاً كما ترى ورتبة؛ لأنَّه فاعلٌ وجاء أبو الغيلان مفعولاً، فلزم الإضمار قبل الذكر وهو خلاف الأصل.

د- البعد عن الإطالة في التعبير لغير ضرورة، فالتكرار وإعادة المعنى بعدة قوالب لا ينمّ إلاّ عن ضعف؛ لأنَّ البلاغةَ هي: أجاعةُ[٤٧] اللفظِ وَإشْبَاع المَعْنَى.

٤)دراسة اللغة العربية الفصيحة، هي لغة القرآن الكريم، فالمحافظة عليها باستخدامها في الكتابة والتعبير يعدّ من شعائر إسلامنا العظيم، وربما يكون هذا مناسباً أكثر للمدرسين في مدارسهم، والمحاضرين في الجامعات، والخطباء في المساجد، فهؤلاء لديهم متسع مناسب لاستخدام اللغة العربيّة في التعبير.

٥) تعويد اللسان على الكلام باللغة العربية الفصيحة كلّما سنحت الفرصة، ومتى كان السياق يسمح بذلك إذا لا يعقل أن تكون بين مجموعة من العوام وأنت تتحدث معهم في اللغة الفصيحة، فلربما تحتاج إلى مترجمٍ لك من ناحية، ومن ناحية قد يكون بعض الحرج.

٦) التدرّب على الكتابة الإبداعيّة باللغة العربية السليمة، ككتابة الخواطر والمقالات، ونشر ذلك في القروباتِ مثلاً إن أمكن، فاللغةُ العربيةُ الفصيحةُ هي لغةُ القرآنِ الكريم فعلينا ترك القص واللصق، والتعود على الكتابة الارتجالية.

٧)الإكثار من قراءة الكتب التي تكون مكتوبةً بلغةٍ عربيّة سليمة، ومن ذلك ما يتعلّق بكتب الشعر الجاهلي قبل الإسلام، فالعرب القدامى فنانون في تعبيرهم وكتاباتهم.

وكتب ومقالات من عُرِفوا بين الناس بسلامة ذوقهم، وصفاء قريحتهم، وسحر بيانهم

وعليك بقراءة القرآن الكريم بصوت مرتفع؛ لأن القرآن الكريم سيساعدك كثيراً في تحسين المخارج الصوتية.

---

[٤٧] المعنى: إجادة اللفظ.

وعندما تكون بمفردك داخل غرفتك حاول التكلم بصوت عالٍ، كأنَّك مـذيعٌ، أو كأنَّـك ستلقي محاضرةً، حتَّى تكون عندك الشجاعةُ للتحدث أمامَ الناسِ، أو أمام الجمهـور وفى نفس الوقت سوف تدرب نفسك على فصاحة اللسان .

وإذا كنت تسكن بالقرب من أحد المساجد فقم بإعطاء بعض مجموعات التقوية المجانية للطلبة في المرحلة الابتدائية، أو الإعدادية حسب ما تملكه من معلومات وهذا سيجعلك تتكلم كثيراً، وتصبح فصيحاً بإذن الله.

قراءة كتاب مقامات الحريري بصوت مرتفع، وكتب الأدب عموماً من أحسن كتب الأدب للمبتدئ، البخلاء للجاحظ، ومقامات الحريري.

وقيل: "من عُرف بفَصَاحة اللِّسان، لحظته العيون بالوَقَار"[٤٨].

[٤٨] يُنظَر: المستطرف في كل فن مستطرف، لشهاب الدين الإشبيهي، (ص٥١).

المتكلم البليغ

إن المتكلم البليغ من يتصف بالآتي:

١- غريزة: يمن الله بها على من يشاء من عباده فيجعله فصيحاً قوي الكلام قوي الإقناع

٢- مكتسبة: وذلك بالتمرّن على الخطابة، ولو أن تخرج إلى البر وتستحضر الأشجار حولك كأنهم رجال ثم تخطب فيهم، فإن شئت قل: أيها الناس، أو قل: أيها الأشجار. المهم أن تتعود على الخطابة

والبليغ هو: القادر على التعبير عن المراد بكلام بليغ بحيث يتكلم بالكلام المناسب بالوقت المناسب بالمدة المناسبة، مع مراعاة أحوال المخاطبين.

فمن المناسب في شهر رمضان أن تتحدث عن فضل الشهر والصوم، وآداب الصيام

وهكذا، وكما قيل: لكل مقام مقال، ولكل حادثة حديث، وخير العلوم علوم الحال.

علوم البلاغة:

علوم البلاغة ثلاثة:

علم المعاني، والبديع، والبيان، ونبدأ ـ إن شاء اللهُ ـ بعلمِ البديع لسهولته، ويسره، وملاحته، وهذا في نظري من سياسية العلم، حيث تبدأ بالمحبوب المرغوب، فينساب إليه المرهوب.

الباب الأول

علم البديع

علم البديع لغة:

يقول ابن فارس: الباء والدال والعين أصلان: أحدهما ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال سابق، والآخر الانقطاع والكلال[٤٩].

ويقول الجرجاني: لإبداع: إيجاد الشيء من لا شيء؛ وقيل: الإبداع: تأسيس الشيء عن الشيء، والخلق: إيجاد شيء من شيء[٥٠].

يقول الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧].

فعلم البديع: يُعدُّ أهمَ فرعٍ من علوم البلاغة، حيث يختصُ بتحسينِ أوجه الكلام، وتحسينه اللفظية والمعنوية.

أولُ المؤسسينَ لهذا العلمِ:

أول من كتب فيه كتابًا خاصًّا -على ما قيل- عبد الله بن المعتز الخليفة العباسي المتوفى سنة: ٢٩٦هـ وكان الشعراء من قبله يأتون في أشعارهم بضروب من البديع؛ كبشار بن برد ومسلم بن الوليد، وأبي تمام، وغيرهم، فجاء ابن المعتز وجمع من أنواعه سبعة عشر نوعًا[٥١].

أنواع المحسنات البديعية:

المحسنات البديعية ضربان: معنوي يرجع إلى تحسين المعنى وضرب لفظي يرجع إلى تحسين اللفظ أصلاً، وإن تبع ذلك تحسين المعنى.

---

[٤٩] يُنظَر: مقاييس اللغة، لابن فارس، (١/ ٢٠٩).

[٥٠] يُنظَر: التعريفات، للجرجاني، (ص٨).

[٥١] يُنظَر: المنهاج الواضح للبلاغة، خالد عوني، (١/ ٦).

أنواع المحسنات اللفظية هي:

الجناس هو تشابه اللفظين في النطق، لا في المعنى، ويكون تامًّا وغير تام.

فالتامُّ: ما اتفقت حروفه في الهيئة والنوع، والعدد والترتيب نحو:

فدارهم ما دمت في دارهم ***وأَرْضِهم ما دمت في أرضهم

أمثلة على المحسنات اللفظية تتضمن هذه الأمثلة ما يأتي: قال تعالى: ﴿وَيَومَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقسِمُ ٱلمُجرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيرَ سَاعَة﴾[الروم:٥٥].

الساعة، ساعة: جناس تام اتفقت حروف الكلمتين بعدد الحروف ونوعها وهيئتها وترتيبها.

اللّهُمَّ أعطِ منفقًا خلفًا، وأعطِ ممسكًا تلفًا. خلفًا، تلفًا: سجع. يقول الشاعر: الوصل صافية والعيش ناغية والسعد حاشية والدهر ماشينا المحسّن اللفظي هو حسن التقسيم.

قال تعالى: ﴿وَتخشَى النَّاسَ وَاللهُ أحقُّ أن تخشَاهُ﴾[الأحزاب:٣٧].

المحسّن اللفظي: هو ردّ العجز على الصدر. يقيني بالله يقيني. يقيني، يقيني: جناس تام. بيض الصفائح لا سود الصحائف.

الصفائح، الصحائف: جناس ناقص اختلف ترتيب الحروف بين الكلمتين. الفضيلة لا يجاريكم فيها مجاراة ولا يباريكم فيها مبار. المحسّن اللفظي هو الازدواج. لا تضع يومك في نومك. يومك، نومك: جناس ناقص.

المحسّن اللفظي: هو الازدواج. لا تضع يومك في نومك. يومك، نومك: جناس ناقص. المعالي عروس، مهرها بذل النفوس. العروس، النفوس: سجع. قال الشاعر: سكت فغرّ أعدائي السكوت وظنوني لأهلي قد نسيت المحسّن اللفظي هو السكوت، دوام الحال من المحال.

أمثلة على المحسنات المعنوية تتضمن هذه الأمثلة ما يأتي: قال تعالى: "وتحسبهم أيقاظًا وهم رقود." أيقاظًا،

رقود: طباق إيجاب. قال تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾[التوبة: ٨٢].

المحسّن اللفظي هو المقابلة. لا فرق لأبيض على أسود إلا بالتقوى. أبيض، أسود: طباق إيجاب. قال تعالى: ﴿قُل هَل يَستَوِي الذِّينَ يَعلَمُونَ والذَّينَ لَا يَعلَمُونَ﴾[الزمر: ٩].

أقسام الجناس

وهو قسمان: تام وغير تام، فالجناس التام: هو ما اتفق فيه اللفظان في أربعة أمور هي: أنواع الحروف، وأعدادها، وهيئتها الحاصلة من الحركات والسكنات، وترتيبها. وهذا هو أكمل أنواع الجناس إبداعا وأسماها رتبة.

[فمن أمثلة الجناس المماثل بين «اسمين» قوله تعالى: ﴿وَيَومَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقسِمُ ٱلمُجرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيرَ سَاعَة﴾[الروم:٥٥].

الشّاهد على الجناس التام في هذه الآية الكريمة هو كلمة (السّاعة)، فقد ذُكرت مرّتين بمعنيين مختلفين، فالأولى يُقصد بها يوم القيامة، والثانية يقصد بها المدة الزمنية من الوقت.

قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ* أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ* وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾[الرحمن: ٧ ـ ٩]. فقد تكرّرت كلمة الميزان دون أي تغيير في شكل الكلمة، فقد وردت في الآية الكريمة ثلاث مرات بمعانٍ مختلفة، فالميزان في الأولى بمعنى الشرع، والثانية بمعنى التقدير والوزن، والأخيرة بمعنى الميزان المعروف لدينا.

قوله تعالى: ﴿يكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يذْهَبُ بالأبصار * يُقَلِّبُ اللهَ الليْلَ والنّهارَ إنّ في ذلكَ لَعِبرَةً لأولي الأبصَار﴾[النور: ٤٣] شاهدنا في هذه الآية الكريمة جاء في كلمة (الأبصار) فمعناها في الأولى البصر ؛حاسة البصر، أمّا في الثانية فهي إشارة لأصحاب العقول.

ومنه ما قضى الله كائن لا محاله***والشقي الجهول من لام حاله

الجناس غير التام (الناقص): وهو الجناس الذي يختلف فيه اللفظان في نوع الحروف أو عددها أو هيئاتها أو ترتيبها مع اختلاف في المعنى

أمثلة من القرآن على الجناس الناقص قوله تعالى: ﴿وجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَـاظِرَةٌ"﴾ [القيامة: ٢٢] في هذه الآية الكريمة نُلاحظ أنّ شاهدنا على الجناس الناقص غير التام قد وقع بين لفظتي (ناضرة) و (ناظرة)، فقد اختلفتا في نوع الحرف، فجاء حرف الضاد في الأولى، أما الثانية جاء فيها حرف الظاد.

قال تعالى: ﴿وَالْتَفّتِ السّاقُ بِالسّاقِ * إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾[القيامة: ٢٩]. وهنا نرى أنّ الجناس الناقصُ غير التام جاء بين لفظتي (المساق) و (الساق)، فقد زادت الأولى بحرف الميم عن الثانية، وهذا تغيّر في عدد الحروف بين اللفظتين .

قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَونَ عنهُ وَيَنْأونَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦]. أما في هذه الآية الكرية نلاحظ أنّ الجناس الناقص غير التام جاء هنا بين لفظتي (ينهون) و (ينأون)، فقد تغيّر فيهما نوع الحرف، ففي الأولى حرف الهاء، وفي الثانية نلاحظ أن الهمزة جاءت مكان الهاء في الكلمة الأولى.

قالت الخنساءُ في رثاء أخيها صخر:

إنّ البُكاءَ هو الشِّفا.... ءُ منَ الجَوَى بينَ الجَوانِح

في هذا البيت الشعري نلاحظُ أنّه قد جاء الجناس الناقص بين كلمتي (الجوى) و (الجوانح)؛ ذلك لأنّه قد حدثت زيادة في عدد حروف كلمة (الجوانح) عن كلمة (الجوى) [٥٢].

---

[٥٢] يُنظَر: البلاغة العربية، لحنبكة، (٢/ ٤٩٤).

الاقتباس

تعريف الاقتباس:

- الاقتباس لغة: جاء في اللسان (قبس)[٥٣] «وفي التهذيب[٥٤]: القبس: شعلة من نار تقتبسها من معظم، واقتباسها الأخذ منها ...

واقتبست منه علماً أيضاً، أي: استفدته ... وأتانا فلان يقتبس العلم فأقبسناه، أي علّمناه» ظاهر إذا معنى الأخذ في الاقتباس. والقابس كما تمحور في الاستعمال هو الآخذ ناراً أو علماً. والعلم نور والنار من معاني النور المجازية فالشعر القديم والحديث جعل للمعرفة ناراً[٥٥].

- الاقتباس اصطلاحا: جاء في معجم المصطلحات «الاقتباس: إدخال المؤلّف كلاما منسوبا للغير في نصّه، ويكون ذلك إمّا للتحلية أو للاستدلال، على أنّه يجب الإشارة إلى مصدر الاقتباس بهامش المتن وإبرازه بوضعه بين علامات تنصيص («») أو بأية وسيلة أخرى ... والاقتباس في البديع العربي، أن يتضمّن الكلام نثرا أو شعرا شيئا من القرآن الكريم، أو الحديث الشّريف، لا على أن المقتبس جزء منهما، ويجوز أن يغيّر المقتبس في الآية أو الحديث قليلا» واضح معنى الأخذ في مصطلح الاقتباس البديعي. وقد عرّفه البلاغيّون قديما بأنّه «هو أن يضمّن الكلام شيئا من القرآن أو الحديث، لا على أنّه منه»[٥٦].

وهكذا فإن الاقتباس عند البلاغيين محصور بالقرآن الكريم، والحديث الشريف.

[٣ - الاقتباس من القرآن الكريم]

---

[٥٣] يُنظَر: لسان العرب، لابن منظور، (٦/ ١٦٧).

[٥٤] يُنظَر: تهذيب اللغة، للهروي، (٨/ ٣١٨).

[٥٥] يُنظَر: علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»، للديب، (ص١٢٧).

[٥٦] معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، وهبة- المهندس، (ص ٣٤)، والإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، (ص ٥٧٥).

قال الحريري[٥٧] : «فلم يكن إلّا كلمح البصر أو هو أقرب، حتّى أنشد فأغرب» فالحريري اقتبس جزءا من سورة النحل ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل:٧٧].

وكقول الحريري أيضا: «أنا أنبّئكم بتأويله وأميز صحيح القول من عليله» فقد اقتبس الحريري جزءا من الآية ٤٥ من سورة يوسف التي جاء فيها ﴿وَقالَ الَّذِي نَجا مِنْهُما وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾.[يوسف: ١٥].

وقال القاضي الفاضل وقد ذكر الإفرنج «وغضبوا زادهم الله غضباً، وأوقدوا ناراً للحرب جعلهم الله لها حطباً» فاقتبس جزءاً من الآية ٦٤ من سورة المائدة .. ﴿وَأَلْقَيْنا بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ وَالْبَغْضاءَ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ كُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ﴾[المائدة: ٦٤].

ومن أمثلة اقتباس الشعراء من القرآن الكريم. من ذلك قول الأحوص (الطويل):

إِذَا رُمْتُ عَنْهَا سَلْوَةً قَالَ شَافِعٌ *** مِنَ الْحُبِّ مِيعَادُ السُّلُوِّ الْمَقَابِرُ

سَتَبْقَى لَهَا فِي مُضْمَرِ الْقَلْبِ والْحَشَا ***سَرِيرَةُ حُبٍّ "يَوْمَ تُبْلَى السَّرائَر

لقد اقتبس الأحوص الآية ٩ من سورة الطارق التي تقول: يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرُ[٥٨].

ومن ذلك قول الشاعر:

إنْ كنتَ أَزْمَعْتَ على هَجْرِنا *** من غيرِ ما جُرْمٍ فصَبْرٌ جَميلْ

وإنْ تَبَدَّلْتَ بنا غيرَنا *** فَحَسْبُنا اللهُ ونِعْمَ الوَكيلْ

فالبيت الأول مقتبس من قوله تعالى : ﴿وَجاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

---

[٥٧] مقامات الحريري، (ص٣٢).

[٥٨] ينظر: علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»، للديب، (ص١٢٨).

والبيت الثاني مقتبس من قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

ملاحظة لا يجوز الاقتباس بما يخص الله جل جلاله مثل: (إني أنا ربك).

ولا يجوز الاقتباس من كلام النبي ﷺ .

قول ابن القيم رحمه الله في نونيته:

فإذا أبيتم فالسلام على من اتبـ ... ـع الهدى وانقاد للقرآن

والخاص برسول الله ﷺ: أنا النبي لا كذب.

السجع

السجع أحد أنواع المحسنات اللفظية المستخدمة في علم البلاغة في اللغة العربية، وهو توافق الفاصلتينِ في فِقْرتين أو أكثر في الحرف الأخير، أو هو توافق أواخر فواصل الجمل [الكلمة الأخيرة في الفقرة]، ويكون في النثر فقط مثل: (الصوم حرمان مشروع، وتأديب بالجوع، وخشوع لله وخضوع).ومثل: (المعالي عروس مهرها بذل النفوس).ومثل: قول النبي محمد، في الحديث الذي رواه ابن ماجة عن ابن عباس رضي الله عنهما: «ربّ تَقَبّلْ تَـوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجّتِي».

(الحقد صدأ القلوب، واللجاج سبب الحروب) اللجاج: التمادي في الخُصومة

إذا لم يكن هناك سجع بين الجمل يسمى الأسلوب مترسلاً.

وقد أُلِف "الكهان" النطق بالسجع، حتى غلب على كلامهم، واختص بهم، كما اختص الشعر بالشعراء، فعرف لذلك بـ"سجع الكهان". "ولما قضى النبي ﷺ، في جنين امرأة ضربتها الأخرى، فسقط ميتًا بغرة على عاقلة الضاربة، قال رجل منهم: كيف ندي من لا شرب ولا أكل ولا صاح، فاستهل. ومثل دمه يطل. قال ﷺ: "أسجع كسجع الكهان".

ذكر ابن دقيق العيد في شرح العمدة: أن ما ورد من ذم السجع محمول على السجع المتكلف لإبطال حق وتحقيق باطل أو لمجرد التكلف بدليل أنه قد ورد السجع في كلام النبي صلى الله عليه وسلم وفي كلام غيره من السلف

وَعن عبدِاللَّهِ بنِ سَلاَمٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ: (أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشوا السَّلامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا باللَّيْل وَالنَّاسُ نِيامٌ، تَدخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلامٍ) رواهُ الترمذيُّ وقالَ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

وقال ﷺ: اعْفُ عمَّنْ ظَلَمَكَ، وصِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وأحسنْ إلى مَنْ أساءَ إليكَ، وقُلْ الحقَّ ولَوْ على نفسِكَ

عن عبد الله بن مسعود رضي اللَّه عنها قال رسول الله ﷺ: (اللَّهُمَّ إني أسألك الهُدى والتقى والعفاف والغِنى) من أفراد مسلم على البخاري

•أربع دعوات تجمع لك الخير كله.

ما الحكمة من اتفاق أواخر الآيات في القرآن؟

الفاصلة القرآنية، هي: "كلمة آخر الآية، "وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام، وتسمى فواصل، لأنه ينفصل عندها الكلامان؛ وذلك أن آخر الآية قد فَصل بينها وبين ما بعدها، ولم يسموها أسجاعًا"[٥٩].

"وقد وقع خلاف بين العلماء في صحة وجود السجع في القرآن، والخلاف لفظي، ومآله إلى الاتفاق؛ فالسجع الباطل الذي نهي عنه، وهو سجع الكهان: لا يوجد في كلام الله، وهو يخالف السجع الصحيح الوارد في كلام الله، وفي كلام رسوله ﷺ، وفي كلام بلغاء العرب"[٦٠].

---

[٥٩] البرهان في علوم القرآن، (١/ ٥٣ - ٥٤).

[٦٠] شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي، (ص٢٧٣).

ثانيًا: وقد عد العلماء فوائد الفواصل القرآنية، ومن ذلك قول الإمام "القرطبي": "الفواصل حلية وزينة للكلام المنظوم، ولولاها لم يتبين المنظوم من المنثور.

ولا خفاء أن الكلام المنظوم أحسن، فثبت بذلك أن الفواصل من محاسن المنظوم، فمن أظهر فواصله بالوقوف عليها فقد أبدى محاسنه، وترك الوقوف يخفي تلك المحاسن، ويشبه المنثور بالمنظوم، وذلك إخلال بحق المقروء"[٦١].

ويقول "الطاهر ابن عاشور" في بلاغة الفواصل القرآنية: "واعلم أن هذه الفواصل من جملة المقصود من الإعجاز؛ لأنها ترجع إلى محسنات الكلام، وهي من جانب فصاحة الكلام، فمن الغرض البلاغي الوقوف عند الفواصل، لتقع في الأسماع، فتتأثر نفوس السامعين بمحاسن ذلك التماثل، كما تتأثر بالقوافي في الشعر وبالأسجاع في الكلام المسجوع.

ألا ترى أن من الإضاعة لدقائق الشعر أن يلقيه ملقيه على مسامع الناس دون وقف عند قوافيه، فإن ذلك إضاعة لجهود الشعراء، وتغطية على محاسن الشعر، وإلحاق للشعر بالنثر.

وإن إلقاء السجع دون وقوف عند أسجاعه هو كذلك لا محالة، ومن السذاجة أن ينصرف ملقي الكلام عن محافظة هذه الدقائق، فيكون مضيعًا لأمر نفيس أجهد فيه قائله نفسه وعنايته. والعلة بأنه يريد أن يبين للسامعين معاني الكلام: فضول؛ فإن البيان وظيفة ملقي درس لا وظيفة منشد الشعر، ولو كان هو الشاعر نفسه"[٦٢].

وقد نقل "السيوطي" في "الإتقان" عن بعض العلماء قوله: "قال: فإن قيل: إذا كان عندكم أن السجع محمود، فهلا ورد القرآن كله مسجوعًا: وما الوجه في ورود بعضه مسجوعًا وبعضه غير مسجوع؟

---

[٦١] تفسير القرطبي" (٢٠/ ٢٠٧).

[٦٢] التحرير والتنوير" (١/ ٧٦).

قلنا: إن القرآن نزل بلغة العرب، وعلى عرفهم وعادتهم، وكان الفصيح منهم لا يكون كلامه كله مسجوعًا، لما فيه من أمارات التكلف والاستكراه لا سيما مع طول الكلام، فلم يرد كله مسجوعًا جريًا منه على عرفهم في اللطافة الغالبة، أو الطبقة العالية من كلامهم، ولم يخل من السجع لأنه يحسن في بعض الكلام على الصفة السابقة"[٦٣].

المُحسنات المعنوية

الطباق والمُقابلة

تعريف الطباق: الْجَمْعُ بَيْنَ الشيْءِ وضِده في الكلام.

وقد يكون الضدان:

١) اسمين: مثل: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣].

٢) فعلين: مثل: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ [النجم: ٤٣].

٣) حرفين: مثل: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

٤) مختلفين: مثل: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد: ٣٣].

المقابلة

وهي: ذكر لفظين أو أكثر، ثم ذكر ما يضادها على الترتيب[٦٤].

الأمثلة:

١) قال تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ [التوبة: ٨٢].

٢) قال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

٣) قال أبو جعفر المنصورُ: لا تخرجوا منْ عز الطاعة إلى ذل المعصية. ومنه

ما أحسنَ الدِّينَ والدُّنيا إذا اجتمعا*** لا بَارَكَ الله في دُنْيا بِلا دِيْنِ

---

[٦٣] الإتقان في علوم القرآن، (٣/ ٣٣٧ - ٣٣٨).

[٦٤] عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، للسبكي، (٢/ ٢٣١).

الفرق بين المقابلة والطباق:

الطباق لا يكون إلا بين ضدين فقط، أما المقابلة فتكون بين أكثر من ضدين، والبعض لا يرى فرقاً.

فائدة الطباق المقابلة: إبراز المعنى وتوضيحه؛ لأن الضد يُظهر حسنَه الضد.

المشاكلة

المُشاكَلةُ لُغةً[٦٥]: مَصدرُ: شاكَلَ يُشاكِلُ مُشاكَلةً، بمَعْنى: المُوافَقةُ والمُشابَهةُ.

واصْطِلاحًا: "ذِكْرُ الشَّيءِ بلفْظِ غيرِه؛ لوُقوعِه في صُحبتِه، تَحْقيقًا أو تَقْديرًا".

فالتَّحْقيقُ مِثلُ قولِه تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، فجعَل سُبحانه الجَزاءَ على السَّيِّئةِ سَيِّئةً، وهُو ليس كذلك، وإنَّما لمُناسَبةِ السَّيِّئةِ الَّتي سبَقته.

ومنه قولُ الشَّاعِرِ: الكامل

قالوا اقْتَرِحْ شَيئًا نَجِدْ لك طَبْخَه***قلتُ اطْبُخوا لي جُبَّةً وقَمِيصَا

فالجُبَّةُ والقَميصُ لا يُطبَخانِ، وإنَّما أتى بهذا اللَّفظِ لمُناسَبةِ قولِهم: "نَجِدْ لك طبْخَه".

كأنه ليس جائعا ولكن يشكوا من ألم البرد فلم يأت بلفظ انسجوا وإنما قال اطبخوا فمشاكل لفظهم ليستعجلهم ويحثهم فيعلموا شدة حاجته التي أدت الى تغيير لفظه فيبادروا في قضائها.

ومنه أيضًا قولُ عَمْرِو بنِ كُلثُومٍ: الوافر

أَلَا لا يَجْهلَنْ أحَدٌ علينا ***فنَجهَلَ فوقَ جهْلِ الجاهِلينا

فجعَل مُعاقَبةَ الجاهِلِ بجهْلِه جهْلًا؛ لمُشاكَلةِ الجهْلِ المَذْكورِ.

---

[٦٥] المعجم المحيط، (ص٨١٩).

الجمع

وهو الجمع بين الشيئين أو اشياء في حكم واحد كقوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦]

فقد جمع الله سبحانه وتعالى المال والبنون في الزينة.

ومنه قوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبانٍ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدانِ﴾. فجمع بين الشمس والقمر في الحسبان أي الحساب.

الحسبان بضم الحاء كالغفران: الحساب الدقيق، والنجم هنا: النبات الذي ينجم أي يظهر من الأرض ولا ساق له، والشجر: النبات الذي له ساق وله أغصان، ويسجدان:

أي ينقادان لما أراده الله سبحانه منهما[٦٦].

عند قول الشاعر:

إن الشباب والفراغ والجدة ***مفسدة للمرء أي مفسدة

الدقيق، وجمع بين النجم والشجر في السجود أي الانقياد لإرادة الله سبحانه.

ومنه قوله ﷺ: « مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بحذافيرها» [٦٧]. فجمع الأمن ومعافاة البدن وقوت اليوم في حكم واحد هو حيازة الدنيا وامتلاكها بحذافيرها أي من جميع نواحيها.

ومنه شعرا قول أبي العتاهية:

إن الشباب والفراغ والجدة ***مفسدة للمرء أي مفسدة

---

[٦٦] فوائد من شرح الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله لكتاب (قواعد اللغة العربية في النحو والصرف والبلاغة) قسم البلاغة منه.

[٦٧] أخرجه البخاري في الأدب المفرد، (بَابُ مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي سِرْبِهِ) برقم: (٣٠٠).

فجمع الشاعر بين الفراغ والشباب والجدة أي: الاستغناء في حكم واحد هو المفسدة، أي: أن هذه الأمور تؤدي بصاحبها إلى الفساد.

وعند قول الشاعر: إن الشباب والفراغ والجدة ***مفسدة للمرء أي مفسدة

قال الشيخ رحمه الله:(إن الشباب والفراغ والجدة) ثلاثة أشياء كلها داء إلا إذا وُفِّق الإنسان واستعملها في النافع، الفراغ يعني عدم العمل، وتعرفون الإنسان إذا لم يكن له عمل ذهب ذهنه كل مذهب وصار يخبط خبط عشواء، الجدة يعني الغنى لأن الفقر يُلْجِئ الإنسان إلى العمل لكنه إذا كان غنياً وكان شاباً وكان فارغاً ما في شغل، هذا الفساد، ولهذا نجد أن أكثر المكذبين للرسل هم الأغنياء والكبراء، والغرض من هذا البيت تحذير الشاب الذي أغناه الله عز وجل وأفرغه عما يلهيه أن يُضِيعَ هذه الصفات الثلاث في غير فائدة

السرب بكسر السين وسكون الراء: النفس وهو المراد هنا، ومن معانيها أيضا: الجماعة من النساء والبقر والقطا والشاء والوحش، والجمع أسراب، والحذافير: النواحي، واحدها حذفار[٦٨].

التفريقُ

التفريق: [٦٩]. وهو أن يفرق بين أمرين من نوع واحد في الحكم، كقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَستَوِي البحرَانِ هَذَا عذبٌ فراتٌ سائغٌ شرابُهُ وَهَذَا مِلحٌ أُجاج﴾ [الرحمن: ١٢]

كما قلت: هوَ أنْ يُفرَّقَ بينَ شيئينِ منْ نوعٍ واحدٍ، كقولِه:

ما نَوالُ الغَمامِ وقتَ ربيعٍ ***كنوَالِ الأميرِ يومَ سَخاءِ

فنوالُ الأميرِ بَدْرَةُ عَـــينٍ ***ونوالُ الغَمامِ قَطرةُ ماءِ

---

[٦٨] فوائد من شرح الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله لكتاب (قواعد اللغة العربية في النحو والصرف والبلاغة) قسم البلاغة منه.

[٦٩] جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، للهاشمي، (ص٣١١).

التقسيم:

وهو أن يأتي بمتعدّد ثم يحكم على كل واحد منها بحكم، كقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة:٤ـ٥].

وقد يطلق التقسيم على أمور منها:

إمَّا استيفاءُ أقسامِ الشيءِ، نحوُ قول الشاعر:

وأَعْلَمُ عِلْمَ اليومِ والأمْسِ قبلَه ***ولكنَّني عنْ علْمِ ما في غَدٍ عَمِ

وإمَّا ذِكْرُ متعدِّدٍ وإرجاعُ ما لِكُلٍّ إليه على التعيينِ، كقولِ القائل:

ولا يُقيمُ على ضَيْمٍ يُرادُ به ***إلاقَّ الْأَذَلاَّنِ: عِيْرُ الْحَيِّ والوَتِدُ

هذا على الْخَسْفِ مربوطٌ بِرُمَّتِهِ ***وذا يُشَجُّ فلا يَرْثِي لهُ أَحَدُ

وإمَّا ذِكْرُ أحوالِ الشيءِ مُضافًا إلى كُلٍّ منها ما يَليقُ به، كقولِه:

ثِقالٌ إذا لاَقَوْا خِفافٌ إذا دُعُوا ***كثيرٌ إذا شَدُّوا قليلٌ إذا عُدُّوا

سأطلُبُ حقِّي بالقَنا ومشايخٍ ***كأنَّهم منْ طُولِ ما التُثِمُوا مُرْدُ

التجريد

التجريد في اللّغة: قَشْرُ الشيء، كَقَشْرِ اللِّحاء عن الشجرة حتَّى تكون مجرّدة من لِحَائِهـا، وإزالَةُ ما على الشيء من ثوب ونحوه، وتَعْرِيتُه، وإزالة ما على الجلْدِ من شَعَرٍ ونَحْوِه.

التجريد في الاصطلاح هنا: أن ينتزع المتكلّم الأديب من أمْرٍ ما ذي وصفٍ فأكثر أمْراً آخر فأكثر مِثْلَهُ في الصفة أو الصفات على سبيل المبالغة.

ويظهر لنا معنى المبالغة حينما نلاحظ أَنّها قائمة على ادّعاء أنّ الشيْءَ الّذي يُنْتَزَعُ منه مثله على سبيل التجريد هو بمثابةِ الذي يفيض بأمثال ما يُسْتَخْرَجُ منه دواماً.

فمن قال: "لي من فلان صديق حميم" فكأنَّما جرَّدَ فُلاَناً من كُلِّ ظواهره واستخرج منه صَدِيقاً حَمِيماً[٧٠].

قال "أبو عليّ الفارسي" في سبب تسمِيَةِ هذا النوع بالتجريد:

"إِنَّ العرب تعتقد أنّ في الإنسان مَعْنىً كامناً فيه، كأَنَّهُ حقيقته وَمَحْصُولُه، فَتُخْرِجُ ذلِكَ المعنى إلى ألفاظها مُجَرّداً عن الإنسان، كأَنَّهُ غَيْرُهُ، وهو هو بعينه، كقولهم:

لَئِنْ لَقيتَ فُلاَناً لَتَلْقَيَنَّ به الأَسَدَ، ولَئِنْ سَأَلْتَهُ لَتَسْأَلَنَّ مِنْهُ الْبَحْرَ.

وهو عينهُ الأَسَدُ والْبَحْرُ، لا أَنَّ هُنَاكَ شيئاً مُنْفَصِلاً عَنْهُ أو متميّزاً منه.

وعلى هذا النّمط كوْنُ الإنسان يخاطِبُ نفسه حتَّى كأنّه يُقَاوِلُ غَيْرَهُ، كما فَعَل "الأَعْشَى" في قوله: "وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرّكْبَ مُرْتَحِلُ"...

ويكون التجريد بأساليب من التعبير، منها الأساليب التالية:

الأسلوب الأول: التجريد باستخدام حرف الجرّ "مِنْ" داخلاً على المنتزع منه[٧١].

أمثلة:

المثال الأول: قولهم: "لِي مِنْ فُلاَنٍ صَدِيقٌ حَمِيم".

أي: بلغ من الصداقة والمودة الصحيحة مبلغاً صحَّ معه أن يُسْتَخْرَجَ منه صَديقٌ آخرُ مثله في صفاته، فهو منْبَعُ أمثاله.

المثال الثاني: قول الله عزّ وجلّ:

﴿وَلْتَكُن مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَائِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:٣].

---

[٧٠] ينظر: البلاغة العربية، لحنبكة، (٢/ ٤٣١).

[٧١] ينظر: البلاغة العربية، لحنبكة، (٢/ ٤٣٢).

أي: ولْتَكُونُوا يا أيُّها الّذِينَ آمَنُوا بمحمّد وبما جاء به عن رَبِّه أُمَّةً يَدْعُونَ إلى الخير ويأمرون بالمعروف ويَنْهَون عن المنكر.

الأسلوب الثاني: التجريد باستخدام "الباء" الجارَّة داخلةً عَلى المنتَزَع منْه.

أمثلة:

المثال الأول: أن تقول: "لَئِنْ سَأَلْتَ فُلاَناً لَتَسْأَلَنَّ بِهِ البحْرَ، ولَئِنْ نَظَرْتَ إليه لترَيَنَّ به الْبَدْر، ولَئِنْ سَمِعْتَ كلامَه لتَجِدنَّ بِه السِّحْر"[٧٢].

المثال الثاني: قولي صانعاً مثلاً:

فَتًى كُنْتُ أرْتَابُ في شَأنِهِ *** وأَحْسَبُهُ مَاكِراً فَاسِقاً

فلَمّا تَقَصَّيْتُ أَسْرَارَهُ * ***رَأَيْتُ بِهِ وَرِعاً صَادِقاً

الأسلوب الثالث: التجريد باستخدام "الباء" الجارّة الداخلة على المنتزَع:

ومنه قول الشاعر:

وَشَوْهَاءَ تَعْدُو بي إلَى صَارِخِ الْوَغَى *** بِمُسْتَلْئِمٍ مِثْلِ الْفَنِيقِ الْمُرَحَّلِ

وشَوْهَاء: أي: ورُبّ فَرَسٍ شَوْهَاءَ قبيحة المنظر لِسَعَةِ أشداقها، وهذا مما يستحْسنُ في الخيل المعدَّة للحرب.

تَعْدُو بي: أي تُسْرِعُ بي.

إلى صَارخ الوغى: أي: إلى الصّارخ الذي يَصْرُخ داعياً إلى الحرب.

بمُسْتَلْئِمٍ: الْمُسْتَلْئِم هو لابس لأمَةِ الحرب، أي: عدّة الحرب وسلاحها، ويقصد نفسه، إذ هو الْمُسْتَلْئِمُ، والفرسُ تَعْدُو به، وهذا على سبيل التجريد، والباء هنا داخلة على المنتزَع لا على المنتزَع منه.

مِثْلِ الْفَنِيق: الْفَنِيقُ هو الْفَحْلُ المكرَّم عند أهله، شبّه نفسه به.

---

[٧٢] ينظر: البلاغة العربية، لحنبكة، (٢/ ٤٣٣).

الْمُرَحَّلُ: هُو البعيرُ الذي وُضِعَ عليه رَحْلُه وأرْسِلَ مُنْدَفِعاً في رِحْلَتِه.

الأسلوبُ الرابع: التجريد باستخدام حرف الجرّ "فِي" داخلاً على المنتزع منه[٧٣].

ومن أمثلته قولُ الله عزّ وجلّ: ﴿ذَلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَآءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت: ٤١].

إنّ جهنَّمَ هي دَارُ الْخُلْدِ يوم الدّين لأعداء الله، ولكن جاء على طريقة التجريد، إذِ انْتُزِعَ من جَهَنَّمَ دَارٌ وجُعلَتْ داراً لهم، بأسلوب استخدام "في" الجارّةِ الظرفية دَاخلَةً على المنتزَعِ منه.

الأسلوب الخامس: التجريد باستخدام العطف على الْمُنْتَزَعِ منه، مثل مررْتُ بالرَّجُلِ الكريم، والنّسَمَةِ المباركة، والعالم التقي.

ففي هذا المثال عَطْفُ: النسمة المباركة، وعطف العالم التقيّ، على الرَّجُل الكريم، وهذا العطف يشعر بأنه عطفُ تغايُر، مع أنّ المعطوفين هما الرَّجُلُ الكريم نفسه، ولكن على طريقة التجريد، فكأنَّهُمَا شخصان مغايران له.

الأسلوب السادس: التجريد باستخدام الكناية، ومن الأمثلة على هذا قول الأعْشَى:

يَا خَيْرَ مَنْ يَرْكَبُ الْمَطِيَّ وَلاَ *** يَشْرَبُ كَأْساً بِكَفِّ مَنْ بَخِلاَ

يريد أنّ ممدوحه لا يشرب كأساً بكفٍّ بخيل، إنّما يشربُ بكف كريم، وبما أنّ هذا الممدوح جوادٌ كريم فهو لا يشرب غالباً إلاَّ بكف نفسه، فقد جرّدَ الأعشى من مدوحه شخصاً كريماً ورأى أنه لا يشْرَبُ إلاَّ بكفّه.

الأسلوب السابع: التجريد دون استخدام لفظ يَدُلُّ عليه، ومن الأمثلة على هذا قولُ مَسْلَمَةَ الحنفيّ:

فَلَئِنْ بَقِيتُ لأَرْحَلَنَّ بِغَزْوَةٍ *** تَحْوِي الْغَنائِمَ أَوْ يَمُوتُ كَرِيمُ

---

[٧٣] ينظر: البلاغة العربية، لحنبكة، (٢/ ٤٣٢).

أي: تحوي هذه الغزوة الغنائم التي يَنَالُ منها ظافراً، أو يَموتُ هو فيها، فعبّر عن نفسه بقوله: "أو يَمُوتُ كريم" على طريقة التجريد، لِيُثْنِيَ على نَفْسِهِ بصفة الكريم.

الأسلوب الثامن: التجريد عن طريق مخاطبة الإنسان نفسه، ومنه قول "الأعشى":

وَدِّعْ هُرَيرَةَ إِنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ *** وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعاً أَيُّها الرَّجُلُ

ومنه قول الْبُوصيري في بُرْدَته يخاطب نفسه على طريقة التجريد:

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بِذِي سَلَمِ *** مَزَجْتَ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بدَمِ

ومنه قول المتنبّي يخاطب نفسه على طريق التجريد:

لاَ خَيْلَ عِنْدَك تُهْدِهَا وَلاَ مَالُ *** فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ

ومن التجريد فرع سمَّوهُ "عِتَابَ الْمَرْءِ نَفْسَه" وضَربُوا له أمثلةً منها:

أن يقول النادم نحو: "يا ليتني" أو "يَا حَسْرتا على فرَّطْتُ في جنْب الله" وهما مما جاء في القرآن الكريم[٧٤].

الخلاصة:

التجريد: وهو أن ينتزع المتكلّم من أمر ذي صفة أمراً آخر مثله في تلك الصفة، وذلك لأجل المبالغة في كمالها في ذي الصفة المنتزع منه، حتى كأنه قد صار منها، بحيث يمكن أن ينتزع منه موصوف آخر

كقوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ [فصلت: ٢٨]. وهي دار الخلد نفسها.

---

[٧٤] ينظر: البلاغة العربية، لحنبكة، (٢/ ٤٣٥).

التلميحُ

التلميح: هو أسلوب بلاغي أشار إليه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة

وَيُعَرفُ التلميح لغةً : تفعيل من اللمح، يقال : لمحه وألمحه؛ أي أبصره بنظر خفيف [٧٥].

وفي اصطلاح البلاغيّين : هو الإشارة إلى قضيّة معهودة لدى المخاطب؛

اذن هو مجرد إشارة فقط من قصة معلومة، أو شعر مشهور، أو مثل سائر . وكذا الإشارة إلى آية معهودة، أو حديث معروف لدى المخاطب ؛ لتوفّر ملاك التلميح .

التلميحُ: من المحسنات المعنوية في علم البديع وهوَ أنْ يُشيرَ المتكلِّمُ في فَحْوَى كلامِه لآيـةٍ مثلا ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨) لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (٤٩) فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القلم: ٤٨ - ٥٠]، وقال: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وهُو: "أنْ يُشيرَ ناظِمُ هذا النَّوعِ في بيتٍ أو قَرينةِ سَجْعٍ إلى قصَّةٍ مَعْلومةٍ، أو نُكتَةٍ مَشْهورةٍ، أو بيتِ شِعرٍ حُفِظ لتَواتُرِه، أو إلى مَثَلٍ سائِرٍ يُجريه في كَلامِه على جِهةِ التَّمثيلِ".

فمنه قولُ ابنِ المُعتَزِّ:

أتَرى الجِـيرةَ الَّذينَ تَداعَوا***عندَ سَيْرِ الحَبيبِ وقتَ الزَّوالِ؟

عَلِمـوا أنَّني مُقيـمٌ وقَلْـبي***راحِـلٌ فيهمُ أمـامَ الجِمالِ

مثْلُ صاعِ العَزيزِ في أَرْحُلِ القومِ***ولا يَعْلمونَ ما في الرِّحالِ

أشارَ في البيتِ الأخيرِ إلى قصَّةِ يُوسفَ ـ عليه السَّلامُ ـ حينَما دَسَّ صُواعَ المَلِكِ في رحْـلِ أخيه بِنْيامينَ[٧٦] ليَأخُذَه، والقصَّةُ مَذْكورةٌ في القُرآنِ؛ قالَ تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَـازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ * قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ

---

[٧٥] لسان العرب، لابن منظور، (٢/ ٥٨٤).

[٧٦] ينظر: علم البديع، لعبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، (ص٣٩).

مَاذَا تَفْقِدُونَ * قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ * قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ * قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ * قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ * فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٠ - ٧٦] .

ومنه قولُ الحَريريِّ: "بِتُّ بلَيلةٍ نابِغيَّةٍ"، يُلمِحُ به إلى قولِ النَّابغةِ الذُّبيانيِّ:

فبتُّ كأنِّي ساوَرتْنِي ضَئيلَةٌ***مِنَ الرُّقْشِ في أنْيابِها السُّمُّ ناقِعُ

ومنه قولُ آخَرَ:

لَعَمْرُو معَ الرَّمْضاءِ والنَّارُ تَلْتظي***أرقُّ وأحفَى منْك في ساحَةِ الحرْبِ

يُشيرُ به إلى البيتِ المَشْهورِ:

المُسْتجيرُ بعَمْرٍو عندَ كُرْبتِه***كالمُسْتجيرِ مِنَ الرَّمْضاءِ بالنَّارِ

قصة هذا المثل: يُضْرَب هذا المَثل فيمن يعدل عن رأي فيه مشقّة أو خطر، لرأي آخر يظنه آمنا وأهون، ولكنه يكتشف أنه أكثر خطورة ومشقة من سابقه. ولهذا المثل عدة أقاويل، أشهرها قصة وقعت مع كُليب بن وائل وعمرو بن الحارث.

قصة المثل: في قبيلة عريقة من قبائل العرب القديمة، كانت تسمّى ربيعة، كان هناك رجل يُدعى (كُليب بن ربيعة)، خرج ذات يوم تحت ستر الليل، فتبعه رجل من أبناء قبيلته يُدعى (جسّاسا)، ويُقال إنه ابن عمه، بغرض التخلّص منه وقتله لسبب ما في نفس يعقوب، أغفلته كتب التاريخ التي تناولت تلك الواقعة.

ويُحكى أن جساساً هذا غافَل كليباً وطعنه بخنجر مسموم طعنة غير قاتلة، ثمّ فرّ وتركه خلفه يصارع الألم والموت في طريق مُقفر وليلٍ موحش، وظل كليب على هذه الحال حتى بزغت شمس الصباح، ومرّ به عربيّ آخر يُدعى عمراً.

كان كليب يعرفه حق المعرفة، فهو رجل من أهله وعشيرته، حينما رآه كليب أحسّ باقتراب الفرج والنجاة، فاستجار به كي ينقذه مما هو فيه، ليعطيه شربة ماء يبلّ بها جوفه وتعينه على الحياة، لكن حدث ما لم يتوقعه كليب، حيث باغته عمرو بخسّة ونذالة، وأجهز عليه بدلاً من أن يجيره من كربه أو يسقيه حتى شربة ماء، ومن هنا قال العرب وما زالت تقول:

المستجير بعَمرٍو عند كُربته كالمستجير من الرمضاء بالنار.

ويقصد بالمستجير طالب العون والنجدة، أما الكربة فهي المحنة والأزمة، والرمضاء من الرمض، وهو التراب الحارّ، أو الحصى الملتهب من شدة الاشتعال، ولهذا البيت دلالة شديدة على الخسّة والبُغض الشديد.

ومنه قولُ الشَّاعِرِ:

فواللهِ ما أدْري أأحْلامُ نائِمٍ***ألمَّتْ بنا أم كانَ في الرَّكبِ يُوشَعُ[٧٧].

يشير إلى قصة يوشع ـ عليه السلام ـ واستيقافه الشمس.

روى البخاري عن أبي هريرة أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: ((غزا نَبيٌّ مِنَ الأنْبياءِ، فقالَ لقوْمِه: لا يَتْبَعني رجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرأةٍ، وهُو يُريدُ أنْ يَبْنيَ بها ولمَّا يَبْنِ بها، ولا أحدٌ بنَى بُيوتًا ولم يَرفَعْ سُقوفَها، ولا أحدٌ اشْترى غَنَمًا أو خَلِفاتٍ وهُو يَنْتظرُ وِلادَها، فغزا فدَنا مِنَ القَرْيةِ صَلاةَ العصْرِ أو قَريبًا مِن ذلك، فقالَ للشَّمسِ: إنَّكِ مَأمورَةٌ وأنا مَأمورٌ، اللَّهمَّ احْبِسْها علينا، فحُبِستْ حتَّى فتَح اللهُ عليه))، وهذا النَّبيُّ هو يُوشَعُ بنُ نُون .

ومنه قوله: امض في أمرك ولا ترجع بخفي حنين[٧٨].

متى يضرب هذا المثل؟

قال الميداني: يضرب عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخيبة.

---

[٧٧] ينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، للصعيدي، (٤/ ٧٠١).

[٧٨] ينظر: مجمع الأمثال، لأبي الفضل النيسابوري، (١/ ٢٩٦).

قصة مضرب المثل:

القصة هي أن رجلا كان يُدعى حُنين يعمل مصلحًا وصانعًا للأحذية في مدينة الحيرة بالعراق وكان مشهورًا بصناعته وإتقانه وخبرته بها، وفي يوم من الأيام مر أمام دكانه أعرابي يركب على بعير، فأناخ بعيره جوار الدكان ودخل إلى حُنينٍ يسأله وينظر للأحذية التي يصنعها ويدقق فيها، وقد أعجبه أحد هذه الأحذية فسأل عن السعر وبدأ بالجدال والمساومة حول السعر كأنه يريد أن يشتريه، وبعد طول جدال أخذ الكثير من وقت حُنين اتفق معه على سعر وإذا بالأعرابي يترك الدكان ولم يأخذ الحذاء ولم يشتريه ولم يُعِر حُنين أي اهتمام، فسبب هذا التصرف لحُنين الغضب لأن هذا الأعرابي أخذ منه الكثير من الوقت وعطّله عن عمله وعن زبائنه الذي رأوه منشغلًا به عنهم فانصرفوا عنه، فخسر زبائن اليوم ولم يبع حُنين شيء؛ لذلك أراد أن ينتقم من تصرف الأعرابي وأن يفرّغ غضبه بطريقة انتقاميّة، فراح يلحق به وسلك طريقًا جانبيًا أسرع من الطريق الذي سلكه الأعرابي فأصبح أمامه بمسافةٍ، وأخذ الخُفين ووضع أحدهما على الطريق، وعلى بعد مسافة كافية منه وضع الحذاء الثاني واختبأ في مكانٍ يراقب منه الأعرابي عندما يصل لهذه المنطقة. وعندما وصل الأعرابي ووجد الحذاء، قال ما أشبهه بخفي حُنين، لكن هذا حذاء واحد فلو كان الثاني معه لأخذته، فتركه وسار في طريقه، وبعد مسافةٍ وجد الحذاء الثاني، وقال كأنه هذا وذاك خفي حُنين، فأخذ الثانية ورجع للأولى كي يلتقطها، وترك دابته مكان الحذاء الثاني ، وهنا كان حُنين يتربّص به فلما ترك دابته ورجع للحذاء الأول، أخذ حنين دابته وهرب بها، وعندما عاد الأعرابي لمكان الدابة لم يجدها وعاد إلى أهله فارغ اليدين وقد كان عائدًا من السفر محملًا بالأغراض والهدايا، فاستغرب أهل الحي عودته راجلا، ولما علموا بما حل به، قال أحدهم: عاد بخفي حنين، فذهب قوله مثلا.

ومنه مَثَل:

ومنْ يصنع المعروفَ في غير أهلهِ *** يلاقي الذي لاقَى مجيرُ امِّ عامر [٧٩].

شرح المثال:

المثال هذا يستند إلى قصة وقعت مع أعرابي شهم، ويُضرب هذا المثل وهو من أكثر الأمثال الشعبية التي نرددها في شبه الجزيرة العربية، حينما نجود بالمعروف والإحسان مع من لا يستحق الجود، فنكرم هذا، ونساعد ذاك، وهم في النهاية يمكرون لنا بقلب أسود وعين غاشية، فيكون جزاء المعروف نكرانه ومقابلته بالإساءة.

ويُحكى أن جماعة من العرب خرجت للصيد، فعرضت لهم أنثى الضبع فطاردوها، وكان العرب يطلقون عليها أم عامر، وكان يومها الجو شديد الحر، فالتجأت الضبع إلى بيت رجل أعرابي، فلما رآها وجدها مجهدة من الحر الشديد، ورأى أنها استنجدت به مستجيرة، فخرج شاهراً سيفه، وسأل القوم: ما بالهم؟

فقالوا: طريدتنا ونريدها، فقال الأعرابي الشهم الذي رقّ قلبه على الحيوان المفترس: إنها قد أصبحت في جواري، ولن تصلوا لها ما دام هذا السيف بيدي، فانصرف القوم، ونظر الأعرابي إلى أم عامر فوجدها جائعة، فحلب شاته، وقدّم لها الحليب، فشربت حتى ارتدّت لها العافية، وأصبحت في وافر الصحة.

وفي الليل نام الأعرابي مرتاح البال فرحاً بما فعل للضبع من إحسان، لكن أنثى الضبع بفطرتها المفترسة نظرت إليه وهو نائم، ثم انقضت عليه، وبقرت بطنه وشربت من دمه، وبعدها تركته وسارت.

وفي الصباح حينما أقبل ابن عم الأعرابي يطلبه، وجده مقتولاً، وعلم أن الفاعلة هي أم عامر أنثى الضبع، فاقتفى أثرها حتى وجدها، فرماها بسهم فأرداها قتيلة.

---

[٧٩] ينظر: مجمع الأمثال، لأبي الفضل النيسابوري، (٢/ ١٤٤).

وقد أنشد أبياته المشهورة التي صارت مثلاً يردده الناس حتى وقتنا هذا:

ومنْ يصنع المعروفَ في غير أهلهِ **** يلاقي الذي لاقَى مجيرُ امِّ عامرِ

أدام لها حين استجـــارت بقـربهِ **** طعاماً وألبان اللـقاح الدرائـرِ

وسمّـنها حتى إذا مـــا تكاملـــتْ **** فـَرَتـْهُ بأنيـــــابٍ لها وأظافـــــر

فقلْ لذوي المعـــروفِ هذا جـــزاء منْ **** بدا يصنعُ المعروفَ في غير شـــاكرِ

ومن الأساليب البلاغية التي سلكها القرآن الكريم، والتشريع الإسلامي التلميح اللغوي:

أولاً: في الأمور التي يستحى منها، ومن أهم أمثلة هذا الأسلوب، ما جاء في سورة يوسف، يقول تعالى:

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: ٣٠].

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[يوسف: ٣١].

(أعتدت لهن مُـتـّكأ) : هيّأت لهنّ ما يتّكئن عليه.

(أكبرنه): دهشن برؤية جماله الرائع.

(قطّعن أيديهنّ) : خدشنها بالسّكاكين لفرط ذهولهنّ و دهشتهنّ.

(حاش لله) : تنزيها لله عن العجز عن خلق مثله[٨٠].

---

[٨٠] ينظر: التفسير الوسيط، للزحيلي، (٢/ ١٤٤).

ثانياً: التلميح دون التصريح في الدعوة إلى الله.

من المسالك التي ينبغي أن يتحلى بها رجل الدعوة حينما يخاطب الجماهير: التلميح دون التصريح فمن القول الحسن: الجنوح إلى التعريض والتلميح دون التصريح، فالتصريح يهتك حجاب الهيبة، ويورث الجرأة على الهجوم والتبجح للمخالفة، وإذا أخذت بالتصريح وكررته وأكثرت منه فإنه يجعل الإنسان يقسو، وأحياناً يندفع ويجابه ويواجه ويكشر، ويهيج على الإصرار والعناد، أما التعريض فيستميل النفوس الفاضلة، والأذهان الذكية، والبصائر اللماحة.

قيل لـ إبراهيم بن أدهم: الرجل يرى من الرجل الشيء أو يبلغه عنه أيقوله له؟

قال: هذا تبكيت ولكن يعرض.

وكل ذلك من أجل رفع الحرج عن النفوس، واستثارة داعي الخير فيها.

كيف والتعريض سنة محفوظة عن النبي ﷺ في مخاطبة أصحابه، فكان يقول دائماً: ما بال أقوامٍ يفعلون كذا وكذا، ولو نظرت في القرآن الكريم في معالجة الأخطاء التي وقع فيها الصحابة، أو التي وقع فيها المنافقون، فإن الله عز وجل حينما عاتب أهل أحد قال لهم: {مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ} [آل عمران:١٥٢] كان بإمكانه أن يقول: فلان وفلان وفلان أهل دنيا فأخرجوهم، وهؤلاء يريدون الآخرة، لكنه قال: منكم، وما عرفوهم، وكان بالإمكان أن يحدد حتى يخرجوا ولا يكونوا وسط البيئة، لكنه قال: {مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ} [آل عمران:١٥٢] والإتيان بالدنيا ينافي الإخلاص فقوله: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ أي: لا بد من إخلاص، ومع هذا قال: عفا عنكم، ضعف بشري يصيب النفوس، وسيأتي الكلام على هذا.

إن مقصودي من هذا أن القرآن لم يصرح، بل حتى في المنافقين دائماً يقول: ومنهم من يلزمك ومنهم من يقول: ائذن لي ومنهم الذين يؤذون النبي، ما قال: فلان وفلان وفلان، وكان بالإمكان أن يسميهم مع أن السيرة تسمي بعضهم، فمن قال: ائذن لي ولا تفتني هو فلان، لكن القرآن يعلمنا الأدب فيقول: منهم وفيهم، وما قال: فلان، مع أنه قد سمى أشخاصاً معينين، فسمى فرعون وأبا لهب، وأعداداً محدودين، لكن الأغلب أنه لم يسمِّ أشخاصاً بعينهم.

ثالثاً: الهدي النبوي في النصيحة بين التصريح والتلميح.

إن الإنسان في الحياة تعترضه الكثير من المواقف السلبية التي تختلف حدتُها من موقف لآخر، وقد تزيد أحيانًا وتخبو أحيانًا أخرى، وبعض هذه المواقف قد يحتاج إلى معالجة سريعة، والبعض الآخر لا يحتاج لذلك، وتختلف درجة التأثر والتفاعل الإيجابي مع هذه المعالجة حسب العادات والتقاليد، ودرجة الوعي العلمي والثقافي والاجتماعي، ومن الأساليب التربوية المهمة في معالجة المواقف السلبية: أسلوبَا التصريح والتلميح، واستخدام أيٍّ من الأسلوبين يعود للموقف من جهة، وللمستقبل من جهة أخرى، وربما للوقت والحال من جهة ثالثة، فهناك مواقف لا يُجدي معها إلا التصريح، ومواقف أخرى لا يتناسب معها إلا التلميح، وربما قد يحتاج إلى الأسلوبين في آن واحد.

والمتأمل في سيرة الرسول ﷺ يجد مواقفَ تعامَل معها الحبيب ﷺ بالتصريح، ومواقف أخرى تعامَل معها بالتلميح، وهو الأغلب الأعم، ومن المواقف التي تعامل معها ﷺ بالتلميح:

أولًا: عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن نفرًا من أصحاب النبي ﷺ، سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر، فقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا آكل اللحم،

وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فحمد الله وأثنى عليه، فقال: ما بال أقوام قالوا كذا وكذا، لكني أُصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني[٨١].

ثانيًا: عن عائشة قالت: صنع رسول الله ﷺ أمرًا، فترخص فيه، فبلغ ذلك ناسًا من أصحابه، فكأنهم كرهوه وتنزَّهوا عنه، فبلغه ذلك، فقام خطيبًا، فقال: ما بال رجال بلغهم عني أمرٌ ترَّخصتُ فيه، فكرِهوه وتنزَّهوا عنه، فوالله لأنا أعلمهم بالله، وأَشدُّهم له خشية[٨٢].

ثالثًا: عن أنس بن مالك قال: قال النبي ﷺ: ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم. فاشتدَّ قوله في ذلك حتى قال: لينتهينَّ عن ذلك، أو لتُخطَفَنَّ أبصارُهم[٨٣].

ومن المواقف التي تعامل معها ﷺ بالتصريح:

أولًا: عن جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ أن معاذ بن جبل رضي الله عنه كان يصلي مع النبي ﷺ، ثم يأتي قومه فيصلي بهم الصلاة، فقرأ بهم البقرة، قال: فتجوز رجل فصلى صلاة خفيفة، فبلغ ذلك معاذًا، فقال: إنه منافق، فبلغ ذلك الرجل، فأتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إنَّا قوم نعمل بأيدينا ونسقي بنواضحنا (جمع ناضح وهو البعير)، وإن معاذًا صلى بنا البارحة، فقرأ البقرة، فتجوَّزت، فزعم أني منافق، فقال النبي ﷺ: يا معاذ، أفتَّان أنت؟ ثلاثًا، اقرأ: والشمس وضحاها، وسبِّح اسم ربك الأعلى، ونحوها[٨٤].

ثانيًا: عن المعرور بن سويد قال: رأيت أبا ذر بالربذة وعليه حلَّة، وعلى غلامه حلة، فسألته عن ذلك، فقال: إني سببتُ رجلًا فعيَّرته بأمه، فقال لي النبي ﷺ: يا أبا ذر، عيَّرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه

---

[٨١] رواه مسلم، رقم:(١٤٠١).

[٨٢] رواه مسلم، رقم: (٢٣٥٦).

[٨٣] رواه البخاري، حديث رقم: (٧٥٠).

[٨٤] رواه البخاري، حديث رقم: (٦١٠١).

تحت يده، فليُطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم[٨٥].

وقبل ذكر أهم النقاط المستفادة من هذه الأحاديث الشريفة، أؤكد أن الانفعال والاستعجال والتهور في معالجة المواقف، له نتائج خطيرة، ويفسد أكثر مما يصلح، وقد رأينا الكثير من الانفعالات في معالجة بعض المواقف في حياتنا اليومية، فترتب على ذلك أضرار جسيمة، وربما يخسر معها الإنسان حياته.

ختامًا:

أضع جملة من النقاط المستفادة من الأحاديث الشريفة السابقة وهي:

١- التأسي بالأساليب النبوية في معالجة المواقف، ومن ضمنها موضوع المقال هذا؛ فهي مَعين صاف، وخير زاد لعلاج المواقف التي تواجهنا، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة؛ قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

٢- على المؤسسات التربوية والقائمين عليها، العناية باستخراج الأساليب النبوية التربوية؛ إذ السيرة زاخرة بمثل هذه المواقف مما لا يحصيه عدٌّ، ومِن ثم عمل برامج تدريبية وتوجيهية للعمل على تفعيلها في ممارساتنا اليومية في مختلف المواقع.

٣- إن هذين الأسلوبين التربويين ليسا مقتصرين على فئة دون أخرى، بل يشملان كل إنسان له علاقة بالآخرين، ويتأكد ذلك في حق المربين على مختلف مستوياتهم: علماء، ودعاة، ومصلحين، وأولياء أمور.

٤- الحاجة الماسة إلى العقل والحكمة التي من معانيها وضع الشيء في موضعه؛ ليتسنى للمعالج اختيار الأسلوب الأمثل في معالجة المواقف التي تواجهه.

---

[٨٥] رواه البخاري، حديث رقم:٣٠.

مراعاة النظير

مراعاة النظير؛ وتسمى: التناسب والائتلاف والتوفيق أيضاً، وهي أن يجمع في الكلام بين أمر وما يناسبه، لا بالتضاد[٨٦] ؛ كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥].

حُسن التعليل :

من المُحسنات المعنوية البديعة، حُسنُ التعليل، وهذا الموضوع يقوم في أساسه على التَّظَرُّفِ والتَّفَكُّهِ، ومن هنا كان بحاجة إلى فطنة وبديهة، ويقصدون بحُسنِ التعليلِ أنْ يأتي المتكلمُ للشيء الذي يتحدثُ عنه بعلةٍ ليست له ؛ تظرفاً ومبالغةً، وقد يكونُ هذا الشيء ليس له علةً ولكن الأديبَ يأبى إلا أنْ يُعلِلَهُ، وقد يكون له علةٌ ولكنَّ المتكلمَ يتناساها ليأتي بعلةٍ أخرى .

سألني أحدُهم وقد ظهر إذن حسن التعليل هو: أنْ يُنْكِرَ الأَديبُ صَرَاحَةً أوْ ضِمْنًا عِلةَ الشيْءِ الْمَعْرُوفَةَ، وَيَأْتي بعلةٍ أَدَبيةٍ طَرِيفَةٍ تُنَاسِبُ الغَرَضَ الذِي يَقْصِدُ إِلَيْهِ[٨٧].

الأمثلة:

١- ما احترقت الدارُ إلا من حرارةِ شوقها إلى أهلِها النازحين عنها.

٢- نَزلَ المطرُ بكاء على الفقيد الغالي.

٣- قال أبو العلاء المعري في الرثاء:

وَمَا كُلْفَةُ الْبَدْرِ الْمُنِيرِ قَدِيمَةً ***وَلَكِنهَا فِي وَجْهِهِ أَثَرُ اللطم

٤- وقال آخر:

لا يطْلُع البدْرُ إلا مِنْ تَشَوُّقِهِ ***إليك حتَى يُوافي وجْهَكَ النَّضِرا

---

[٨٦] ينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، للصعيدي، (٤/ ٥٨٣).

[٨٧] ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، للهاشمي، (ص٣٠٦).

اللف والنشر

مِنْ أَسَالِيبِ الْقُرْآنِ اللَّفُّ وَالنَّشْرُ: وَهُوَ اسلوب قراني فريد أَنْ يُذْكَرَ شَيْئَانِ أَوْ أَشْيَاءُ، إِمَّا تَفْصِيلًا بِالنَّصِّ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ أَوْ إِجْمَالًا بِأَنْ يُؤْتَى بِلَفْظٍ يَشْتَمِلُ عَلَى مُتَعَدِّدٍ ثُمَّ يُذْكَرَ أَشْيَاءُ عَلَى عَدَدِ ذَلِكَ كُلُّ وَاحِدٍ يَرْجِعُ إِلَى وَاحِدٍ مِنَ الْمُتَقَدِّمِ وَيُفَوَّضُ إِلَى عَقْلِ السَّامِعِ رَدَّ كُلِّ وَاحِدٍ إِلَى مَا يَلِيقُ بِهِ.

أَقْسَامُ اللَّفِّ وَالنَّشْرِ:

اللَّفُّ وَالنَّشْرُ ينقسم إلى قِسْمَيْنِ:

الأَوْلُ: اللَّفُّ وَالنَّشْرُ الْمُرتَّبُ.

الثَّانِي: اللَّفُّ وَالنَّشْرُ غيرُ الْمُرتَّبِ[٨٨].

أولًا: اللَّفُّ وَالنَّشْرُ الْمُرتَّبُ:

مِثَالُهُ:

قَولُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾. [القصص: ٧٣].

فقوله تَعَالَى: ﴿لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾، راجعٌ إلى اللَّيْلِ، أَيْ: لِتَسْكُنُواْ فِي اللَّيْلِ، وقوله: ﴿وَلِتَبتَغُواْ مِن فَضْلِهِ﴾ راجع إلى وَالنَّهَارِ، أَيْ: وَلِتَبتَغُواْ مِن فَضْلِهِ فِي النَّهَارِ، ففي الآية لَفٌّ وَنَشْرٌ مُرتَّبٌ.

وَمِثَالُهُ أيضًا قَولُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ * وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ * وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ * فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا

---

[٨٨] ينظر: أنوار الربيع في أنواع البديع، لابن معصوم، (ص٦٨).

وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[العنكبوت: ٤٠].

فَالَّذِينَ أُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حَاصِبٌ هُمْ: عَادٌ، وَالَّذِينَ أَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ هُمْ: ثَمُودُ، وَالَّذِي خَسَفَ بِهِ الْأَرْضَ: قَارُونُ، وَالَّذِينَ أَغْرَقَهُمُ اللَّهُ: فِرْعَوْنُ وَهَامَانُ وَمَنْ مَعَهُمَا مِنْ قَوْمِهِمَا. فَفِي الآيات لَفٌّ وَنَشْرٌ مُرتَّبٌ كما ذكرنا.

ثانيًا: اللَّفُّ وَالنَّشْرُ غَيرُ الْمُرتَّبِ:

مِثَالُهُ:

قَولُ اللهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

فِي الْآيَتَين لَفٌّ وَنَشْرٌ غيرُ مُرتَّبٍ، فقد ذَكَرَ فِي اللَّفِّ الِابْيِضَاضَ قَبْلَ الِاسْوِدَادِ، وَذَكَرَ فِي النَّشْرِ حُكْمَ مَنِ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ قَبْلَ حُكْمِ مَنِ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ.

وَمِثَالُهُ أيضًا قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلا﴾[الإسراء: ١٢].

فِي هَذِهِ الْآيَةِ لَفٌّ وَنَشْرٌ غيرُ مُرتَّبٍ، فقد ذَكَرَ فِي اللَّفِّ اللَّيْلَ قبل النَّهَارِ، فقال: ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾، وَذَكَرَ فِي النَّشْرِ ﴿لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يُرِيدُ التَّصَرُّفَ فِي الْمَعَاشِ فِي النَّهَارِ، ثم قَالَ: ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾، والمرادُ الحسابُ المتعلقُ بما في ضمنِ السنينَ من الأشهرِ والليالي والأيامِ، يعني منازل القمر.

أسلوب الحكيم

تعريفه: تَلَقي الْمُخَاطَبِ بغِير ما يَتَرَقبُهُ، إما بتَرْكِ سؤالِهِ والإجابةِ عن سؤالٍ لم يَسْأَلْهُ، وإما بحَمْلِ كلامِهِ عَلَى غير ما كانَ يَقْصِدُ، إشارَةً إلى أَنهُ كان يَنْبَغي له أَن يَسْأَلَ هذا السؤال أَوْ يَقْصِدَ هذا الْمَعْنَى[٨٩].

فمن أمثلة الأول:

قوله تعالى: { يَسْأَلُونَكَ عَنْ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ } لأن بعض الصحابة سألوا الرسول عن الهلال، ما باله يبدأ صغيرا ثم يكبر، ثم يتضاءل حتى يختفي، فعلمهم القرآن أن الأهلة هي مواقيت للعبادات

١) قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥].

سألوا عما ينفقون؟ فأجيبوا ببيان طرق الإنفاق؛ تنبيهًا على أن هذا الأجدرُ بالسؤال.

٢) قيل لشخص هَرِم كم سِنك؟ فقال: أنا أَنْعَمُ بصحة وعافية.

سئل أحدهم: ما ادخرت من مال؟ قال: لا شيء يعادل الصحة.

إذن عدل المجيب عن إجابة السؤال، وأفاد أن الصحة أفضل كنز يتمتع به الإنسان ويدخره.

ومن أمثلة ما سبق كذلك:

تنبيه شخص عطس ولم يحمد الله .

أن تقول له: الحمدلله.

أو من لم يرد السلام تذكره، السلام عليكم.

---

[٨٩] ينظر: علم البديع، لعبد العزيز عتيق، (ص١٨٢).

التعريض في الكلام

قال - عز وجل -- في حوار يوسف مع السجينين: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].

في هذه الآية الكريمة أسلوب رائع، وأدب رفيع من آداب الحوار، هو التعريض والتلميح والبعد عن التصريح.

فيوسف - عليه السلام - يلمح في حواره مع السجينين؛ حيث كان مليئًا بالثقة والطمأنينة، وفيه التودد والملاطفة معهما؛ ليدخل من مؤانستهما إلى صلب الدعوة وتصحيح العقيدة، فينتهز الفرصة ويعرض لهما موضوع القضية المهمة - بطريقة غير مباشرة -؛ ليكون أنجح لمقصوده، وأقرب إلى القبول، وسماع النصيحة، وبالتالي يكونون مستعدين لتقبل ما يلقى إليهما؛ ذلك أنّه في بعض الحالات يكون أسلوب التعريض والتلميح أنجح للمقصود، وأوقع تأثيرًا في النفس من التصريح.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥].

وفي الآية أن يوسف - عليه السلام - وصف نفسه - في حواره مع الملك - بالحفظ والأمانة والعلم، وليس هذا من الفخر والإعجاب، وإنما لينفع العباد، ويقيم العدل بينهم.

وهذا الأدب يستخدم في الحوار عند الحاجة، وتحقيق المصلحة والفائدة التي تحقق غاية الحوار.

قال البخاري رحمه الله: باب الْمَعَارِيضُ مَنْدُوحَةٌ عَنِ الْكَذِبِ. وَقَالَ إِسْحَاقُ: سَمِعْتُ أَنَسًا رضي الله عنه يقول مَاتَ ابْنٌ لأَبِي طَلْحَةَ رضي الله عنه فَقَالَ كَيْفَ الْغُلاَمُ قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ هَدَأَ نَفَسُهُ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدِ اسْتَرَاحَ، وَظَنَّ أَنَّهَا صَادِقَةٌ[٩٠].

---

[٩٠] رواه البخاري، باب الْمَعَارِيضُ مَنْدُوحَةٌ عَنِ الْكَذِبِ.

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: (بِحَسْبِ الْمَرْءِ مِنَ الْكَذِبِ أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ)[٩١].

عَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ"[٩٢].

يحرم التصريح والتعريض بخطبة المطلقة الرجعية أثناء العدة؛ لأنها في حكم الزوجة، فلزوجها أن يراجعها في أي وقت شاء ما دامت في العدة .

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: " ولا يجوز التعريض لخطبة الرجعية إجماعا؛ لأنها كالزوجة"[٩٣].

ثانيا: يجوز التعريض بخطبة المعتدة من وفاة أو طلاق بائن.

أما المعتدة من وفاة، أو طلاق بائن، فيجوز التعريض لها بالخطبة دون التصريح، لقوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

قال ابن عطية ـ رحمه الله ـ:" والتعريض هو الكلام الذي لا تصريح فيه، كأنه يَعْرِض لفكر المتكلم به، وأجمعت الأمة على أن الكلام مع المعتدة بما هو نص في تزويجها، وتنبيه عليه: لا يجوز. وكذلك أجمعت على أن الكلام معها، بما هو رفث وذكر جماع أو تحريض عليه: لا يجوز. وجُوِّز ما عدا ذلك" [٩٤].

---

[٩١] رواه مسلم، رقم: (٥).

[٩٢] رواه أحمد، رقم: (٢٠٠٤٦).

[٩٣] جامع الأحكام، للقرطبي، (٣/ ١٨٨).

[٩٤] ينظر: تفسير ابن عطية، (١/ ٣١٥):

وقال السعدي[٩٥] ـ رحمه الله ـ : " هذا حكم المعتدة من وفاة، أو المبانة في الحياة. فيحرم على غير مبينها (زوجها) أن يصرح لها في الخطبة، وهو المراد بقوله: (وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا). وأما التعريض فقد أسقط تعالى فيه الجناح.

فالتعريض في الكلام هو ما يقابل التصريح، وهو ليس بكذب؛ بل هو كلام له وجهان، أو عدة أوجه، ويكون قصد المتكلم منه أن يفهم السامع خلاف ما يقصده هو.

قال ابن منظور[٩٦] : والتعريض خلاف التصريح، والمعاريض التورية بالشيء عن الشيء.

وقد ثبت استعماله في السنة وعن السلف الصالح رضي الله عنهم، فمن ذلك ما جاء في الأدب المفرد عن عمر بن الخطاب وعمران بن الحصين- رضي الله عنهما- أنهما قالا: «إِنَّ فِي الْمَعَارِيضِ لَمَنْدُوحَةٌ عَنِ الْكَذِبِ»[٩٧].

ولذلك فإن التعريض مثل غيره من الكلام لا حرج في استعماله فيما يجوز- كما رأيت-، ولا يجوز استعماله في ما لا يجوز كالتعريض بالقذف والمكر والسب ونحو ذلك.

فإن الكذب حرام وهو كبيرة من الكبائر، فيجب على المسلم الاحتراز من الوقوع فيه، فقد قال النبي ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ، وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا» [٩٨].

وإذا تعين عليه الكلام في نفي شيء ما لحرج موقف أو خوف سوء عاقبة ونحو ذلك فيمكنه الاستعانة بالتعريض والتورية ففيهما مندوحة عن الكذب، كما قال عمر بن

---

[٩٥] ينظر: تفسير السعدي، (ص١٠٦).

[٩٦] لسان العرب، لابن منظور، (٧/ ١٨٣).

[٩٧] الأدب المفرد، رقم: (٨٥٧).

[٩٨] رواه مسلم، رقم: (١٠٥).

الخطاب رضي الله عنه: أما في المعاريض ما يكفي المسلم الكذب. صححه الشيخ الألباني، وقال عمرو بن الحصين: إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب[٩٩].

براعة الإستهلال:

مفهوم براعة الاستهلال:

ينبغي للمتكلِّم التأنُّق - أي: المبالغة في الحُسْن - في الابتداء؛ لأنَّه أوَّل ما يقْرع السَّمع، فيأتي فيه بِما يُناسب المقام، ويسمَّى براعة الاستِهْلال.

البراعة لغة: كمال الفضل . والاستهلال لغة: الابتداء،[١٠٠].

براعة الاستهلال اصطلاحا: ضرب من ضروب الصنعة التي يقدمها أمراء البيان، ونقاد الشعر، وجهابذة الألفاظ، بأن يبدأ المتكلم بمعنى ما يريد تكميله، وإن وقع في أثناء الكلام وقد ذكر ابن المعتز[١٠١] فناً في محاسن الكلام سماه: (حُسن الابتداءات)، وأراد بهذه التسمية ابتداءات القصائد إذ ينبغي للشاعر إذا ابتدأ قصيدة ابتدأها بما يدل على غرضه فيها.

وكذلك ينبغي للخطيب إذا ارتجل خطبة، والبليغ إذا افتتح رسالة، أن يكون ابتداء كلامه دالاً على انتهائه، فالابتداء أول ما يقرع السمع، فإن كان عذبا، حسن التركيب ،صحيح المعنى، أقبل السامع على الكلام فوعاه، وإلا أعرض عنه، وإن كان الباقي في غاية الحسن .

كان العلماء يهتمون ببراعة الاستهلال، وهو أن يقدم بين يدي موضوعه مقدمة فيها إشارة لما يريد أن يتكلم عنه، وما سيذكر فيه، وبرز بعض الناس الذين إذا أرادوا الكلام في موضوعات أن يقولوا اعتذارات بارزة، ينبغي على الإنسان أن يحرص وينتبه لها؛ لأنها أحياناً تعطي شيئاً من التزكية، كأن يقول: لست بخطيب ولست بكذا ولست بكذا ونحو ذلك،

---

[٩٩] الأدب المفرد، رقم: (٨٥٧).

[١٠٠] لسان العرب، لابن منظور، ١٥/٩).

[١٠١] ينظر: البديع في البديع، لابن المعتز، (ص١٧٦).

يذم نفسه في الملأ وفيه شيء من المدح، أو أن يقول: ليس لدي ما أقوله ويطنب في ذكر إفلاسه وفقره وإذا قلنا: إن بعض الناس سيكتشف ذلك فلا فائدة من الإخبار، وإذا قلت: إن بعضهم لن يكتشف ذلك فلا داعي للإخبار بالحقيقة المرة.

وتعد (براعة الاستهلال) فرعا فرعه المتأخرون مما يسمى (حسن الابتداءات) فيرى السيوطي أن براعة الاستهلال أخص من حسن الابتداء، لأن البراعة لابد فيها من الإشارة إلى ما سيق الكلام لأجله، بخلاف حسن الابتداء فلا يشترط فيه ذلك . غير أن الخطيب القزويني لا يرى فرقا بين حسن الابتداء وبراعة الاستهلال، فكلاهما شيء واحد، وبأيهما سميت كنت مصيبا، فأحسن الابتداءات ما ناسب المقصود، ويسمى براعة الاستهلال . وإذا تأملت السور القرآنية، جملها ومفرداتها، رأيت من البلاغة والتفنن في الفصاحة ما لا تقدر العبارة على حصر معناه.

فمن الأمثلة القرآنية، قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ ﴾ [الإسراء: ٧]، وقوله: ﴿ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ [النجم: ٥٨]، وقوله تعالى: ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨].

ومن أمثال السنة النبوية، قوله ﷺ: (الحلال بين والحرام بين) (لا ضرر ولا ضرار) ومن الأمثال الشهيرة التي سارت على وجه الدهر، قولهم: (تسمع بالمعيدى خير من أن تراه) يضرب مثلا للذي رؤيته دون السماع به. وقولهم (أسمع جعجعة ولا أرى طحنا) أي: أسمع جلبة ولا أرى عملا ينفع التمثيل إذا.

وقولهم: (مواعيد عرقوب) وهو رجل يهودي من خيبر كان يعد ولا يفي، فضربت به العرب المثل. وقد اتفق أصحاب الذوق السليم على أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، سواء كان المعنى مدحا أو ذما حجاجا أو افتخارا، اعتزارا أو وعظا، كساه أبهة ورفع من

شأنه، فتتحرك النفس إليه ويهفو القلب له، وهكذا الحكم إذا استقرأت فنون القول وشعوبه

فحسن الابتداء: هو أن يجعل المتكلم مبدأ كلامه عذب اللفظ، حسن السبك، صحيح المعنى، فإذا اشتمل على إشارة لطيفةٍ إلى المقصود، سمي براعة الاستهلال؛ كقوله في تهنئة بزوال مرض:

المجدُ عوفي إذ عوفيتَ والكرمُ *** وزال عنك إلى أعدائك السَّقم

وكقول الآخر في التهنئة ببناء قصر:

قصرٌ عليه تحيةٌ وسلامُ ***خلعت عليه جمالَها الأيامُ

براعة استهلال ام سلمة رضي الله عنها

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «جاءت أُمُّ سُلَيمٍ امرأةُ أَبِي طَلحة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إنَّ الله لا يَسْتَحيِي من الحَقِّ، فهل على المرأة من غُسْلٍ إِذَا هِيَ احْتَلَمَت؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم، إِذَا رَأَت المَاء»[١٠٢].

يسمى هذا في علم البديع: براعة استهلال أو الإلماع وحسن المطلع، وهو أن يكون في طالعة كلام المتكلم ما يدل على مقصوده، كقول الأخضري في الجوهر المكنون:

اَلْحَمْدُ لِلهِ الْبَدِيعِ الْهَادِي***إِلَى بَيَانِ مَهْيَعِ الرَّشَادِ

أَمَدَّ أَرْبَابَ النُّهَى وَرَسَمَا***شَمْسَ الْبَيَانِ فِي صُدُورِ الْعُلَمَا

فَأَبْصَرُوا مُعْجِزَةَ الْقُرْآنِ***وَاضِحَةً بِسَاطِعِ الْبُرْهَانِ

وَشَاهَدُوا مَطَالِعَ الْأَنْوَارِ***وَمَا احْتَوَتْ عَلَيْهِ مِنْ أَسْرَارِ

فَنَزَّهُوا الْقُلُوبَ فِي رِيَاضِهِ***وَأَوْرَدُوا الْفِكْرَ عَلَى حِيَاضِهِ

ثُمَّ صَلَاةُ اللهِ مَا تَرَنَّمَا***حَادٍ يَسُوقُ الْعِيسَ فِي أَرْضِ الْحِمَى

---

[١٠٢] رواه البخاري، رقم: (١٣٠) ومسلم، رقم: (٣٢).

عَلَى نَبِيِّنَا الْحَبِيبِ الْهَادِي***أَجَلِّ كُلِّ نَاطِقٍ بِالضَّادِ
مُحَمَّـدٍ سَيِّدِ خَلْــقِ اللهِ***اَلْعَرَبِيِّ الطَّاهِـرِ الْأَوَّاهِ

إلى قوله:

مَا عَكَفَ الْقَلْبُ عَلَى الْقُرْآنِ***مُرْتَقِيًا لِحَضْرَةِ الْعِرْفَانِ
هَذَا وَإِنَّ دُرَرَ الْبَيَانِ***وَغُرَرَ الْبَدِيعِ وَالْمَعَانِي
تَهْدِي إِلَى مَوَارِدٍ شَرِيفَهْ***وَنُبَذٍ بَدِيعَةٍ لَطِيفَهْ

فالأخضري يريد بيان أقسام علم البلاغة، وعلم البيان، وعلم المعاني، وعلم البديع، ومما يتمثل به البلاغيون، قول أبي ذئيب الهذلي:

أَمِنَ المَنونِ وَريبِها تَتَوَجَّعُ***وَالدَهرُ لَيسَ بِمُعتِبٍ مِن يَجزَعِ
قالَت أُمَيمَةُ ما لِجِسمِكَ شاحِباً***مُنذُ اِبتَذَلتَ وَمِثلُ مالِكَ يَنفَعُ
أَم ما لِجَنبِكَ لا يُلائِمُ مَضجَعاً***إِلّا أَقَضَّ عَلَيكَ ذاكَ المَضجَعُ

ما معنى أمن المنون وريبها تتوجع؟

قصيدة قالها أبو ذؤيب الهذلي في رثاء أبنائه إثر موته واستهلها بنوع من العتاب أن هل تتوجع من الموت وقضاء الله فيه، ثم تجري محادثة بينه وبين أميمة تلك المرأة التي تسأل سؤال التعجب عن سبب وصوله إلى تلك الحال من قلة النوح وقلة الراحة.

الصور الفنية في قصيدة أمن المنون وريبها تتفجع

جعل الدهر مثل الإنسان الذي يعتب على شيء، استعارة مكنية حذف المشبه به وأبقى على شيء من لوازمه. جعل المنية مثل الإنسان الذي يُقبل على شيء أو ينتهي عنه، استعارة مكنية حذف المشبه به وأبقى على شيء من لوازمه

والقصد من هذا كله يبين الشاعر في مطلع قصيدته أنه يرثي أولاده الخمسة الذين هلكوا في عام واحد وهذا هو براعة الاستهلال وحسن المطلع.

ومثال ذلك أيضًا: قول ابن حجر رحمه الله في مقدمة بلوغ المرام قال: الحمد لله على نعمه الظاهرة والباطنة قديمًا وحديثًا.

فمنها براعة استهلال، وهي في قوله: حديثًا.

وكلمة "براعة" تُفهِم أن هذا الأسلوب يأتي عن ذكاء وفطنة.

أسلوب الالتفات

مِنْ أَسَالِيبِ الْقُرْآنِ الْبَلَاغِيَّةِ الِالْتِفَاتُ، وَهُوَ: نَقْلُ الْكَلَامِ مِنْ أُسْلُوبٍ إِلَى آخَرَ، مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى الْخِطَابِ، وَمِنَ الْخِطَابِ إِلَى الْغَيْبَةِ وَمِنَ الْوَاحِدِ إِلَى الْجَمْعِ، وَمِنَ الْخِطَابِ إِلَى التَّكَلُّمِ، وَمِنَ التَّكَلُّمِ إِلَى الْخِطَابِ.

وَفَائِدَتُهُ: صِيَانَةُ السَّمْعِ عَنِ الضَّجَرِ وَالْمَلَلِ فإن النُّفُوسَ جُبِلَتْ عَلَى حُبِّ التَّنَقُّلِ، وَالِاسْتِمْرَارُ عَلَى مِنْوَالٍ وَاحِدٍ من الْخِطَابِ يؤدي إلى السَّآمَةِ.

وَفَائِدَتُهُ أيضًا: إِظْهَارُ الْمَلَكَةِ فِي الْكَلَامِ، وَالِاقْتِدَارِ عَلَى التَّصَرُّفِ فِيهِ

تعريف الالتفات:

لغة: الالتفات مشتق من الفعل "التفت"، بمعنى التحوّل أو الانصراف من جهة إلى أخرى[١٠٣].

يُستخدم للإشارة إلى التحوّل أو الانتقال من حال إلى حال.

وحقيقته: هو أن يحول المتكلم حديثه من أسلوب الغائب إلى الخطاب، أو المتكلم.

اصطلاحًا: الالتفات هو الانتقال من أسلوب خطاب إلى آخر في الكلام، كأن يتحول المتكلم من خطاب المخاطب إلى الغائب، أو من الغائب إلى المتكلم، وهكذا، بهدف التنويع وإثارة انتباه المستمعين أو القرّاء[١٠٤].

---

[١٠٣] ينظر: المصباح المنير، للحموي، (٢/٥٥٥).

[١٠٤] ينظر: البديع في البديع، لابن المعتز، (ص١٥٢).

أمثلة على الالتفات:

١. من القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

انتقل من الحديث عن الغائب ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ إلى خطاب الحاضر ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

٢. في الشعر:

قول المتنبي:

إذا غدرت حسناءُ وفت بعهدها ***فمن عهدها أن لا يدوم لها عهدُ

بدأ بالغائب (حسناء)، ثم تحوّل إلى خطاب عام.

أهداف الالتفات:

١. التنويع والتجديد: لكسر الرتابة وإبقاء السامع متيقظًا.

٢. إبراز المعاني: لجعل المعنى أكثر وضوحًا وقوة.

٣. إضفاء الجمال الفني: باستخدام التنقل بين الأساليب لإبراز البلاغة.

أنواع الالتفات:

١) الانتقال من الغائب إلى المخاطب: كقولك: "هو كريم وأنت تعرف ذلك."

٢) الانتقال من المخاطب إلى الغائب:

كقوله تعالى: " حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ "

٣) الانتقال من المتكلم إلى المخاطب أو الغائب:

كقول الشاعر:

وإني وتثني الدهرَ عني ***لكالطود يحطمُه الزمانُ.

٤)مِثَالُ الِالْتِفَاتِ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى التَّكَلُّمِ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

في هذه الآيةِ الْتِفَاتٌ مِنَ الْغَيْبَةِ في قوله: ﴿الَّذِي أَسْرَى﴾، إِلَى التَّكَلُّمِ في قوله: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾.

وفيها الْتِفَاتٌ آخرُ مِنَ التَّكَلُّمِ في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾، إِلَى الْغَيْبَةِ في قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

٥)وَمِثَالُ الِالْتِفَاتِ مِنَ الْوَاحِدِ إِلَى الْجَمْعِ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: ١٧].

في هذه الآيةِ الْتِفَاتٌ مِنَ الْوَاحِدِ في قوله: ﴿مَا حَوْلَهُ﴾ إِلَى الْجَمْعِ في قوله: ﴿بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾، وَلَوْ جَرَى الكلامُ عَلَى نسقٍ وَاحِدٍ لَكَانَ في غير كلام الله تعالى: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِ وَتَرَكَهُ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُ﴾.

وَلا شك أن الِالْتِفَاتَ أَفْصَحُ فِي الْكَلَامِ، وأوقعُ في النفوسِ، وَأَبْلَغُ فِي نَظْمِ الْكَلَامِ.

الالتفات يُعد من أرقى الأساليب البلاغية التي تضفي على النصوص تنوعًا وجمالًا.

أسلوب الالتفات في حديث الرسول ﷺ

أسلوب الالتفات في الحديث الشريف هو أحد مظاهر البلاغة النبوية، حيث استخدم النبي ـ ﷺ هذا الأسلوب بأسلوب فني وجمالي يخدم المعنى، ويجذب الانتباه، ويؤثر في القلوب.

الالتفات في الحديث النبوي، يشبه الالتفات في القرآن الكريم، حيث ينتقل النبي ﷺ بين ضمائر المتكلم، والمخاطب، والغائب، أو بين الأساليب المختلفة.

أمثلة على الالتفات في الحديث الشريف:

١) الالتفات بين المخاطب والمتكلم والغائب:

في حديث النبي ﷺ: « كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ فَالأَمِيرُ رَاعٍ عَلَى النَّاسِ وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَامْرَأَةُ الرَّجُلِ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْؤولَةٌ عَنْ بَعْلِهَا وَرَعِيَّتِهَا وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ أَلاَ وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[١٠٥].

بدأ الخطاب باستخدام ضمير المخاطب (كلكم راعٍ وكلكم مسؤول).

ثم تحول إلى ضمير الغائب أثناء تفصيل المسؤوليات (فالإمام راعٍ وهو مسؤول...).

هذا الالتفات يجذب الانتباه إلى المعاني المختلفة ويعطي كل مسؤولية حقها من التركيز.

٢) الالتفات من ضمير الغائب إلى ضمير المخاطب:

في حديث النبي ﷺ عن القرآن:

«اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ»[١٠٦].

بدأ باستخدام ضمير المخاطب (اقرأوا القرآن)، ثم انتقل إلى الحديث عن القرآن بصيغة الغائب (فإنه يأتي يوم القيامة).

الالتفات هنا يبرز أهمية العمل بالقرآن وتوقع جزائه العظيم.

٣) الالتفات من المتكلم إلى المخاطب:

في حديث النبي ﷺ: "أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني."

بدأ النبي ﷺ الحديث بضمير المتكلم (إني لأخشاكم لله وأتقاكم).

---

[١٠٥] رواه البخاري، رقم: (٢٤٠٩).

[١٠٦] رواه مسلم، رقم: (٢٥٢).

ثم انتقل إلى مخاطبة الأمة مباشرة بضمير المخاطب (فمن رغب عن سنتي).

هذا الالتفات يعزز القرب بين النبي ﷺ وأمته، ويجعل النص مؤثرًا وموجهًا.

فوائد الالتفات في الحديث الشريف:

١)جذب الانتباه: يجعل المستمع أو القارئ أكثر تركيزًا على المعاني المختلفة.

٢) تقوية المعنى: الانتقال بين الأساليب يبرز المعاني المتنوعة بطريقة أكثر تأثيرًا.

٣) التشويق والإبداع: يظهر جمال الحديث وبلاغته، مما يترك أثرًا أعمق في النفس.

٤) الوضوح والإقناع: يجعل المعنى أكثر وضوحًا للمخاطب، حيث يُسلط الضوء على جوانب مختلفة من الكلام.

الالتفات في الحديث الشريف يعكس الإعجاز البلاغي للنبي ﷺ، حيث استخدمه بحكمة وبلاغة لنقل المعاني بطرق مؤثرة، متجددة، وجذابة.

محاسن وفوائد أسلوب الالتفات

أسلوب الالتفات من أبرز الأساليب البلاغية التي تضفي جمالًا وعمقًا على النصوص الأدبية والنصوص الدينية كآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية. وله العديد من المحاسن التي تجعله أسلوبًا قويًا ومؤثرًا:

١) جذب الانتباه وتشويق السامع:

الانتقال المفاجئ من ضمير إلى آخر أو من أسلوب إلى آخر يلفت انتباه السامع أو القارئ ويمنعه من الشعور بالملل.

يجعل القارئ يتساءل عن سبب التغير، مما يعمق تفاعله مع النص.

٢) التنويع وكسر الرتابة وتطرية الكلام ، وصيانة السمع عن الضجر والملال ، لما جبلت عليه النفوس من حب التنقلات ، والسآمة من الاستمرار على منوال واحد ، وهذه فائدته العامة .

الالتفات يكسر نمطية الخطاب المستمر على وتيرة واحدة، مما يضيف تنوعًا وجمالًا للنص ويجعل السرد أكثر حيوية.

٣) تقوية المعنى:

استخدام الالتفات يساعد في إبراز معانٍ متعددة ويمنح الكلام عمقًا إضافيًا.

على سبيل المثال، الانتقال من الغائب إلى المخاطب يمكن أن يشير إلى أهمية المتلقي ودوره.

٤) التعبير عن المشاعر بعمق:

الالتفات يعبر عن تغيّر الحالة النفسية أو الوجدانية للمتحدث، مما يضفي صدقًا وعاطفة على النص.

مثلًا، الانتقال إلى خطاب المخاطب يعكس اهتمامًا وتركيزًا أكبر على المتلقي.

٥) الإقناع والتأثير:

عندما يتغير الأسلوب أو الضمير، يشعر المتلقي بأنه معنيٌّ بشكل مباشر، مما يزيد من قوة الحجة وتأثيرها.

٦) إظهار البلاغة والإبداع الفني: وبراعة الاستهلال.

ومن محاسنه ما وقع في سورة الفاتحة : فإن العبد إذا ذكر الله وحده ثم ذكر صفاته ألقى كل صفة منها تبعث على شدة الإقبال ، وآخرها : مالك يوم الدين المفيد أنه مالك الأمر كله في يوم الجزاء ، يجد من نفسه حاملا لا يقدر على دفعه على خطاب من هذه صفاته بتخصيصه بغاية الخضوع والاستعانة في المهمات .

الالتفات يبرز مهارة المتحدث، أو الكاتب في التلاعب بالأسلوب بطريقة تُظهر الإبداع والتمكن من اللغة.

٧) العمق والمرونة في التعبير:

يتيح الالتفات للمتحدث التنقل بين الأبعاد المختلفة للخطاب (المتكلم، المخاطب، الغائب)، مما يجعل النص غنيًا ومرنًا في إيصال الرسائل المتعددة.

مثال قرآني يبرز محاسن الالتفات: في قوله تعالى:" إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ "

الانتقال من الحديث عن الغائب (الله في "الحمد لله") إلى المخاطب (إياك) يعبر عن قرب العبد من ربه وعمق العلاقة بينهما.

خلاصة ما سبق:

الالتفات يُعدّ من أعظم محاسن البلاغة لأنه يجمع بين الجمال الفني والتأثير المعنوي، مما يجعله أسلوبًا مثاليًا في الخطاب سواءً في النصوص الدينية أو الأدبية.

حسن التخلص

حسن التخلص: هو أن يستطرد الشاعر المتمكن، من معنى إلى معنى آخر يتعلق بممدوحه، بتخلص سهل يختلس اختلاسًا رشيقًا دقيق المعنى، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع في الثاني، لشدة الممازجة والالتئام والانسجام بينهما[١٠٧].

فالتخلص، إنما يتحقق في الكلام عندما يكون بعضه آخذًا برقاب بعض، من غير أن ينقطع.

ومن أمثلة حسن التخلص : قوله تعالى :﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ إلى قوله :﴿وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٧].

فانظر كيف تخلص من نبأ إبراهيم مع قومه إلى الحديث عن الآخرة بما لم يحس معه القارئ والمستمع بأدنى هوة في الانتقال .

---

[١٠٧] خزانة الأدب وغاية الأرب، لابن حجة الأموي، (ص٣٢٩).

ومن الأمثلة القرآنية لهذه الظاهرة البلاغية ما جاء في سورة يوسف عليه السلام، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنْ الْمُحْسِنِينَ قَالَ لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [يوسف ٣٦-٣٧].

نلاحظ هنا أنَّ كلاً منهما سأل يوسف ـ عليه السلام ـ عن رؤيا رآها في المنام، ولكنه عليه السلام انتقل إلى معنى آخر وهو الحديث عن الطعام الذي يأتيهما في السجن، ومن ثَمَّ تحدث عن فضل الله عليه أن وفقه لترك ملة الكفار، والإيمان بالله العزيز الغفار. فما السرُّ في هذا الانتقال؟!

هناك أمثلة أخرى تدل على بلاغة القرآن في باب حسن التخلص، هذه الأمثلة وغيرها من أوجه البلاغة في كتاب الله عزَّ وجل، هي التي أعجزت البلغاء وأسكتت الشعراء وأخضعت لجمالها الأدباء. فسبحان الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً.

نماذج من حسن التخلص:

• انقطع عبد الملك بن مروان عن أصحابه فانتهى إلى أعرابي فقال له: أتعرف عبد الملك؟ قال: نعم، جائر بائر، قال: ويحك أنا عبد الملك بن مروان. قال: لا حياك الله ولا بيَّاك، ولا قرَّبك. أكلت مال الله، وضيعت حرمته، قال: ويلك، أنا أضر وأنفع، قال: لا رزقني الله نفعك ولا دفع عني ضرك، فلما وصلت خيله قال: يا أمير المؤمنين أكتم ما جرى فالمجالس بالأمانة.

• قيل للجاحظ لِمَ خذلت ابن الزيات، وهربت منه لما أصابته الفتنة؟ قال: خشيت أن أكون ثاني اثنين إذ هما في التنور، وكان عقوبة ابن الزيات أن عُذّب في التنور الذي كان يعذب به من شاء أن ينتقم منه.

• لما دفن معاوية وجلس ابنه في الملك دخل عليه عطاء بن أبي صيفي - بعد أن أحجم البلغاء عن الدخول أيعزون أم يهنون - فقال: يا أمير المؤمنين: أصبحت قد رزئت خليفةَ الله - وأُعطيت خلافة الله، وقد قضى معاوية نحبه فغفر الله ذنبه، وقد أعطيت بعده الرئاسة، ووليت السياسة، فاحتسب عند الله أعظم الرزية واشكره على أفضل العطية .

• أراد الحجاج أن يختبر رجلاً فقال له: أعصامي أنت أم عظامي؟ فقال: أنا عصامي وعظامي، فقضى حوائجه. ثم استنطقه فوجده من أجهل الناس فقال: لتصدقني أو لأقتلنك، كيف أجبتني بما قلت لما سألتك، فإني لم أجدك حيث زعمت؟ فقال: إني والله لا أعرف العصامي والعظامي ما هو، فخشيت أن أقول أحدهما فيضرني، فقلت كليهما وتوكلت على الله. فقال الحجاج: ألا إن المقادير تجعل العيي خطيباً.

• صعد أحد الأمراء العباسيين المنبر ليخطب فأُرتج عليه فقال: أما بعد: فقد يجد المعسر، ويعسر الموسر، ويفل الحديد، ويقطع الكليل، وإنما الكلام بعد الإفحام، كالإشراق بعد الإظلام وقد يَعزُب البيان، ويعتقم الصواب، وإنما اللسان مضغة من الإنسان يفتر بفتوره إذا نكل، ويثوب بانبساطه إذا ارتجل، وإنا لا ننطق بطرا، ولا نسكت حصرا، بل نسكت معتبرين، وننطق مرشدين، ونحن بعدُ أمراء الكلام، فينا وشجت عروقه، وعلينا عطفت أغصانه، ولنا تهدلت ثمراته، فنتخير منه ما احلولى وعَذُبَ، ونطرح منه ما املوّح وخبُث، ومن بعد مقامنا مقام، وبعد أيامنا أيام، يعرف فيها فضل البيان وفصل الخطاب، والله أفضل مستعان.

• استدعى الرشيد أبا يوسف القاضي، وقال له: كيف مذهب ابن عباس في الاستثناء؟ قال: يلحق عنده بالخطاب، ويتغير الحكم به، ولو بعد زمان. فقال: عزمت عليك أن تفتي به ولا تخالفه فقال: رأي ابن عباس يفسد عليك بيعتك؛ لأن من حلف لك وبايعك يرجع إلى منزله فيستثني. فانتبه الرشيد وقال: إياك أن تعرف الناس مذهبه في ذلك واكتمه.

• دخل أبو نواس على أحد الخلفاء العباسيين يمدحه بقصيده فما زال ينشدها إياه حتى أنهاها، والخليفة مشغول بجارية له زنجية مزيّنة بالجوهر يقال لها: خالصة، ثم خرج أبو نواس وكتب على الباب:

لقد ضاع شعري على بابكم ***كما ضاع درّ على خالصَه

فقرأها الحاجب فأخبر الخليفة، ففطن أبو نواس فعمد إلى ذلك البيت، وأزال مؤخرة العين من (ضاع) فأصبحت همزة. فنظروا فوجدوه كذلك. فقال بعضهم: هذا شعر قلعت عينه فأبصر.

• مرض الشعبي ـ رحمه الله ـ فلما شغله العوّاد بكثرة سؤالهم عن مرضه كتب ورقة شرح فيها قصة مرضه. وعلّقها فوق رأسه فإذا سُئل بعد ذلك قال للسائل: اقرأ ما في الورقة.

• خرج القاضي أحمد بن ناصر المخلافي من الحمام فلقيه بعض أصدقائه وسأله عن سبب دخوله الحمام فأنشده قول الشاعر:

ولم أدخل الحمام من أجل لذة ***ولكنه لم يكفني فيـــــض أدمعي

وكيف ونار الشوق بين جوانجى ***دخلت لأبكي من جميع جوارحي

وكان قد تناول الحناء وأثره على يده فقال له: فما هذا؟ يشير إلى الحناء. فقال مرتجلاً:

وليس خضاباً ما بكفي وإنما ***مسحت به أثْر الدموع السوافح

• غضّ أبو العيناء من بعض الهاشميين فقال له: أتغضّ مني وأنت تصلي عليّ في كل صلاة في قولك: اللّهُمَّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد؟ فقال: إني أريد الطيبين الطاهرين، ولست أنت منهم.

الختام

وهو أن يأتِي في كلامِه بأحسن خاتِمة، فإنَّها آخِرُ ما تبقى من الأسماع، وربما حُفِظتْ دون سائر الكلام، وربَّما جَبَرَت ما سبق من التَّقْصير وإلاَّ كان بالعكْس

أحسن الانتهاء: هو أن يجعل آخر الكلام عذب اللفظ، حسن السبك، صحيح المعنى، فإن اشتمل على ما يشعر بالانتهاء، سُمِّي براعة المقطع؛ كقوله:

بقِيتَ بقاء الدهر يا كهفَ أهله ***وهذا دعاءٌ للبرية شاملُ

وجميع خواتم السور في غاية الحسن ونهاية الكمال لمن تدبَّر.

وجميع خواتيم السور كفواتحها، واردة على أحسن وجوه البلاغة وأكملها؛ لأنها بين أدعية، ووصايا وفرائض؛ وتحميد تهليل؛ ومواعظ وود ووعيد؛ إلى غير ذلك مما يناسب الاختتام، كتفصيل جملة المطلوب في خاتمة الفاتحة، إذ المطلوب الأعلى: الإيمان المحفوظ من المعاصي المسببة لغضب الله والضلال، فصل جملة ذلك بقوله: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ والمراد المؤمنون، ولذلك أطلق الأنعام ولم يقيده، ليتناول كل إنعام؛ لأن كل من أنعم الله عليه بنعمة الإيمان فقد أنعم عليه بكل نعمة؛ لأنها مستتبعة لجميع النعم.

ثم وصفهم بقوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، يعني: أنهم جمعوا بين النعم المطلقة، وهي نعمة الإيمان وبين السلامة من غضب الله والضلال المسببين عن معاصيه وتعدي حدوده وكالدعاء الذي اشتملت عليه الآيتان من آخر سورة البقرة[١٠٨].

وتأمل سائر خواتيم السور تجدها في نهاية الكمال. ومن أضح ما أذن بالختام، خاتمة سورة إبراهيم ـ عليه السلام ـ، وهو قوله تعالى: ﴿هَذَا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [إبراهيم: ٥٢] ، وكذا خاتمة الحجر بقوله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ فإنها في غاية البراعة، ومثلها خاتمة الزمر، بقوله

---

[١٠٨] ينظر: أنوار الربيع في أنواع البديع، لابن معصوم، (ص٥١٢).

سبحانه: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الروم: ٧٥] ، وأما خاتمة الصافات فإنها العلم في براعة الختام، حتى ضارت يختم بها كلام؛ وهي قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠] .

ومن أحسن براعات الختام قول أحد البلغاء، وهو علي بن أبي طالب - في خاتمة خطبة الاستسقاء: ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، فإنك تنزل الغيث من بعد ما قنطوا، وتنشر رحمتك وأنت الولي الحميد[١٠٩].

وأما حسن ختام الحريري للمقامات[١١٠]، فإنه من البراعات التي تنتهي إليها الغايات، وهو قوله: ثم دنوت إليه كما يدنو المصافح، وقلت: أوصني أيها العبد الصالح، فقال: اجعل الموت نصب عينك، وهذا فراق بيني وبينك فودعته وعبراتي يتحدرن من المآقي، وزفراتي تتصعدن إلى التراقي، وكانت هذه خاتمة التلاقي.

ومن أمثلته في النظم قول أبي نواس في خاتمة قصيدته التي مدح بها الخطيب:

وإني جدير إذا بلغتك بالمنى ***وأنت بما أملت جدير.

فإن تولني منك الجميل فأهله ***وإلا فإني عاذر وشكور.

وقول أبي تمام في ختام قصيدة فتح عمورية:

إن كان بين صروف الدهر من رحم ***موصولة أو ذمام غير منقضب.

فبين أيامك اللاتي نصرت بها ***وبين أيام بدر أقرب النسب.

أبقت بني الأصفر الممراض كاسمهم ***صفر الوجوه وجلت أوجه العرب.

تم الكلام وربنا محمود ***وله المكارم والعلا والجود

---

[١٠٩] ينظر: أنوار الربيع في أنواع البديع، لابن معصوم، (ص٥١٣).

[١١٠] ينظر: شرح مقامات الحريري، للشريشي، (٣/ ٤٧٧).

ثم الصلاة على النبي محمـــــد***ماغرد قمري وأورق عـــــود

خلاصة القول في علم البديع

علم البديع هو أحد علوم البلاغة الذي يهتم بتحسين الكلام وتنميقه من خلال المحسنات البديعية، سواء كانت لفظية أو معنوية، وله فوائد عديدة تظهر في النصوص الأدبية، وتؤثر على القارئ أو المستمع، ومن أبرز هذه الفوائد:

١. إبراز جمال اللغة: يضفي علم البديع رونقًا وجمالًا على النصوص من خلال استخدام المحسنات البديعية، مثل السجع والجناس والتشبيه والاستعارة.

٢. تأثير عاطفي: يعزز من قوة النصوص في التأثير على المشاعر، حيث تضفي المحسنات البديعية موسيقى وإيقاعًا يجعل الكلمات أكثر تأثيرًا.

٣. إثراء النصوص بالألوان البلاغية: يمنح النص تنوعًا وجاذبية من خلال استخدام أساليب مبتكرة تُبرز المعاني وتعمّقها.

٤. جذب الانتباه والإقناع: يجعل النصوص أكثر قوة وإقناعًا، حيث تساعد المحسنات البديعية في توصيل الأفكار والمعاني بطريقة شيقة وجذابة.

٥. تنمية الذائقة اللغوية: يُنمّي لدى القارئ أو المستمع حسًا بلاغيًا وذائقة لغوية تمكنه من تمييز النصوص الجميلة وفهم أسرارها البلاغية.

٦. إظهار مهارة الكاتب: يُظهر براعة الكاتب أو الشاعر في استخدام اللغة بشكل إبداعي ومتميز، مما يعكس تمكنه من أدواته اللغوية.

٧. الإبقاء على المعاني في الذاكرة: النصوص التي تحتوي على تحسينات بديعية تكون أكثر قابلية للحفظ والتذكر بسبب جمال صياغتها وتناغمها.

٨. تعزيز الإيقاع الهادئ في النفوس: من خلال المحسنات اللفظية مثل السجع والجناس، يُضفي علم البديع إيقاعًا موسيقيًا يعزز انسجام النصوص.

أمثلة على فوائد علم البديع: الجناس: كما في قول الله تعالى: { وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ} [الروم: ٥٥]

الجناس بين ساعة وساعة يزيد من التأثير البلاغي للآية.

السجع: كما في قوله ﷺ: "اللَّهُمَّ أعطِ مُنفِقًا خَلَفًا، وأعطِ مُمسِكًا تَلَفًا"[١١١].

السجع يجعل الدعاء أكثر تأثيرًا وإيقاعًا.

علم البديع هو أحد علوم البلاغة الثلاثة (المعاني، البيان، البديع) ويُعنى بتحسين الكلام وتنميقه باستخدام المحسنات البديعية. ينقسم إلى قسمين رئيسيين:

المحسنات اللفظية: تعتني بجمال اللفظ وموسيقاه. مثل: الجناس، السجع، الترصيع، التكرار، التصريع.

المحسنات المعنوية: تُبرز جمال المعنى وتزيد من تأثيره. مثل: الطباق، المقابلة، حسن التعليل، التورية، المبالغة.

أهدافه:

-إبراز جمال النصوص.

-جذب انتباه القارئ أو المستمع.

-توضيح المعاني وتعميقها.

-إبراز مهارة الكاتب أو الشاعر.

أهميته: علم البديع يجعل النصوص أكثر تأثيرًا وجمالًا، سواء في الشعر أو النثر، وهو يُظهر إبداع الكاتب في صياغة المعاني بأسلوب مُتقن وجذاب.

---

[١١١] رواه البخاري، رقم: (١٤٤٢).

المُبَالغة

هي من قسم البديع.

المبالغة في اللّغة: الاجتهاد في الشيء إلى حدّ الاستقصاء والوصول به إلى غايته، وتأتي بمعنى المغالاة، وهي الزيادة بالشيء عن حدّه الذي هو له في الحقيقة، يقال لغة: بالغَ في الأمر مُبالغةً وبلاغاً، إذا اجتهد فيه واستقصى، وإذا غالى فيه أيضاً.

والمبالغة اصطلاحاً هنا: أن يدّعي المتكلّم لوصفٍ ما أنّه بلغ في الشدّة أو الضعف حدّاً مستبعداً أو مستحيلاً[١١٢].

المبالغة ضرب من الإيجاز يختزن معاني كثيرة، وهو أسلوب من أساليب العربية يؤتى به لتفخيم المعنى وتمكينه في نفس المتلقي.

والقرآن الكريم زاخر بهذا الأسلوب البليغ قصد به إحداث التأثير في نفس المتلقي في سياق الترغيب أو الترهيب، ولا مبالغة في صفات الله تعالى التي وردت بصيغ المبالغة كرحيم وغفور، إذ لا مبالغة فيها هنا، لأن المبالغة أن تثبت لشيء أكثر مما له، وإنما يكون ذلك فيما يقبل الزيادة والنقص وصفاته تعالى منزهة عن ذلك.

مثال ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾[الحج: ١]

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾

﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾

أي: اتَّقُوا اللهَ؛ لأنَّ أمامَكم أهوالًا عَظيمةً، يَحصُلُ منها رُعبٌ هائِلٌ، وفَزَعٌ كَبيرٌ يومَ القيامةِ، ولا نجاةَ مِن ذلك إلَّا بتَقواهُ سُبحانَه

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾

---

[١١٢] ينظر: البلاغة العربية، لحنبكة، (٢/ ٤٥٠).

أي: يومَ تَرَونَ زلزلةَ السَّاعةِ -أيُّها النَّاسُ- تَشْتغِلُ كُلُّ مُرضِعةٍ حِينَها عمَّن تُرضِعُه، وتَغفُلُ عنه حائِرةً مَدهوشةً، قد اشتدَّ بها الكَربُ؛ مِن هَولِ ما تراهُ .

﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾

أي: وتُسقِطُ كُلُّ امرأةٍ حاملٍ جَنينَها الذي في بَطنِها قَبلَ تمامِه؛ لشِدَّةِ الكَربِ والفَزَعِ والهَولِ .

﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾

أي: وترى النَّاسَ تَحسَبُهم سُكارى قد دَهِشَت عقولُهم، وغابت أذهانُهم؛ مِن شِدَّةِ الفَزَعِ والكَربِ والهَولِ، ولَيسُوا بسُكارى حقيقةً مِن شُربِ الخَمرِ

في قَولِه تعالى: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾ دَلالةٌ على إجازةِ المُبالغةِ في الأشياءِ، حتى يُسمَّى بأضدادِها، كما يُقالُ: «فلانٌ ميتٌ» إذا كان بليدًا في أمْرِه خاليًا مِن المنافِعِ، و«فلانٌ شيطانٌ» إذا كان داهيةً، وأشباه ذلك، ألَا تراه قال: وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى، ثمَّ قال: وَمَا هُمْ بِسُكَارَى يعني -واللهُ أعلَمُ- مِن الشَّرابِ، ولكنْ مِن غَلبةِ الفَزَعِ لِمَا عايَنوا مِن الزَّلزَلةِ.

مثال آخر، وهو قوله تعالى:

﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾[النور: ٤٠]

فلو اكتفى القرآن بقوله ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ﴾ لأدَّى الغَرَضَ، وهُو شِدَّةُ الظَّلامِ الحاصِلِ مِن تَلاطُمِ الأمْواجِ وتَتابُعِها، لكنَّ تَرادُفَ الصِّفاتِ بعد ذلك أفادَ المُبالَغةَ في وصْفِ ضلَالِ الكُفَّارِ وجَهْلِهم، وأنَّه ضَلالٌ مُطبِقٌ أحاط بهم مِن كلِّ ناحِيةٍ، وتَواترتْ

طَبقاتُه بعضُها فوقَ بعضٍ. والآيةُ مِن أمْثِلةِ التَّبليغِ؛ إذْ كونُ الظَّلامِ حاصِلًا مِن هذه الأمورِ مُمْكنٌ عقْلًا وعادَةً.

ومنه أيضًا قولُ ابنِ نُباتَةَ:

لم يُبْقِ جودُك لي شيئًا أؤمِّلُه***تَركْتَني أصْحَبُ الدُّنيا بِلا أمَلِ

فالشَّاعِرُ يُبالِغُ في وصْفِ كرَمِ المَمْدوحِ وجُودِه؛ فيَصفُه بأنَّه قد حقَّق له كلَّ أمانيه، حتَّى صار بلا غايَةٍ يُؤمِّلُ الحُصولَ عليها، وأصبَحَ في الدُّنيا بلا أمَلٍ يَرجو أنْ يُمْهِلَه العُمرُ وتُواتيه الفُرصةُ لاقْتِناصِه. وهذا المَعْنى وإنْ كان فيه مُبالَغةٌ إلَّا أنَّه مُمْكِنٌ عقْلًا وعادَةً.

وقولِه تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾ [النور: ٣٩] ؛ فإنَّه سُبحانه لو قال: "يَحسَبُه الرَّائي ماءً" لكان كافِيًا أيضًا، لكنَّ المُبالَغةَ باسْتِخدامِ "الظَّمآنِ" أشدُّ وقْعًا وأعْظَمُ أثَرًا؛ فإنَّ حاجَةَ الظَّمآنِ إلى الماءِ أعظَمُ مِن حاجَةِ غيرِه.

ومنه قولُ الشَّاعِرِ

ونُكرِمُ جارَنا ما دام فينا***ونُتْبِعُه الكَرامةَ حيثُ مالَا

فإكْرامُ الجارِ حقٌّ مِن حُقوقِه، ومَكرُمةٌ يُحمَدون عليها، لكنَّ إكْرامَه بعدَ ذَهابِه عنهم أينما ذهَب مِنَ المُبالَغةِ

أنواع المبالغة

جمع البلاغيون المبالغة المقبولة في أنواعٍ ثلاثة، وهي: التبليغ، والإغراق، والغلو.

١- التبليغ: حيث يكون فيه الوصف المُدّعى ممكناً في العقل والعادة، ومنه قوله تعالى: ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ﴾ {النور ٤٠}، فإن وجود الظلمات المُطبقة التي لا تكاد تُرى فيها اليد أمرٌ ممكن عقلاً وعادةً. ومنه في الشعر قول الشاعر في وصف سرعة الفرس:

إذا ما سابقتها الريحُ فرّتْ***وألقتْ في يدِ الريحِ الترابا

فإن من الممكن عقلاً وعادةً أن تكون الفرس بهذه السرعة.

٢- الإغراق: حيث يكون المدّعى بالوصف ممكناً عقلاً لا عادة، ومنه قوله تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ ﴾ {النور ٤٣}، فإن النظر إلى البرق يمكن عقلاً أن يؤدي إلى العمى وذهاب البصر، ولكنه ليس من عادة البشر النظر إلى البرق. ومنه في الشعر قول الشاعر عمرو بن الأيهم التغلبي:

ونكرم جارنا ما دامَ فينا***ونتبعهُ الكرامةَ حيثُ مالاً

فإنه ادّعى أن كرمه يلاحق جاره، وهذا ممكن عقلاً وممتنعٌ عادةً.

٣- الغلو: حيث يكون المدّعى مستحيلاً عقلاً وعادةً، وله نوعان: مقبول ومردود.

المقبول: وهو ثلاثة أنواع:

١- ما اقترن به أداة من الأدوات التي تقرّبه للإمكان، مثل: (يكاد) التي هي للمقاربة، و(قد) للاحتمال، و(لو، ولولا) للامتناع، ومن أمثلتها: قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ {النور ٣٥}، فمن غير العادة أن يضيء الزيت دون أن تمسّه النار، واقترانه بـ (يكاد) قرّبه للإمكان، وقارب أن يكون مبالغة. ومنه قول المتنبّي مفتخراً:

لو برزَ الزمانُ إليّ شخصاً***لخضّبَ شعرُ مفرقه حسامي

فمن المستحيل أن يتجسّد الزمام بهيئة شخصٍ يبارزه الشاعر ويغلبه، فاقترن بـ (لو) الذي قربه من الإمكان.

٢- ما جمّلهُ حسنُ تخييل، كقول الشاعر ابن عبد ربه يصف محبوبته بدقة الخصر:

يا من تقطّع خصْرهُ من رقّةٍ***ما بالُ قلبكِ لا يكون رقيقا

فخصر المحبوبة لشدّة دقته قد تقطّع، وهذا ممتنعٌ عقلاً وعادةً، ولكن ما انطوى عليه من حسن تخييل جعله مقبولاً.

٣- ما أُخرج مخرج الهزل والخلاعة، كقول الشاعر:

أسكرُ بالأمسِ إنْ عزمتُ على ***الشربِ غداً إنْ ذا من العجبِ

لشدّة حبه وشوقه لشرب الخمر، فإنه يسكر قبل الموعد الذي حدّده للشرب بيومين، وذلك مستحيلٌ عقلاً وعادةً، لكن سياق الهزل والخلاعة الذي قُدّم فيه جعله مقبولاً، ومنه قولهم على سبيل الظُّرف: "فلانٌ يسكرُ على الرائحة".

المردود: ما يكون ليس ممكناً لا في العقل ولا في العادة، وليس من الأنواع الثلاثة للمقبول، ومنه قول المتنبّي في مدح سيف الدولة الحمداني:

تجاوزتَ مقدارَ الشجاعةِ والنُّهى***إلى قولِ قومٍ أنتَ بالغيبِ عالمُ

فإن علم الغيب أمرٌ استأثر به الله عزّ وجل، ويستحيل على الإنسان وأي كائنٍ من كان أن يعلم به، فهذا من الغلو المردود، ويؤول بقائله إلى الكفر.

ما هي جماليات المبالغة؟

إن محدودية الفكر تجعل الإنسان يتفاعل مع كل غريبٍ وجديد، فالنفوس البشرية أطوع للوهم منها للعقل، وما المبالغة عن هذا ببعيدة، وتختلف المبالغة في الشعر عن النثر، فالشعر يتوجه إلى الوهم، أما النثر، فيتوجه إلى العقل.

التذييل

التذييل في البلاغة أن يؤتى بعد الجملة الأولى بجملة أخرى تشتمل على معناها إما: للتأكيد، وهو إما تأكيد المنطوق، نحو: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾[الإسراء: ٨١]، وإما تأكيد المفهوم نحو:

ولست بمستبق أخاً لا تلمه *** على شعث أي الرجال المهذب؟

فقد دلت الجملة الأولى بعدم وجود الرجل الكامل فأكدها بالجملة الثانية "أي الرجال المهذب؟"

للتذييل نفسه، وهو إما يستقل بمعناه لجريانه مجرى المثل، نحو:

كلكم أروغ من ثعلب***ما أشبه الليلة بالبارحة

أو لا يستقل، لعدم جريانه مجرى المثل، نحو:

لم يبق جودك لي شيئاً أؤمله *** تركتني أصحب الدينا بلا أمل.

ما هو التذييل في البلاغة؟

التذييل في البلاغة أن يؤتى بعد الجملة الأولى بجملة أخرى تشتمل على معناها إما: للتأكيد، وهو إما تأكيد المنطوق، نحو ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ﴾[الإسراء: ٨١]، وإما تأكيد المفهوم.

ماذا يقصد بالتذييل في الكتابة؟

الجواب:

التذييل عند أهل الكتابة، هو الكتابة في ذيل الورقة أو الكتاب، وتحت متن النص عموماً.

تذييل التذييل هو زيادة تذييل بعد التذييل الأول.

التذييل في القرآن الكريم

ومما جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ﴾ [التوبة:١١١]، ففي هذه الآية الكريمة تذييلان: أحدهما: قوله تعالى: ﴿ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً ﴾، فإن الكلام قد تمَّ قبل ذلك، ثم أتى سبحانه بتلك الجملة لتحقق ما قبلها. والثاني: قوله سبحانه: {ومن أوفى بعهده من الله}، فخرج هذا الكلام مخرج المثل السائر؛ لتحقيق ما تقدمه، فهو تذييل ثان للتذييل الأول

وقع (التذييل) في القرآن بكثرة، وأكثر من نبَّه عليه من المفسرين الآلوسي وابن عاشور.

وجاء في القرآن على ثلاثة أضرب: الأول: في ختام الآيات، وهو الأكثر. الثاني: أن يأتي آية

برأسه، أن يأتي في وسط الآية. ونحن نذكر بعضاً من كلٍّ ضَرْب؛ ليتضح المراد، ولتستبين سبيل المؤمنين:

أولاً: التذييل في ختام الآية، ومن أمثلته:

- قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا }، ثم قال عز وجل: ﴿ وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧] ، أي: هل يجازى ذلك الجزاء الذي يستحقه الكفور إلا الكفور؛ فإن جعلنا (الجزاء) عاماً كان الثاني مفيداً فائدة زائدة.

- قوله سبحانه: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ ، ثم قال عز من قائل: ﴿ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ﴾[الإسراء: ٨١]، وهو (تذييل) للجملة التي قبله؛ لما فيه من عموم، يشمل كل باطل في كل زمان. وإذا كان هذا شأن الباطل كان الثبات والانتصار شأن الحق؛ لأنه ضد الباطل، فإذا انتفى الباطل ثبت الحق. وبهذا كانت الجملة (تذييلاً) لجميع ما تضمنته الجملة التي قبلها. والمعنى: ظهر الحق في هذه الأمة، وانقضى الباطل فيها، وذلك شأن الباطل فيما مضى من الشرائع، أنه لا ثبات له[١١٣].

- قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ ﴾ ، ثم قال عز وجل: { أَفَإِيْنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴾[الأنبياء: ٣٤]، وهذا تذييل للجملة قبلها بطريق الاستفهام، يفيد أن الخلود في هذا الحياة منفي عن كل مخلوق، فكل مخلوق مصيره إلى الفناء والزوال لا محالة.

- قوله سبحانه: ﴿ إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ }، ثم قال عز من قائل: ﴿ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[فاطر: ١٤]، وهو تذييل لما سبقه من أخبار؛ لتحقيق هذه الأخبار بأن المُخْبِرَ بها هو الخبير بها وبغيرها، ولا يخبرك أحد مثل ما يخبرك هو سبحانه وتعالى.

---

[١١٣] ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (١٥/ ١٨٨).

- قوله تعالى: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلْ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾، ثم قال عز وجل: ﴿ وَمَنْ يَتَبَدَّلْ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [البقرة: ١٠٨] ، وهو تذييل للتحذير الماضي؛ للدلالة على أن المُحَذَّرَ منه كفرٌ، أو يفضي إلى الكفر؛ لأنه ينافي حرمة الرسول والثقة به وبحكم الله تعالى.

- قوله سبحانه: ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }، ثم قال عز من قائل: { إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١١٥]، وهو تذييل لمدلول { وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ } والمراد سعة ملكه، أو سعة تيسيره، والمقصود عظمة الله.

- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ }، ثم قال عز وجل: ﴿ إِنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُفْسِدِينَ ﴾[القصص: ٤]، وهو تذييل؛ لتأكيد معنى تمكن الإفساد من فرعون؛ ذلك أن فعله هذا اشتمل على مفاسد عظيمة.

- قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا }، ثم قال عز من قائل: { وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ } [البقرة:١٥٨]، فهذا تذييل لما أفادته الآية من الحث على السعي بين الصفا والمروة، والمقصد منه الإتيان بحكم كلي في أفعال الخيرات كلها من فرائض ونوافل.

- قوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمْ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ﴾، ثم قال عز من قائل: ﴿ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، وهو تذييل مقرِّر ومؤكد لمضمون ما قبله.

- قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ}، ثم قال عز من قائل: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [المائدة: ٧]، وهذا تذييل؛ للتحذير من إضمار المعاصي، ومن توهم أن الله لا يعلم إلا ما يبدو منهم.

- قوله سبحانه: ﴿ لا يُؤَاخِذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ }، ثم قال عز وجل: ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٥]، الجملة تذييل للجملتين السابقتين، وفائدته الامتنان على المؤمنين، وشمول الإحسان لهم، ونفي المؤاخذة عنهم.

- قوله سبحانه: { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَار خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَعْدَ اللَّهِ حَقّاً}، ثم قال عز وجل: { وَمَنْ أَصْدَقُ مِنْ اللَّهِ قِيلاً } (النساء:١٢٢)، تذييل للوعد، وتحقيق له، أي، هذا من وعد الله، ووعود الله وعود صدق؛ إذ لا أصدق من الله قيلاً.

- قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ}، ثم قال عز من قائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٢٠}، وهو تذييل لما سبقه، يفيد عموم المحسنين.

ثانياً: التذييل في وسط الآية، والمثال عليه:

- قوله سبحانه: ﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ}، ثم قال عز وجل: {وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنْ الْقَتْلِ﴾[البقرة: ١٩١] ، فالجملة الأخيرة جاءت في وسط الآية، وهي تذييل للجملة السابقة لها، يفيد عموم الخبر.

- قوله تعالى: ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ}، ثم قال عز من قائل: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ

التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧]، فالجملة الأخيرة جاءت في وسط الآية، وهي تذييل للجملة السابقة لها، والآية لم تنته بعدُ.

- قوله سبحانه: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلاَّ نُفُوراً اسْتِكْبَاراً فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ﴾[فاطر: ٤٢ـ٤٣] ، ثم قال عز وجل: ﴿ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ}، وموقع هذه الجملة ومحملها على التذييل، يعم كل مكر وكل ماكر، وهي جملة وسطية، الكلام لم ينته عندها.

ثالثاً: التذييل بآية برأسها، والمثال عليه:

- قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنْ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦]، ثم قال في الآية التالية: ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [ص: ٨٧]، فهذه الآية تذييل لسابقتها، تفيد عموم رسالته ﷺ للعالمين.

- قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ [فصلت: ٤٥]، ثم قال سبحانه: { مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، فهذه الآية تذييل لسابقتها؛ لأن {من} في الموضعين مفيدة للعموم.

- قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢] ، ثم قال عز وجل في الآية التالية: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ﴾ [الزخرف: ٢٣]، تذييل، أي: فذلك شأن الأمم مع الرسل، كلما جاءهم رسول من عند الله يدعوهم إلى عبادة الله الواحد القهار، أعرضوا عنه، وتمسكوا بعبادة ما كان يعبدوا آباؤهم من الأوثان. فكل ما تقدم من الأمثلة المتقدمة، بأضربها الثلاثة من (التذييل) لما قبله، بعد تمام المعنى، إما على سبيل التأكيد، وإما على سبيل التقعيد.

والمتأمل في الأمثلة المتقدمة المتضمنة لأسلوب التذييل يجد أن بين مضمون الآية ومضمون التذييل انسجاماً، وتآلفاً، وتناسباً؛ فلا تجد آية عقاب تذيَّل بآية رحمة، والعكس صحيح، فإن البيان القرآني بأسلوبه ومضمونه يتجه نحو رعاية مطالب المعنى، وهو في الوقت نفسه يحرص على رعاية المبنى.

فوائد التذييل؟

الغرض من (التذييل): (التذييل) -كما يقول أهل البلاغة- ضَرْب من ضروب (الإطناب) من حيث اشتماله على تقرير معنى الجملة الأولى، ويزيد عليه بفائدة جديدة لها تعلق بفائدة الجملة الأولى. ومن هنا كان للتذييل في الكلام موقع جليل، ومكان شريف خطير، لأن المعنى يزداد به انشراحاً، والمقصد اتضاحاً.

في علم البلاغة، التذييل هو أسلوب بلاغي يُستخدم لتعزيز المعنى أو توضيحه أو تأكيده، وله فوائد متعددة، منها:

١. التأكيد على المعنى: التذييل يُستخدم لتأكيد الفكرة المطروحة وتثبيتها في ذهن السامع أو القارئ، مثل قول الله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤].

فالتذييل هنا يؤكد أن الله تعالى عليم بكل شيء.

٢. زيادة الإيضاح والتفسير: التذييل يساعد في شرح الفكرة أو توضيحها بشكل أكبر إذا كان هناك احتمال للغموض أو سوء الفهم.

مثال: قول الشاعر:

لا يَحسُنُ الحسنُ إلا وهو مُقترنٌ بالعقلِ ... والعقلُ زينٌ للحسنِ

التذييل هنا يوضح أهمية العقل كعنصر مكمل للجمال.

٣. إثارة الانتباه: التذييل يستخدم لجذب انتباه السامع أو القارئ إلى النقطة الأساسية أو الفكرة المحورية في النص.

٤. تعزيز التأثير النفسي: عندما يتم تعزيز المعنى بالتكرار أو الإضافة، يُحدث ذلك أثراً أعمق في نفس المستمع أو القارئ، ويجعله أكثر تأثيرًا ووقعًا.

٥. خلق إيقاع بلاغي مميز: التذييل يضيف نغمة أو إيقاعًا للنص يُعزز من جماله الفني ويترك أثرًا بلاغيًا واضحًا.

٦. تقديم حجة أو برهان قوي: في بعض الأحيان، التذييل يضيف عبارة تخدم كدليل أو برهان لدعم الحجة المطروحة.

مثال: قول المتنبي:

إذا غامرتَ في شرفٍ مرومِ ***فلا تقنعْ بما دونَ النجومِ.

التذييل هنا يُقوي المعنى ويحفز السامع لتحقيق أهداف عالية.

٧. الإيجاز مع الإقناع: يمكن للتذييل أن يقدم ملخصًا مختصرًا للمعنى مع تعزيز الرسالة، مما يضمن وضوحها وتأثيرها.

٨. إضفاء التوازن البلاغي: في النصوص الشعرية والنثرية، التذييل يضيف جمالًا إيقاعيًا من خلال التكرار أو التوازن بين المعاني.

باختصار، التذييل في البلاغة ليس مجرد إضافة لفظية، بل هو وسيلة فنية وجمالية تُستخدم لتعزيز المعاني، توضيحها، وإحداث تأثير أكبر في النصوص.

الاحتراس

الاحتراس، لغة التحفظ، وعند أهل المعاني نوع من إطناب الزيادة يقال له التكميل. وهو أن يؤتى في وسط الكلام أو آخره بما يرفع عنه الوهم بخلاف مقصوده.

يُعدّ الاحتراس فناً من فنون البلاغة ، وطريقة من طرق الإطناب استعملتها العرب في نثرها وشعرها ليفيد أغراضاً أسلوبية ومعنوية ، ما كانت لتؤدي هذه الأغراض لولا هذا الفن،

فضلاً عن النكتة البلاغية المهمة لفن الاحتراس والمتمثل في دفع الإيهام عن الكلام وفساد معناه ، فهو فن أصيل له بلاغته ووظيفته في كلامهم ، ومما زاده أصالة.

الاحتراس في القرآن الكريم

مِنْ أَسَالِيبِ الْقُرْآنِ الْبَلَاغِيَّةِ الِاحْتِرَاسُ: وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ مُحْتَمِلًا لِشَيْءٍ بَعِيدٍ فَيُؤْتَى بِمَا يَدْفَعُ ذَلِكَ الِاحْتِمَالَ.

ومِثَالُ الِاحْتِرَاسِ: قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾[القصص: ٣٢]

احْتَرَسَ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ عَنْ أَنْ يكون ذَلِكَ بسبب بَرَصٍ أو مَرَضٍ.

وَمن ذلك قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[النمل: ١٨].

احْتَرَسَ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ عَنْ أَنْ يكون ذَلِكَ مِنْ سُلَيْمَانَ وَجُنُودِهِ عَنْ قَصْدٍ مِنْهُم بل مِنْ عَدْلِ سُلَيْمَانَ وَفَضْلِهِ وَفَضْلِ جُنُودِهِ لَا يَحْطِمُونَ نَمْلَةً فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا بِأَلَّا يَشْعُرُوا.

فإن تَبَسَّمَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كان سُرُورًا بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ وليس غضبًا مِنْهَا، وَأَكَّدَ التَّبَسُّمَ بِالضَّحِكِ لِيُنَبِّهَ عَلَى أَنَّ تَبَسُّمَهُ تَبَسُّمُ سُرُورٍ لَا تَبَسَّمَ الْغَضْبَانِ.

وَمن ذلك قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[المائدة: ٥٤].

احْتَرَسَ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ عَنْ أَنَّ يكون ذَلِكَ لِضَعْفِهِمْ؛ فَإِنَّهُ لَوِ اقْتَصَرَ عَلَى وَصْفِهِمْ بِالذِّلَّةِ لَتُوُهِّمَ أَنَّ ذَلِكَ سَبَبُهُ الضَعْفُ، فلما ذَكَرَ عِزَّتَهُم عَلَى الْكَافِرِينَ عُلِمَ أَنَّهَا مِنْهُمْ تَوَاضُعٌ وَعَطْفٌ، وليس ضَعْفًا.

وجاء في قوله تعالى: ﴿قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ [المنافقون: ١]. الجملة الوسطى احتراس لئلا يتوهم أن التكذيب لما في نفس الأمر.

ونجد في قوله تعالى: ﴿لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ [النمل: ١٨]، قوله: «وهم لا يشعرون» احتراس كيلا يتوهم نسبة الظلم إلى سليمان.

الموازنة

البلاغةَ- كما هو معلوم - مطابقةُ الكلام لمقتضى الحقيقة ، وهي لبُّ العربية ، وقد وُضعتْ لخدمة القرآن الكريم وكلام النبي صلى الله عليه وسلم خاصةً، ولخدمة علوم العربية عامةً .

في هذه المقالة سنبحث علم البديع من انواع المحسنات اللفظي، منها: موازنةُ، مواربةُ، تسميطُ .

تعريف الموازنة:

هي تساوي الفاصلتينِ في الوزنِ دونَ التقفية، نحو قوله تعالى:{ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (١٦) }[الغاشية:١٥، ١٦] فإنَّ مصفوفةومبثوثةً مُتَّفقتانِ في الوزنِ، دون التّقفيةِ.

وكقول امرئ القيس:

أفادَ، وسادَ، وقادَ، وزادَ ***وشادَ، وجادَ، وزادَ، وأفضلَ

وكقول الآخر :

وهوبٌ، مهيبٌ، رحيبُ الفناءِ ***ربيعٌ، مريءٌ، رفيعُ الذُّرا

ومما ورد من الموازنة في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَآتَيْناهُمَا الْكِتابَ الْمُسْتَبِينَ، وَهَدَيْناهُمَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فالمستبين والمستقيم موازنة، لأنهما تساويا في الوزن دون التقفية.

ومنها كذلك قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا، كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا، أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ عَلَى الْكافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا. فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّما نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ [مريم: ٨١].

فالموازنة هنا بين «عزا وضدا» وبين «أزا وعدا» فقد جاء كل زوج على وزن واحد، وإن اختلفت أحرف التقفية أو المقاطع التي هي فواصلها. وأمثال هذا في القرآن كثير بل معظم آياته جارية على هذا النهج، حتى إنه لا يكاد يخرج منه شيء من السجع والموازنة.

ومن أمثلة الموازنة شعرا قول ربيعة بن ذؤابة:

إن يقتلوك فقد ثللت عروشهم ***بعتيبة بن الحارث بن شهاب

بأشدهم بأسا على أصحابه ***وأعزهم فقدا على الأصحاب

فالبيت الثاني هو المختص بالموازنة فإن «بأسا» و «فقدا» على وزن واحد، دون التقفية[١١٤].

أسلوب المدح بما يشبه الذم

تأكيد المدح بما يشبه الذم:

تأكيدُ المدْحِ بما يُشبِهُ الذَّمَّ هو: "أنْ يُبالِغَ المُتكلِّمُ في المدْحِ، فيَعمِدَ إلى الإثْيانِ بعِبارةٍ يَتوهَّمُ السَّامِعُ منها في بادئِ الأمرِ أنَّه ذمٌّ، فإذا هو مدْحٌ مُؤكَّدٌ".

كقَولِه تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا * إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ [الواقعة: ٢٥-٢٦] ؛ فإنَّ الآيةَ الأُولى جاءت صِفةَ مدْحٍ للجنَّةِ؛ حيثُ لا يَسمَعُ أهلُها فيها شيئًا مِنَ اللَّغوِ والتَّأثيمِ، ثمَّ جاءت الآيةُ بعدَها مُصَدَّرةً بقولِه: إِلَّا قِيلًا فأشْعرَتْ بأنَّ شيئًا مِنَ اللَّغوِ

---

[١١٤] ينظر: المثل السائر، (ص١١١).

والتَّأثيمِ يُقالُ في الجَنَّةِ، وهُو ما أفادَه الاسْتِثناءُ، لكنْ جاء ما بعدَها تَوْكيدًا للمدْحِ الأوَّلِ، فذكَر أنَّهم لا يَسمَعون إلَّا السَّلامَ، وعِباراتُ السَّلامِ ليست مِنَ اللَّغوِ والتَّأثيمِ، بل تَكريمٌ ودُعاءٌ وتَحيَّةٌ

أول من ذكر هذا النوع من البديع عبد الله ابن المعتز [١١٥] وهو أن تأتي بالمدح ثم تتبعه بأداة استثناء فتوهم السامع بأن ما بعد الاستثناء لا بد أن يكون ذما فإذا بك تفاجئه بأن ما بعد الاستثناء صفة مدح، وكأن المتكلم لم يجد صفة ذم ليستثنيها فاضطر لاستثمار صفة مدح.

أو أن يُسْتثنى مِن صفةِ ذمٍّ مَنْفيَّةٍ عن الشَّيءِ صِفةُ مدْحٍ بتَقديرِ دُخولِها فيها:

وهُو أعْلى أنْواعِه وأفْضلُها، ومنه قولُه تعالى: ﴿طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ [طه: ١ - ٣] ؛ ففي الآيةِ الثَّانيةِ نفَى اللهُ تعالى أنْ يكونَ أنْزل القُرآنَ على نَبيِّه ﷺ ليَشقى به ويَتعَبَ، فنَفيُ الشَّقاءِ هنا هو نفْيٌ لصِفةِ ذمٍّ، لكنَّه في الآيةِ بعدَها اسْتَثنى، والاسْتِثناءُ يُوهِمُ تَكليْفَه بما فيه بعضُ المَشقَّةِ، فإذا به يَأْتي بصِفةِ مدْحٍ، وهي أنَّه إنَّما أنزَلَ القُرآنَ تَذكِرةً للنَّاسِ وما عليك إلَّا أنْ تُبلِّغَهم فحسْبُ، وليس عليك هُداهم ولا حِسابُهم

قال النابغة:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم***بهن فلول من قراع الكتائب

فالنابغة هنا نفى أولا عن ممدوحيه صفة العيب، ثم عاد فأثبت لهم بالاستثناء عيباً، هو أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب، وهذه ليست في الواقع صفة ذم وإنما هي صفة مدح أثبتها الشاعر لممدوحيه وأكدها بما يشبه الذم.

---

[١١٥] سبق الكلام عنه.

أمثلة على تأكيد المدح بما يشبه الذم:

قال ابن الرومي:

ليس له عيب سوى أنه ... لا تقع العين على شبهه

وقال النابغة الجعدي:

فتى كملت أخلاقه غير أنه ... جواد فما يبقي من المال باقياً

تأكيد الذم بما يشبه المدح

وهو عكس الأسلوب السابق في الصورتين. وله حالتان:

١- أن يؤتى بصفة مدح منفية ثم تستثنى منها صفة ذم، نحو:

لا خير في القوم إلا أنهم جُبناء.

ونحو: لا جمال في الخطبة إلا أنها طويلة في غير فائدة.

٢- أن يثبت لشيء صفة ذم ثم يؤتى بعدها بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى، نحو:

فلان حسودٌ إلا أنه نمام.

ونحو: القوم شِحاحٌ إلا أنهم لِئامٌ.

الباب الثاني

علم المعاني

تعريف علم المعاني:

هو علم يُعرَف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال[١١٦].

ويطلق علم المعاني في كتب البلاغة على الأبواب التي تتناول أحوال الكلام والمعاني المقصودة به.

موضوعات هذا العلم: الإيجاز والإطناب والإنشاء والخبر والوصل والفصل..

أذن علم المعاني هو أحد علوم البلاغة الثلاثة المعروفة: (المعاني، والبيان، والبديع)، وهو العلم الذي يهتم بدراسة أحوال اللفظ العربي التي يكون بها مطابقاً لمقتضى الحال، وذلك وفق الغرض الذي سيق له، بحيث يكون الكلام موافقاً لمراد المتكلم وحال المخاطب.

موضوع علم المعاني:

يتمثل موضوع علم المعاني باللفظ العربي من حيث إفادته المعنى وهو الغرض المقصود عند المتكلم، بحيث يصبح الكلام مشتملاً على تلك اللطائف والخصوصيات التي بها يتطابق مع مقتضى الحال.

أهمية علم المعاني:

تتمثل أهمية علم المعاني في التعرفِ على إعجاز القرآن الكريم، من ناحية ما خصه الله به من جودة السبك، وحسن الوصف، وبراعة التركيب، ولطف الإيجاز، وجزالة كلماته، وعذوبة ألفاظه وسلامتها.

النظر في أسرار البلاغة والفصاحة وتأملها، وما قاله العرب نثراً كان أو شعراً، للتفريق بين جيد الكلام ورديئه.

---

[١١٦] بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، للصعيدي، (١/ ٣٣).

الابتعاد عن الخطأ في تأدية المعنى المـراد، إذ بـه يُعـرف السـبب الذي يـدعو إلى التقـديم والتأخير مثلاً، أو الذكر والحذف، أو الإيجاز والإطناب، أو الفصل والوصل -وهي من أبواب علم المعاني-، فمن خلال علم المعاني يُعرف مثلاً:

أن العرب توجز عند الشكر أو الاعتذار.

أن العرب تُطنب عند المدح.

أن الجملة الفعلية تفيد التجدد.

أن الجملة الاسمية تفيد الثبات.

وعليه، فمتى وضع المتكلم هذه القواعد أمامه، جاء كلامه مطابقاً لمقتضى الحال.

نشأة علم المعاني:

كانت البلاغة العربية في بادئ الأمر وحدة شاملة لمباحث علوم البلاغـة دون تحديـد أو تمييز، والباحث لكتب الأوائل والمتقدمين من علماء العربية يرى ذلـك، ففيهـا تتجـاور مسائل علوم البلاغة، ويختلط بعضها ببعض من غير وجود فاصل بين المسألة والأخرى.

ولكن مع الوقت أخذ المشتغلون بالبلاغة العربية ينحون منحى التخصص والاستقلال، وبدأت مسائل وفنون البلاغة تتبلور وتتشكل واحدة بعد الأخرى، وظل الأمر كذلك حتى جاء عبد القاهر الجرجاني في القرن الخامس الهجري، فوضع نظرية علم المعـاني في كتابـه (دلائل الإعجاز)، ونظرية علم البيان في كتابه (أسرار البلاغة)، مع العلم بأنّ ابن المعـتز كان قد وضع قبله أساس (علم البديع).

وخلاصة ما سبق:

فأن عبد القاهر الجرجاني هو أول من وضع أصول وأسس علم المعاني، حيث قام بتهذيب مسائل علم المعاني وأوضح قواعده، وإن كان من قبله من علماء اللغة قد وضـعوا قواعـد

بسيطة قبله، إلا أنّهم لم يوفّقوا في ذلك كما وُفّق الجرجاني، مُستنداً في ذلك على القرآن الكريم، والسنة النبوية، وكلام العرب.

أبواب علم المعاني؟

الأبواب التي يحتوي عليها علم المعاني هي:

تقسيم الكلام إلى الخبر والإنشاء:

الخبر: ركنا الجملة.

أغراض الخبر.

أضرب الخبر.

مؤكدات الخبر.

خروج الخبر عن مقتضى الظاهر.

أغراض الخبر البلاغية.

الإنشاء:

أقسام الإنشاء:

الإنشاء الطلبي:

الأمر.

النهي.

الاستفهام.

التمني.

النداء.

الإنشاء غير الطلبي.

الجملة:

أجزاء الجملة:

المسند.

المسند إليه.

مواضع المسند.

مواضع المسند إليه.

أحوال المسند والمسند إليه:

الحذف.

الذكر.

التقديم والتأخير.

القصر وأقسامه.

الفصل والوصل.

الإيجاز.

الإطناب.

المساواة.

فوائد علم المعاني

يُحقّق علم المعاني العديد من الفوائد، وهي كما يلي:

معرفة إعجاز القرآن الكريم، وذلك من خلال معرفة ما خصّه الله تعالى للقرآن من جودة السبك، والوصف الحسن، والتراكيب المميزة، والإيجاز اللطيف، والتراكيب السهلة، والكلمات الجزلة، وعذوبة وسلامة الألفاظ، والعديد من محاسن القرآن وفصاحته وبلاغته التي أعجزت العرب عن مناهضته. الوقوف على أسرار البلاغة والفصاحة في كلام العرب، سواء المنثور منه أم المنظوم، وذلك من أجل الاحتذاء بحذوه، والنسج على منواله، والتفريق بين الكلام الجيد والكلام الرديء

إلى غير ذلك من فوائد لا يدركها الإحصاء، ومحاسن لا يحصرها الاستقصاء". فأهميته تنبع من الوقوف على أسرار البلاغة في منثور الكلام ومنظومه، فنحتذي حذوهما وننسج على منوالهما، ونعرف السر في افتخار النبي بقوله: (أوتيت جوامع الكلم)

الإسناد الخبري

الإسناد في النحو العربي هو ضم تركيب لغوي إلى آخر على وجه الإفادة التامة، بحيث يكتمل معنى الجملة، ويمكن الاكتفاء بالتركيبين ليصحّ الحديث. والإسناد نوعان، النوع الأول هو الإسناد الأصلي كإسناد الفعل إلى الفاعل، والنوع الآخر هو الإسناد التبعي ويكون ذلك بالتبعية في الإبدال والعطف بالحروف

والإسناد يتكون من ركنين رئيسين:

الأول: المُسنَد: وهو الحكم المراد إسناده إلى المحكوم عليه، وهو في الجملة الفعلية مُمَثل في الفعل وفي الجملة الاسمية مُمَثل في الخبر.

الثاني: المُسند إليه: وهو الجزء المحكوم عليه وهو في الجملة الفعلية الفاعل أو نائب الفاعل وفي الجملة الاسمية المبتدأ.

تعريف الخبر:

ما يحتمل الصدق أو الكذب لذاته[١١٧].

فإذا كان الخبر مطابقًا للواقع كان قائله صادقًا، وإن كان غير مطابق له كان قائله كاذبًا.

أمثلة عليه:

العلمُ نافعٌ، خالدٌ مجتهدٌ.

أغراض الخبر:

الأصل في الخبر أن يلقى لأحد غرضين؛ هما:

١- إفادة المخاطَب الحكم الذي تضمنته الجملة إذا كان جاهلًا، ويسمى ذلك فائدة الخبر، نحو: الدين المعاملة، وُلد النبي ﷺ عام الفيل، الحياء من الإيمان.

٢- إفادة المخاطب أن المتكلم عالم أيضًا بالحكم الذي يعلمه المخاطب، ويسمى ذلك لازم الفائدة، نحو: أنت نجحت في الامتحان، لمن علمتَ نجاحَه.

وقد يُلقى الخبر على خلاف الأصل لأغراض أخرى تُفهم من السياق منها:

١- إظهار الضعف: مثل: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤].

٢- إظهار التحسر والحزن.

٣- الاسترحام والاستعطاف. أنا العبد الفقير.

٤- التوبيخ: مثل قولك لولد يعصي أباه: إنه أبوك. طلعت الشمس يقال لمن نام عن صلاة الفجر.

٥- الفخر.

٦- المدح: مثل قول كعب بن زهير:

إِنَّ الرَسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ*** مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ مَسْلُولُ

---

[١١٧] ينظر: علم المعاني، للعتيق، (ص٤٤).

٧- النصح والإرشاد:

مثل قول الشاعر:

قد يُدركُ المتأنِي بعضَ حاجتِهِ*** وقد يكونُ مع المستعجلِ الزَلَلُ

٨- الترغيب: مثل قول أحمد شوقي:

وما نيلُ المطالب بالتمني ِ*** ولكن تُؤخذ الدنيا غلابا

أشهر أدوات توكيد الخبر:

إن، وأن، والقسم، ولام الابتداء، ونونا التوكيد، وأحرف التنبيه، والحروف الزائدة، وقد، وأما الشرطية، وضمير الفصل.

خروج الخبر عن مقتضى الظاهر:

إلقاء الخبر وفق الأنواع الثلاثة السابقة هو مقتضى الظاهر، وقد يجري الخبر على خلاف مقتضى الظاهر لاعتبارات يلحظها المتكلم منها:

١- تنزيل خالي الذهن منزلة السائل المتردد.

كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ [هود: ٣٧].

لأنه لما أمر الله نوحًا أن يصنع الفلك، ثم نهاه عن مخاطبته بالشفاعة في مخالفيه، صار مع كونه غير سائل في مقام السائل المتردد، هل حُكم عليهم بالإغراق أم لا؟ فأكَّد الخبر على خلاف مقتضى الظاهر.

٢- تنزيل غير المنكِر منزلة المنكِر لظهور أمارات الإنكار عليه؛ كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ [المؤمنون: ١٥].

مقتضى الظاهر إلقاء الخبر خاليًا من التوكيد؛ لأنهم غير منكرين للحكم، لكن لغفلتهم عن الموت وعدم استعدادهم له، نُزِّلوا منزلة المنكِرين، فأُلقي الخبر مؤكدًا.

٣- تنزيل المنكِر منزلة خالي الذهن:

إذا كان لديه دلائل وشواهد لو تأملها لارتدع عن إنكاره؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣].

مقتضى الظاهر هنا إلقاء الخبر مؤكدًا؛ لإنكارهم وحدانية الله، لكن بين أيديهم من البراهين الساطعة والحجج القاطعة ما لو تأملوه لزال إنكارهم، فلم يُعتد بإنكارهم، وأُلقي إليهم الخبر غير مؤكد.

ومثله تنزيل العالم منزلة الجاهل لعدم عمله بمقتضى علمه، كقولك لمن يعلم وجوب الصلاة ولا يصليها: الصلاة واجبة؛ توبيخًا له.

الجملة وأجزاءها

لكل جملة خبرية كانت أو إنشائية، اسمية أو فعلية ركنان أساسيان هما:

١) المسند: ويُسمى محكومًا به.

٢) المسند إليه: ويُسمى محكومًا عليه.

والنسبة بينهما - أي الحكم - تُسمى إسنادًا، وما عداهما يُسمى متعلقات وقيدًا وفضلةً، نحو: حَضَرَ المعلم مبتسمًا، فحضر مسندٌ، والمعلم مسندٌ إليه، ومبتسمًا متعلقٌ أو قَيدٌ.

مواضع المسند:

١) الفعل التام: نحو: يَأبَى المسلمُ الذل.

٢) اسم الفعل: نحو: آمين.

٣) خبر المبتدأ: نحو: العلمُ نافعٌ.

٤) ما كان أصله خبرًا لمبتدأ.

ويشمل خبر كان، نحو: كان الجو جميلًا، وخبر إن وأخواتها، نحو: إن الصدقَ محمودٌ، والمفعول الثاني لظن وأخواتها، نحو: ظننتُ الصديقَ وفياً، والمفعول الثالث للأفعال التي تنصب ثلاثة مفاعيل، نحو: أعلمتُ المجتهدَ النجاحَ محققًا.

المصدر النائب عن فعل الأمر: نحو: «صبرًا آلَ ياسر موعدكم الجنة».

مواضع المسند إليه:

١) فاعل الفعل التام وشبهه: نحو: انتصرَ المقاومون على العدو، وشبه الفعل نحو: الطالبُ حَسَنٌ خلقُه.

٢) نائب الفاعل: نحو: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ [الكهف: ٤٩].

٣) المبتدأ: نحو: الحياةُ كفاحٌ.

٤) ما أصله مبتدأ:

كأسماء النواسخ، نحو: ظل الطالبُ صابرًا، إن الجو غائمٌ، لعل السماءَ تمطر، والمفعول الأول لظن وأخواتها، نحو: حسبتُ الصديقَ مسافرًا، والمفعول الثاني للأفعال التي تنصب ثلاثة مفاعيل، نحو: أَعْلمتُ الطالبَ الإهمالَ ضارًّا وما عدا ما ذُكر متعلقات؛ كأدوات الشرط والنفي وحروف الجر والمفاعيل، والحال والتميز والتوابع.

ملاحظة:

الجملة الاسمية تدل على الثبوت والاستمرار، والجملة الفعلية تدل على الحدوث والتجدد.

أحوال المسند والمسند إليه:

للمسند والمسند إليه أحوال كالذكر والحذف، والتقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، وفيما يلي بيان أهمها:

أحوال المسند إليه:

أولًا: ذكر المسند إليه:

الأصل في المسند إليه أن يذكر في الكلام إلا إذا كانت هناك قرينة ترجِّح حذفه، ويذكر المسند إليه مع تَرجح حذفه لأغراض بلاغية؛ منها:

١) زيادة التقرير والإيضاح:

كقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥]، ففي تكرير اسم الإشارة زيادة تقرير وإيضاح لتمييزهم عن غيرهم.

٢) بسط الكلام وإطالته للتلذذ:

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ﴾ [طه: ١٧، ١٨]، فذكر المسند إليه (هي) مع إمكان حذفه؛ رغبةً من موسى ـ عليه السلام ـ في إطالة الحديث في مناجاة ربه.

٣) إظهار التعظيم: مثل: حضر سيفُ الدولة، في جواب: هل حضر الأمير؟

٤) التحقير: مثل: السارق قادمٌ، في جواب: هل حضر السارق؟

٥) الفخر: مثل: أنا الفارس أنا الشاعر.

٦) التعريض بغباء السامع:

كقول الفرزدق معرضًا بتجاهل هشام بن عبدالملك عند تجاهله زين العابدين

هَذا الذي تَعرِفُ البَطْحاءُ وَطْأتَهُ ***وَالبَيْتُ يعْرِفُهُ وَالحِلُ وَالحَرَمُ

هذا ابنُ خَيرِ عِبادِ الله كُلِهِمُ ***هذا التقي النقي الطاهِرُ العَلَمُ

ثانيًا: حذف المسند إليه:

قد يُحذف المسند إليه لدواع بلاغية؛ رغبة في إيجاز الكلام إذا وُجدت قرينة تدل عليه، ووُجد مرجح للحذف على الذكر.

ومن دواعي حذفه:

١) ضيق المقام: كقول الشاعر:

قال لي كيف أنتَ قلتُ عَليلٌ *** سهرٌ دائمٌ وحزنٌ طويلٌ

ولم يقل: أنا عليل لضيق المقام بسبب الضجر والتوجع.

ونحو: حريقٌ، عند رؤية نار: أي هذا حريقٌ.

٢) معرفته والعلم به: كقوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعـد: ٩]؛ أي: هو عالم الغيب.

٣) المدح والتعظيم: كقول الشاعر:

جَوادٌ يَبيتُ الوفدُ حولَ فِنائِهِ *** بأكرمِ مَثوىً عندَهُ ومَقيلِ

أي: هو جوادٌ.

٤) الذم والتحقير: كقوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨]؛ أي: هم؛ أي: المنافقون.

٥) الخوف منه أو عليه: نحو: ضُرِبَ اللص.

٦) كونه مجهولًا: نحو: سُرِقتْ سيارتي.

٧) المحافظة على الوزن والقافية: كقول الشاعر:

ومَا المالُ والأَهْلُونَ إلاَ وَدائعُ *** وَلا بُدَّ يَوْمًا أنْ تُرَدَ الوَدائِعُ

أي: أن يَرُد الناسُ الودائعَ.

أحوال المسند:

أولًا: حذف المسند:

الأصل ذكر المسند؛ لأنه ركن في الجملة، وقد يحذف المسند لأغراض بلاغية منها:

١) الاختصار وعدم التكرار: كقوله تعالى:﴿قُـل مَـن يَـرزُقُكُم مـنَ السـمَاوَاتِ وَالأَرضِ قُلِ اللهُ﴾ [سبأ:٢٤]؛ أي: يرزقنا الله.

٢) المحافظة على الوزن: كقول الفرزدق في مدح زين العابدين:

وَلَيْسَ قَوْلُكَ مَن هذا بضَائرِه *** العُرْبُ تَعرِفُ من أنكَرْتَ وَالعَجَمُ

أي: والعجم تعرفه.

ثانيًا: تقديم المسند:

ومن أغراضه:

١) الاختصاص: كقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٤٩].

٢) التفاؤل: كقول الشاعر:

سَعِدَتْ بغُرَّةِ وجهِكَ الأيَامُ *** وتزيَنَتْ ببقائِكَ الأعوامُ

المسند اليه من حيث التقديم والتأخير

الجملة عند البلاغيين تشتمل على مسند ومسند إليه، فالمسند هو الحكم الذي حكم به في الجملة، وهو في الغالب خبر أو فعل، والمسند إليه هو الذي حكم عليه بالخبر أو الفعل، وهو في الغالب إما فاعل أو مبتدأ. فجملة (زيد كريم) زيد هو المسند إليه، وكريم المسند. وجملة (قام زيد) زيد هو المسند إليه وقام المسند.

الأصل في الجملة الفعلية تقديم المسند، والأصل في الجملة الاسمية تقديم المسند إليه.

لكن يذكر البلاغيون : أن الأعرف هو الذي ينبغي أن يبدأ به، فمن عرف الشافعي، وجهل أنه الشاعر الأول بين الفقهاء يقال له (الشافعي الشاعر الأول بين الفقهاء)

ومن عرف وجود شاعر هو الشاعر الأول بين الفقهاء لكنه جهل من هو فيقال له : (الشاعر الأول بين الفقهاء هو الشافعي).

ومما يذكره البلاغيون أنه إذا قدم ما حقه التأخير كان ذلك لمعان بلاغية يحسن بالخطيب تحريها والاستفادة منها:

١. تقوية الحكم وتوكيده، فإذا خاطب العربي عربيا غير منكر ولا مستغرب ولا متلهف لنزول المطر خاطبه بقوله : (ينزل المطر). لكن إذا وجد أن المخاطب متلهف لنزول المطر أو مستغرب فيلجأ إلى تأكيد ذلك بقوله (المطر ينزل).

٢. تخصيص المسند بالمسند إليه، فلا يكون المسند لغير المسند إليه.

فمثلا إذا ادعى شخص أن زيدا يشارك المتحدث في عمل شيء، فسيقول المتحدث ردا على هذه الدعوى : (أنا فعلته) أي فعلته وحدي.

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ﴾، أي أن الحمد مختص به. وقوله ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾. أي لا حكم إلا له.

٣. مراعاة حال المخاطب الذي يسره البدء بما يتشوف إلى معرفة أخباره، واستئناسه بسماع اسمه، أو لأن فيه بشارة أو نذارة.

كأن تقول لمن تريد أن يحس بالتفاؤل : " مع أذان الفجر ولادة ابنك ".

ومن إرادة التشويق قول النبي ﷺ : " ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ... "

٤. الاهتمام بالممدوح بتقديم اسمه، أو لإرادة التفخيم والتعظيم، كقول الشاعر :

محمد أنت ما أحلاك تسمية الله ***سماكها والحمد منتظر.

٥. كون المسند إليه أمرا مستغربا أو نادرا أو مفاجئا، كقول : " الجن لها مساكن في أم القرى"، " جيش العدو دخل المدينة ".

الإِضْمارُ في مَقامِ الإِظْهار

وهو أنْ يأتيَ المُتكلِّمُ بالضَّميرِ في المَحلِّ الَّذي يَليقُ به الاسمُ الظَّاهِرُ. ويأتي ذلك في مَوضِعَين:

١- ضَميرُ الشَّأنِ أوِ القِصَّةِ، وهُو ضَميرُ الغائِبِ الَّذي يَقعُ قبلَ الجُملةِ، ويُسمَّى ضَميرَ الشَّأنِ إذا كان مُذكَّرًا، أو ضَميرَ القصَّةِ إذا كان مُؤنَّثًا، ويَعودانِ إلى ما في الذِّهنِ مِنَ الشَّأنِ أوِ القصَّةِ، وهُو مَضْمونُ الجُملةِ بعدَه، ولا يَحْتاجانِ إلى ضَميرٍ يَعودُ عليهما مِنَ الجُملةِ بعدَهما، ولا يُفسَّرانِ إلَّا بالجُملةِ الَّتي بعدَهما.

فمنه قولُه تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠]، أيْ: إنَّ الشَّأنَ العَظيمَ الَّذي يَعلَمُه أولو الألْبابِ أنَّ مَنْ يَتَّقِ ويَصبرْ لا يُضِعِ اللهُ أجرَه.

وقولُه تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، أيْ: قلْ: إنَّ الشَّأنَ العَظيمَ الَّذي يَنْبغي أنْ يَفْهمَه كلُّ واحِدٍ ويُؤمِنَ به: اللهُ أحَدٌ.

وقولُه تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، أيْ: إنَّ القصَّةَ والحِكمةَ الَّتي يَنْبغي أنْ يَعلَمُها الإنْسانُ أنَّ العَمى عَمى القُلوبِ لا عَمى الأبْصارِ.

وسِرُّ هذا الأسْلوبِ: المُبالَغةُ وتَعْظيمُ تلك القصَّةِ وتَفْخيمُها؛ مِن قِبَل أنَّ الشَّيءَ إذا كان مُبْهمًا كانتِ النُّفوسُ مُتَشوِّقةً إلى فَهْمِه، مُتطلِّعةً إلى علْمِه، فإذا وضَح وفُسِّر حلَّ محلًّا رَفيعَ القدْرِ لديها، ومِن ثَمَّةَ لا يكونُ إلَّا في المَواضِعِ الَّتي يُقصَدُ فيها التَّهويلُ.

٢- بابُ (نِعْمَ) و(بِئْسَ): إذا انْتَصب ما بعدَها على التَّمييزِ على جِهةِ التَّفْسيرِ؛ تقولُ: نِعْمَ رجُلًا زيدٌ؛ فالفاعِلُ لـ"نِعْم" هنا ضَميرٌ مُسْتتِرٌ تَقْديرُه "هو"، وكان الأصْلُ أنْ يأتيَ الفاعِلُ ظاهِرًا: نِعْمَ الرَّجُلُ زيدٌ؛ فإنَّ الفاعِلَ هنا "الرَّجُلُ".

والغَرَضُ مِنَ الضَّميرِ المُسْتترِ في هذا البابِ الإبْهامُ به أوَّلًا للتَّشويقِ واسْتِثارَةِ النَّفْسِ، ثمَّ يأتي التَّمْييزُ فيُزيلُ بعضَ الإبْهامِ، ويَزيدُ تَشْويقًا لمَعْرفةِ المَخْصوصِ بالمدْحِ أوِ الذَّمِّ .

الإظْهارُ في مَقامِ الإضْمارِ

قد يُوضَعُ الظَّاهِرُ مَوضِعَ الضَّميرِ، فيُذكَرُ الاسمُ في المَحلِّ الَّذي يَصلُحُ فيه الضَّميرُ لغَرَضٍ مِنَ الأغْراضِ البَلاغيَّةِ؛ منْها:

١- إلْقاءُ المَهابَةِ في نفْسِ السَّامِعِ، كقولِ الخَليفَةِ: أميرُ المُؤمنينَ يأمُرُ بِكذا؛ ففي اسْتِطاعتِه أنْ يقولَ: أنا آمُرُ بِكذا، لكنَّ اسْتِعمالَ الظَّاهِرِ أوْقَعُ في المَهابَةِ والتَّخْويفِ، وأجْدَرُ في تَنْفيذِ الأمرِ.

٢- تَمْكينُ المَعْنى في نفْسِ المُخاطَبِ، كقولِ صاحِبِ الجنَّةِ لصاحِبِه: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: ٣٨] ؛ ففي إمْكانِه أنْ يقولَ: ولا أُشْرِكُ به أحدًا، وقد سبَق ذكْرُ الربِّ قبلَ ذلك، فتَعودُ الهاءُ في "به" عليه، لكنَّه آثَرَ وضْعَ الظَّاهِرِ لتَقْويةِ المَعْنى.

٣- التَّلذُّذُ بذِكْرِ الاسمِ، كقولِ الشَّاعِرِ: الطويل

سقَى اللهُ نَجدًا والسَّلامُ على نجْدِ***ويا حبَّذا نَجدٌ على القُربِ والبُعدِ

فتَكرارُ "نجْد" إنَّما هو للتَّلذُّذِ بالتَّلفُّظِ بالاسمِ.

٤- الاسْتِعطافُ، كقولِك في الدُّعاءِ: اللَّهمَّ عبْدُك يسألُك المَغْفرةَ، بدَلًا مِن: اللَّهمَّ إنِّي أسألُك المَغْفرةَ؛ لِما في ذكْرِ العُبوديَّةِ مِنَ التَّذلُّلِ والاسْتِرحامِ.

٥- إلْقاءُ الرَّوْعةِ والمَهابَةِ في نفْسِ السَّامِعِ، كما في قولِه تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فلم يقلْ: فتوكَّلْ عليه، وإنَّما ذكَر الاسمَ؛ لانْدِراجِ كلِّ كَمالٍ تحتَ لفْظِ الجَلالَةِ، فهُو جَديرٌ بأنْ يُتَّكَلَ عليه.

٦- التَّهكُّمُ والتَّعجُّبُ، كقَولِه تعالى: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ * كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ * وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص: ١ - ٤] ؛ فقولُه تعالى: ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ﴾ كان يُمكِنُ أنْ يقولَ: "وقالوا"؛ لأنَّه قد سبَق ذكْرُ الكافِرينَ، فيَعودَ الضَّميرُ عليهم، لكنَّه سُبحانَه أعادَ الاسمَ الظَّاهِرَ للتَّهكُّمِ عليهم والتَّعجُّبِ مِن ضَلالِهم وكُفْرِهم.

٧- إظْهارُ فِطْنةِ المُتكلِّمِ وانْتباهِه، كقولِ الشَّاعِرِ: الطويل

تَعالَلْتِ كي أشْجى وما بكِ علَّةٌ***تُريدينَ قَتْلي قد ظَفِرْتِ بذلك

فقد كان يُمكِنُه أنْ يقولَ: "قد ظَفِرْتِ به"، لكنَّه أراد أنَّ ذلك أمرٌ واضِحٌ لا يَخْفى عليَّ، فوضَع اسمَ الإشارَةِ مَوضِعَ الضَّميرِ .

التعريف بالمسند إليه

المسند إليه من حيث الإظهار والإضمار هو أحد الموضوعات البلاغية التي تعنى بدراسة كيفية التعبير عن المسند إليه (المبتدأ أو الفاعل عادةً)، من خلال الإظهار (ذكره بشكل صريح)، أو الإضمار (الإشارة إليه بضمير). ويُحدد ذلك بناءً على مقتضى الحال والسياق البلاغي.

أولاً: الإظهار.

الإظهار يعني ذكر المسند إليه بشكل صريح باسمه أو صفته أو أي تعبير يدل عليه. ويتم ذلك في حالات معينة تخدم السياق البلاغي.

أسباب الإظهار:

١. التوكيد والإيضاح:

عندما يكون القصد تأكيد المسند إليه أو توضيحه.

مثال: " اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ"

(ذكر المسند إليه "الله" لتأكيد عظمته).

٢. دفع الالتباس:

إذا كان هناك احتمال لعدم وضوح المقصود من الكلام.

مثال: "زيد مجتهد."

(ذكر "زيد" لتحديد الشخص المقصود).

٣. التفخيم والتعظيم:

إذا كان الغرض تعظيم المسند إليه أو إبرازه.

مثال: " اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ"

(ذكر اسم الجلالة للتعظيم).

٤. التشويق أو جذب الانتباه:

إذا كان الإظهار يُثير اهتمام السامع.

مثال: "العدل أساس الملك."

(ذكر "العدل" لإبراز أهميته).

ثانياً: الإضمار.

الإضمار هو التعبير عن المسند إليه بضمير يعود إليه بدلاً من ذكره صراحة.

أسباب الإضمار:

١. تجنب التكرار:

إذا سبق ذكر المسند إليه في الكلام، يُضمر لتجنب التكرار الممل.

مثال: "محمد طالب مجتهد، وهو محبوب من الجميع."

(عُبر عن "محمد" بضمير "هو" لتجنب تكرار اسمه).

٢. الإيجاز:

عند الرغبة في اختصار العبارة مع وضوح المعنى.

مثال: "أكل وشرب ثم نام."

(المسند إليه "هو" مفهوم من السياق).

٣. وضوح المسند إليه من السياق:

إذا كان المقصود واضحًا للسامع.

مثال: " قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً"

(المسند إليه "هم" يُفهم من السياق).

٤. الإيحاء بالقرب أو السرعة:

الإضمار أحيانًا يشير إلى قرب العلاقة بين المسند إليه والمسند أو سرعة الحدث.

مثال: ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾[الأعراف:١٠٧].

(الإضمار في "هي" يدل على القرب).

٥. التعظيم أو التحقير:

الإضمار أحيانًا يُستخدم للتعظيم (للدلالة على مقام معلوم)، أو للتحقير (بإخفاء الاسم).

مثال للتعظيم: " إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ "

مثال للتحقير: ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾[المطففين: ١٧].

الفرق بين الإظهار والإضمار:

الإظهار يُستخدم للتوضيح، التوكيد، أو التعظيم.

الإضمار يُستخدم للإيجاز، التخفيف، أو إذا كان المعنى واضحًا من السياق.

خلاصة القاعدة البلاغية:

اختيار الإظهار أو الإضمار يعتمد على السياق البلاغي ومقتضى الحال. فإذا كان الغرض بيانًا أو تأكيدًا، يُظهر المسند إليه، وإذا كان السياق يشير إليه بوضوح أو يتطلب إيجازًا، يُضمر.

استراحة اليوم في دروس بلاغة المعاني

الكلمة الطيبة

الكلمة الطيبة تكشف عن مكنون صاحبها، من رجاحة عقل، وصفاء قلب، قال الشاعر:

وزنِ الكلامَ إذا نطقت فإنما ***يُبدي عقولَ ذوي العقول المنطقُ

وهي مع ذلك صدقة على نفسك، وصدقة مُتَعَدٍّ نفعُها إلى غيرك، ففي الصحيحين قال رسول الله ﷺ: (والكلمة الطيبة صدقة)، و قال: (اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجد فبكلمة طيبة).

والمهتدي من هداه الله ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنْ الْقَوْلِ﴾[الحج: ٢٤].

الكلمة الطيبة: هي القول الحسن الذي يحمل في معناه الخير، ويؤثر إيجابيًا في النفس. وهي تعبير راقٍ عن الأخلاق الحميدة، لها دور كبير في إصلاح القلوب ونشر الألفة والمحبة بين الناس. وقد حثّت عليها الأديان والقيم الإنسانية.

أهمية الكلمة الطيبة

١. عبادة وقربة إلى الله: الكلمة الطيبة من الأعمال التي يُثاب عليها الإنسان.

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَى كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤].

وقال النبي ﷺ: "والكلمة الطيبة صدقة." (رواه البخاري).

٢. تأليف القلوب: تسهم الكلمة الطيبة في نشر المحبة بين الناس وتعزيز العلاقات الاجتماعية.

٣. تخفيف الآلام: تساعد في التخفيف عن الآخرين وتقديم الدعم النفسي، خاصة في لحظات الشدة.

٤. إصلاح ذات البين: يمكن للكلمة الطيبة أن تنهي الخلافات وتعيد السلام بين المتخاصمين.

٥. أثرها الدائم: الكلمة الطيبة تبقى في ذاكرة الآخرين وتؤثر فيهم، فهي كالزرع الذي يؤتي ثماره.

فوائد الكلمة الطيبة

١. أثرها النفسي: تبعث الراحة والسعادة في النفس.

تُقلل من التوتر والقلق.

٢. أثرها الاجتماعي: تزرع الثقة بين الناس.

تُقوي الروابط الأسرية والمجتمعية.

٣. إبراز القيم الأخلاقية: تعكس حسن الخلق، كالتسامح والرفق.

٤. زيادة الأجر والثواب: الكلمة الطيبة تُحسب من أعمال الخير التي تُثقل ميزان الحسنات.

٥. نشر الطاقة الإيجابية: تُشجع الآخرين على التفاعل بإيجابية ونشر الخير.

أمثلة على الكلمة الطيبة

١. التحية والسلام: كقول: "السلام عليكم" و"صباح الخير".

٢. التشجيع والمدح: "أنت مميز"، "عملك رائع".

٣. الاعتذار: "أنا آسف"، "أرجو أن تسامحني".

٤. الدعاء: "بارك الله فيك"، "وفقك الله".

٥. التعبير عن الامتنان: "شكراً لك"، "ممتنّ لمساعدتك".

الخلاصة:

الكلمة الطيبة لها قوة عظيمة وتأثير إيجابي في الحياة، فهي تُصلح النفوس وتُعمق العلاقات وتُكسب الإنسان محبة الآخرين ورضا الله تعالى. لذا، يجب أن نُحسن اختيار كلماتنا ونسعى إلى نشر الطيب منها في كل مكان.

متعلقات الفعل

متعلقات الفعل: هي العناصر أو الكلمات التي ترتبط بالفعل في الجملة وتكمل معناه أو توضح دلالته. يمكن تقسيمها إلى نوعين رئيسيين:

١. متعلقات أساسية (لازمة):

هذه العناصر لا يمكن الاستغناء عنها في الجملة لأنها ضرورية لإتمام المعنى. ومنها:

الفاعل: العنصر الذي يقوم بالفعل.

مثال: قرأ الطالبُ الكتابَ.

المفعول به: العنصر الذي يقع عليه فعل الفاعل.

مثال: كتب المعلمُ الدرسَ.

المفعول المطلق: يُستخدم لتوكيد الفعل أو بيان نوعه أو عدده.

مثال: ركضتُ ركضًا سريعًا.

٢. متعلقات غير أساسية (متممات أو مكملات):

هذه العناصر تُضاف للجملة لتوضيح أو تحديد المعنى، لكنها ليست ضرورية. ومنها:

المفعول فيه (ظرف الزمان والمكان): يبين وقت أو مكان وقوع الفعل.

مثال: سافرتُ أمس. (ظرف زمان)، جلستُ تحت الشجرة. (ظرف مكان)

المفعول لأجله: يبين سبب وقوع الفعل.

مثال: اجتهدتُ رغبةً في النجاح.

المفعول معه: يبين من أو ما الذي وقع الفعل بمصاحبته.

مثال: سرتُ والشمسَ.

الحال: يبين هيئة الفاعل أو المفعول به أثناء وقوع الفعل.

مثال: جاء الطالبُ مسرورًا.

التمييز: يوضح المقصود من كلمة مبهمة.

مثال: اشتريتُ خمسة كتبٍ.

الجار والمجرور: يبين علاقة أو وصفًا إضافيًا.

مثال: ذهبتُ إلى السوق.

ملاحظات:

لا يلزم وجود كل المتعلقات في الجملة، بل يعتمد ذلك على السياق والمعنى المطلوب.

المتعلقات يمكن أن تكون أسماءً (كالفاعل والمفعول) أو أحوالًا أو ظروفًا أو شبه جمل (كالجار والمجرور).

الخلاصة متعلقات الفعل هي العناصر التي ترتبط بالفعل في الجملة وتعمل على إيضاح معناه أو إتمامه. تنقسم متعلقات الفعل إلى نوعين رئيسيين:

١. المتعلقات الأساسية:

هي التي لا يمكن الاستغناء عنها في الجملة، لأنها ضرورية لإتمام المعنى. وتشمل:

الفاعل: هو من يقوم بالفعل أو ينسب إليه.

مثال: قرأ الطفلُ الكتابَ.

المفعول به: هو الذي يقع عليه فعل الفاعل.

مثال: كتب الطالبُ الدرسَ.

٢. المتعلقات غير الأساسية (المكملة أو المتممة):

هي التي تضاف للفعل لتوضيح أو تخصيص معناه، لكنها ليست ضرورية لإتمام الجملة. وتشمل:

المفعول المطلق: لتأكيد الفعل أو بيان نوعه أو عدده، نحو:

اجتهدتُ اجتهادًا كبيرًا.

المفعول فيه (ظرف الزمان والمكان): يحدد زمان أو مكان حدوث الفعل، نحو:

سافرتُ يومَ الجمعة. (ظرف زمان)، جلستُ تحت الشجرة. (ظرف مكان).

المفعول لأجله: يوضح سبب وقوع الفعل، نحو:

درستُ رغبةً في النجاح.

المفعول معه: يوضح من أو ما الذي وقع الفعل بمصاحبته، نحو:

سرتُ والنهرَ.

الحال: يبين هيئة الفاعل أو المفعول أثناء وقوع الفعل، نحو:

جاء المعلمُ مبتسمًا.

التمييز: يوضح المقصود من كلمة مبهمة، نحو:

اشتريتُ كيلو برتقالٍ.

شبه الجملة (الجار والمجرور): يضيف وصفًا مكملًا أو يوضح العلاقة، نحو:

ذهبتُ إلى المدرسة.

ملاحظات:

ليس من الضروري أن تحتوي الجملة على كل هذه المتعلقات.

بعض المتعلقات تُستنتج من السياق، خاصة في الجمل البسيطة.

القصر

القصر: هو الحصر والحبس لغة، قال تعالى: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾.

واصطلاحاً هو: تخصيص شيء بشيء، والشيء الاول هو المقصور، والشيء الثاني هو المقصور عليه[١١٨].

فلو قلت: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ ﴾ [آل عمران: ١٤٤] قصرت محمّداً صلى الله عليه وسلم في الرسالة، بمعنى: انه ليس بشاعر، ولا كاهن، ولا إله لا يموت ... فمحمد صلى الله عليه وسلم مقصور، والرسالة مقصور عليها.

ولو قلت: ما الرسول في آخر الزمان إلا محمد صلى الله عليه وسلم، قصرت الرسالة في آخر الزمان على محمد (صلى الله عليه وسلم)، بمعنى: أن (مسيلمة) و (سجاح) ومن لف لفهم، ليسوا بمرسلين، فالرسالة مقصورة ومحمد مقصور عليها.

---

[١١٨] ينظر: المنهاج الواضح للبلاغة، لحامد عوني، (٢/ ٦٩).

طرق القصر[١١٩].

وللقصر طرق كثيرة: كالإتيان بلفظ، (فقط)، أو (وحده)، أو (لاغير)، أو (ليس غير)، أو توسّط ضمير الفصل، أو تعريف المسند إليه، أو لفظ (القصر)، أو (الاختصاص)، أو ما يشتق منهما .. أو نحوها ممّا عدّها بعضهم الى أربعة عشر طريقاً.

لكن الاشهر المتداول في كلام العلماء أربعة:

١ ـ القصر بالنفي والاستثناء، قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ﴾

٢ ـ القصر بـ (انّما)، قال تعالى: (إِنَّما يخشى الله من عباده العلماء).

٣ ـ القصر بحروف العطف: (لا) و (بل) (ولكن) كقوله:

عمر الفتى ذكره لا طول مدّته وموته خزيه لا يومه الداني

وقوله: (ما الفخر بالنسب بل بالتقوى).

٤ ـ القصر بتقديم ما حقه التأخير، قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

ثم ان المقصور عليه في الاول: هو المذكور بعد أداة الاستثناء، كالرسالة.

وفي الثاني: هو المذكور في آخر الجملة، كالعلماء.

وفي الثالث: هو المذكور ما قبل (لا) وهو: ذكره، وخزيه، والمقابل لما بعدها كقوله: (الفخر بالعلم لا بالمال) والمذكور ما بعد (بل) و (لكن) وهو: بالتقوى، وبالأدب.

وفي الرابع: هو المذكور مقدّماً، كـ (ايّاك).

أمور ترتبط بالقصر

هنا أمور ترتبط بالقصر:

١ ـ القصر يحدّد المعاني تحديداً كاملاً، ولذا كثيراً ما يستفاد منه في التعريفات العلمية وغيرها.

---

[١١٩] ينظر: المنهاج الواضح للبلاغة، لحامد عوني، (٢/ ٧٠).

٢ ـ القصر من ضروب الايجاز وهو من أهم أركان البلاغة، فجملة القصر تقوم مقام جملتين: مثبتة ومنفية.

٣ ـ يفهم من (إنما) حكمان هما: إثبات للشيء والنفي عن غيره دفعة واحدة، بينما يفهم من العطف الإثبات أوّلاً والنفي ثانياً، أو بالعكس، ففي المثال السابق: الخشية للعلماء دون غيرهم، والفخر للتقوى لا للنسب، مع وضوح الدفعة في الاوّل، والترتّب في الثاني.

٤ ـ في النفي والإستثناء يكون النفي بغير (ما) أيضاً، قال تعالى: ﴿إِنْ هَـذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾.

ويكون الاستثناء بغير (إلا) أيضاً، كقوله:

لم يبق سواك نلوذ به ***مما نخشاه من المحن

٥ ـ يشترط في كل من (بل) و (لكن) أن تسبق بنفي أو نهي، وأن يكون المعطوف بهما مفرداً، وأن لا تقترن (لكن) بالواو، وفي (لا) أن تسبق بإثبات وأن يكون معطوفها مفرداً وغير داخل في عموم ما قبلها.

٦ ـ يدلّ التقديم على القصر ـ بالذوق، بينما الثلاثة الباقية تدلّ على القصر ـ بالوضع أعني: (الأدوات).

٧ ـ سبق أنّ الاصل هو أن يتأخّر المعمول عن عامله إلاّ لضرورة، أهمّها إفادة القصر، فإنّ من تتبع كلام البلغاء في تقديم ما من حقّه التأخير، وجدهم يريدون به القصر والتخصيص عادة.

أقسام القصر[١٢٠].

للقصر قسمان:

١ ـ حقيقي: وهو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع، نحو (لا إله إلا الله).

٢ ـ إضافي: وهو أن يختص المقصور بالمقصور عليه لا حقيقة بل بالقياس إلى شيء آخر معيّن، كقول الخطّاب لزميله: (لا يوجد في الصحراء إلا حطباً رطباً)، فإن النفي ليس لكل شيء حتى الإنسان والحيوان، وإنما للحطب اليابس.

وينقسم القصر الإضافي إلى ثلاثة أقسام:

الأول: قصر الأفراد، وذلك فيما اعتقد المخاطب الشركة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ رداً على من زعم التعدّد.

الثاني: قصر القلب، وذلك فيما اعتقد المخاطب عكس الواقع، كقوله: (وليس النبيّ سوى أحمد...) رداً لأتباع (مسيلمة)،و (سجاح).

الثالث: قصر التعيين، وذلك فيما تردّد المخاطب كقوله: (ولم يك للحوض إلا عليّ عليه السلام) لمن تردّد.

وينقسم القصر ـ أعم من الحقيقي والإضافي ـ إلى:

١ ـ قصر الموصوف على الصفة، كما تقدّم في قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ﴾، حيث قصر محمّداً (صلى الله عليه وسلم) في الرسالة.

٢ - قصر الصفة على الموصوف، كما نقدّم في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ حيث قصر العبادة في الله تعالى، فلا نعبد سواه.

---

[١٢٠] ينظر: البلاغة العربية، لحنبكة، (٥٢٧/١).

طرق القصر

للقَصْرِ والتَّخْصيصِ طُرقٌ كَثيرةٌ، وأشْهرُ طُرقِه أرْبعةٌ:

١- النَّفيُ والاسْتِثناءُ: والمَقْصورُ عليه هو ما بعدَ أداةِ الاسْتِثناءِ؛ فإذا قلتُ: ما شاعِرٌ إلا شَوقي، فإنَّني قد قصَرْتُ صِفةَ الشِّعرِ على شوقي دُونَ غيرِه مِنَ الشُّعراءِ، وإنْ قلتُ: ما شَوقي إلَّا شاعِرٌ، فإنَّني قصَرْتُ شَوقي على الشِّعرِ فحسْبُ، فهُو ليس ناثِرًا ولا طَبيبًا ولا غيرَه.

٢- "إنَّما": وهِي تُفيدُ القَصْرَ لتَضمُّنِها مَعْنى النَّفي والاسْتِثناءِ، والمَقْصورُ عليه دائِمًا هو المُتأخِّرُ، كما في قولِه تعالى: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ [النساء: ١٧١]، وكقولِ الشَّاعِرِ:

أَلَا إنَّما الدُّنيا غَضارَةُ أيْكةٍ***إذا اخْضَرَّ منْها جانِبٌ جَفَّ جانِبُ

فالشَّاعِرُ هنا يَقصُرُ الدُّنيا على أنَّها مُجرَّدُ "غَضارَة أيْكَةٍ".

٣- العطْفُ بـ«لا، بل، لكنْ»:

فالعطْفُ بـ«لا» مِثلُ قولِك: "النَّاسُ مَجْزِيُّونَ بأعْمالِهم لا بأقْوالِهم"، وقولِ شَوقي:

كأنَّ أهْرامَ مِصْرٍ حائِطٌ نهَضتْ***به يَدُ الدَّهرِ لا بُنيانُ بانِينا

والمَقْصورُ عليه هنا هو المَعْطوفُ عليه (ما قبلَ أدَاةِ العطْفِ)؛ ففي المِثالِ الأوَّلِ قصَر جَزاءَ النَّاسِ على أعْمالِهم، وفي البيتِ يُصوِّرُ الشَّاعرُ أهْراماتِ مصْرَ كأنَّما هي حائِطٌ قصَر بِناءَه على الدَّهرِ وحْدَه، فلم يُشارِكْه في بِنائِها بانٍ.

أمَّا العطْفُ بـ«بل» فمِثلُ قولِك: ليستِ الصَّدَقةُ مَغْرَمًا بل مَغْنمًا، وقولِ الشَّاعِرِ:

ما افْتَرينا في مَدْحِه بلْ وصَفْنا***بعْضَ أخلاقِه وذلك يَكْفي

والمَقْصورُ عليه معَ «بل» هو المَعْطوفُ (ما بعدَ أدَاةِ العطْفِ)؛ ففي المِثالِ الأوَّلِ قصَر الصَّدقةَ على أنَّها مَغْنمٌ، وفي البيتِ قصَر الشَّاعرُ فِعلَه على أنَّه مُجرَّدُ وصفٍ لبعضِ مَحاسِنِ أخْلاقِه.

ومِنَ العطْفِ بـ«لكن»: لم يأتِ مُحَمَّدٌ لكنْ عَمْـرٌو، فقصَر المَـجيءَ على عَمْـرٍو وحْـدَه، والمَقْصورُ هنا كذلك هو المَعْطوفُ.

٤- تَقْديمُ ما حقُّه التَّأخيرُ، كتَقْديمِ الخبَرِ على المُبْتَدأ وتَقْديمِ بعضِ مَعْمولاتِ الفِعلِ عليه، ويكونُ المَقْصورُ عليه هو المتقدِّمَ، كقَولِه تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، فقصَر العِبادةَ والاسْتعانةَ عليه وحْدَه سُبحانَه وتعالى، بتَقديمِ العامِلِ " إِيَّاكَ " على المعمولِ " نَعْبُدُ " و"نَسْتَعِينُ".

والمَرجِعُ في دَلالةِ تَقْديمِ ما حقُّه التَّأخيرُ على القصْرِ: الذَّوقُ السَّليمُ والفِكْرُ الصَّائِبُ.

خلاصة القصر في علم البلاغة

تعريف القصر:

القصر: هو تخصيص شيء بشيء بأسلوب يفيد الحصر، أي قصر الحكم على شيء معين دون غيره.

أنواع القصر:

١. من حيث طرفي القصر: قصر الصفة على الموصوف: تخصيص صفة بموصوف معين.

مثال: لا كريم إلا عليّ.

قصر الموصوف على الصفة: تخصيص موصوف بصفة معينة.

مثال: عليّ لا كريم غيره.

٢. من حيث الغرض: القصر الحقيقي: يكون القصر فيه بين أمرين لا يتجاوزهما.

مثال: لا إله إلا الله. (حصر حقيقي).

القصر الإضافي: يكون القصر بالنسبة إلى شيء معين، لا عمومًا.

مثال: ما شاعر إلا أحمد. (أي بالنسبة إلى من قيل فيه ذلك).

طرق القصر:

١. النفي والاستثناء:

باستخدام أداة نفي ثم أداة استثناء، نحو: ما نجح إلا المجتهد.

٢. إنما: أداة تفيد الحصر والقصر، نحو قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلمؤمِنُونَ إِخوَة ﴾ [الحُجُرات:١٠].

٣. العطف بـ "بل"، "لا"، و"لكن":

العطف يفيد تخصيص الحكم، نحو:

ما محمد شاعر بل خطيب.

٤. تقديم ما حقه التأخير:

كأن يقدم المفعول به أو الحال على الفعل، نحو: ﴿إِيَّاكَ نَعبُدُ﴾.

فوائد القصر:

الإيضاح والتوكيد: تأكيد المعنى وتخصيصه.

إثارة الانتباه: جذب ذهن السامع إلى المعلومة.

تقوية الحجة: عندما يُستخدم في الجدال أو الإقناع.

الخبر والإنشاء

من علوم المعاني في علم البلاغة (الخبر والإنشاء).

وكل كلام فهو إما خبر، أو إنشاء.

والخبر: ما يصح أن يقال لقائله إنه صادق فيه أو كاذب. فإن كان الكلام مطابقا للواقع كان قائله صادقاً، وإن كان غير مطابق له كان قائله كاذباً[١٢١].

والإنشاء[١٢٢]: ما لا يصح أن يقال لقائله ذلك؛ كـ: "سافِرْ يا محمد، وأقِمْ يا علي"

وهذا صحيح؛ فكل كلام الناس في الدنيا، عربًا كانوا أو غير عرب، إما خبر، وإما إنشاء، لا يخرج عن هذا، فليس هناك كلام ليس خبرًا، ولا إنشاءً.

ولكن هذا ليس معناه أن كل خبر يصح أن يوصف بأنه صادق، أو يوصف بأنه كاذب؛ فأخبارُ الله عز وجل ورسولِه ﷺ لا يمكن أن توصف بالكذب، وأخبار مسيلمة الكذاب وأشباهه لا يمكن أن توصف بالصدق، ولكن هذا ليس بالنظر إلى الجملة، بل بالنظر إلى المتكلم.

فامتناع الصدق في كلام مسيلِمة وأشباهه - فيما يدعيه من نبوة - لا لأن الكلام لا يصح أن يوصف بالصدق؛ لأنه لو قاله الرسول محمد ﷺ لوصف بالصدق، لكن باعتبار أن هذا المتكلم به كاذب، وخبر الله ورسوله لا يمكن أن يوصف بالكذب؛ لأنه خبر الله ورسوله.

ومثّال الخبر سافر محمد، وعلي مقيم.

فقائل هذا يصحُّ أن تقول له: صدقت، أو كذبت، فإنه إن كان قد سافر في المثال الأول، تقول له: صدقت، وإن لم يكن قد سافر، تقول له: كذبت.

وكذلك في المثال الثاني: إن كان مقيمًا حقًّا، فهو صادق، وإن كان غير مقيم، فهو كاذب.

---

[١٢١] ينظر: علم المعاني، لابن عتيق، (ص٤٦).

[١٢٢] ينظر: علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»، للديب، (ص٢٨٢).

والمراد بصدق الخبر: مطابقتُه للواقع، وبكذبه: عدمُ مطابقته له؛ فجملة: (علي مقيم) إن كانت النسبة المفهومة منها مطابقةً لما في الخارج فصدقٌ، وإلا فكذِبٌ.

الخلاصة:

في علم المعاني (أحد علوم البلاغة)، يُقسَم الكلام إلى الخبر والإنشاء، بناءً على الغرض من الكلام وطبيعته.

أولاً: الخبر:

التعريف: هو الكلام الذي يمكن أن يكون صادقاً أو كاذباً. أي أن المتلقي يستطيع التحقق من صحته أو كذبه.

الغرض الأساسي: نقل المعلومات أو الإخبار بشيء.

الأمثلة:

"الجو جميل اليوم." (يمكن التحقق من صحة ذلك بالنظر إلى الجو).

"زيد مجتهد." (يمكن التحقق من اجتهاد زيد).

أغراض الخبر البلاغية:

١. إفادة المخاطَب: تقديم معلومات جديدة لم يكن يعرفها.

مثال: "الشمس تشرق من الشرق."

٢. إفادة المخاطَب العلم اليقيني: إذا كان المخاطَب متردداً أو شاكاً.

مثال: " أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ"

٣. إلزام المخاطَب: إذا كان المخاطَب منكراً.

مثال: " وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ "

ثانياً: الإنشاء

التعريف: هو الكلام الذي لا يمكن أن يُوصَف بالصدق أو الكذب. أي أنه يعبر عن مشاعر أو أوامر أو استفهامات أو تمنيات[١٤٣].

الغرض الأساسي: التعبير عن حالات انفعالية أو طلبات.

أمثلة ما سبق:

"افتح الباب." (أمر).

"هل قرأت الكتاب؟" (استفهام).

"يا ليتني كنتُ معهم!" (تمني).

أقسام الإنشاء[١٤٤]:

١. إنشاء طلبي:

الأمر: اكتب الدرس.

النهي: لا تتأخر.

الاستفهام: متى ستعود؟

التمني: ليت الشباب يعود يوماً.

النداء: يا طالبَ العلم.

٢. إنشاء غير طلبي:

المدح: نعم الرجل خالد.

الذم: بئس التصرف هذا.

ومنها: «حبّذا ولا حبّذا»، كقول جرير:

---

[١٤٣] ينظر: شموس البراعة على دروس البلاغة، للرَّامفُورِيُّ، (ص١٠).

[١٤٤] ينظر: أساليب بلاغية، للرفاعي، (ص١٠٨).

يا حبّذا جبل الريان من جبل ... وحبذا ساكن الريان من كانا

وحبذا نفحـــــات من يمانيــة ... تأتيك من قبل الريـــان أحيـــانا

ومنها: الأفعال المحولة إلى «فعل» مثل: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْواهِهِمْ﴾ [الكهف:٥].

- التعجب: وله صيغتان قياسيتان هما: «ما أفعله» كقوله تعالى: ﴿قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ﴾[عبس: ١٧]. وقول الشاعر:

فما أكثر الإخوان حين تعدّهم ... ولكنهم فى النائبات قليل

و«أفعل به» كقوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنا﴾[مريم: ٣٨].

ويأتي سماعياً كقولهم: «لله دره عالماً».

- القسم: ويكون بالواو والتاء والباء، كقوله تعالى: ﴿وَالضُّحى. وَاللَّيْلِ إِذا سَجى﴾[الضحى: ١]. وقوله: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنا﴾[يوسف:٩١].، وقولنا: «أقسم بالله أنّى برئ».

ـ العقود: بعتك السيارة.

- الرجاء: وهو طلب حصول أمر محبوب قريب الوقوع. والحرف الموضوع له «لعل» كقول ذي الرمة:

لعلّ انحدار الدمع يعقب راحة ... من الوجد أو يشفى نجيّ البلابل

الفرق بين الخبر والإنشاء:

١. من حيث القابلية للتصديق:

الخبر: يقبل التصديق أو التكذيب.

الإنشاء: لا يقبل التصديق أو التكذيب.

٢. الغرض البلاغي:

الخبر: نقل المعلومات.

الإنشاء: التعبير عن انفعال أو طلب.

خلاصة الخلاصة:

الخبر: يُستخدم للإخبار أو نقل الحقائق.

الإنشاء: يُستخدم للتعبير عن المشاعر، أو إصدار الطلبات، أو الاستفهام.

فوائد معرفة الخبر والإنشاء:

معرفة الفرق بين الخبر والإنشاء في علم المعاني تحمل فوائد عديدة، سواء في فهم النصوص الأدبية والشرعية أو في تحسين مهارات التعبير والكتابة. ومن أبرز هذه الفوائد ما يأتي:

١. تحسين فهم النصوص: يساعد التمييز بين الخبر والإنشاء على فهم المعاني الدقيقة للنصوص، سواء كانت أدبية أو دينية؛ لأن لكل نوع غرضًا بلاغيًا مختلفًا.

مثال: في النصوص القرآنية، التمييز بين الخبر (الإخبار عن الحقائق)، والإنشاء (التعبير عن طلبات، أو أوامر) يساعد في التدبر الصحيح.

الخبر: كقوله تعالى: ﴿إِن اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[البقرة:١٧٣].

الإنشاء: كقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾[البقرة:٤٣].

٢. توضيح الأغراض البلاغية: فلكل نوع له غرض بلاغي خاص، وفهم ذلك يساعد على استيعاب الرسالة المقصودة بشكل أعمق.

الخبر: قد يُستخدم لإثبات الحقائق أو دحض الشبهات.

الإنشاء: يُستخدم لإثارة المشاعر، التعبير عن الرغبات، أو حثّ المتلقي على القيام بعمل معين.

٣. تطوير أسلوب الكتابة والخطابة: إدراك الفرق بين الخبر والإنشاء يمكن الكاتب أو الخطيب من اختيار الأسلوب الأنسب لتحقيق غرضه.

عند سرد المعلومات أو الحقائق، يُستخدم الخبر.

عند استثارة الجمهور أو تحفيزهم، يُستخدم الإنشاء الطلبي مثل الأمر أو التمني.

٤. فهم مقاصد المتكلم: يساعد على تحليل مقصد المتكلم من الكلام من خلال:

إن كان ينقل حقيقة أو معلومة، فهو: (خبر).

وإن كان يعبر عن رغبة أو يصدر أمراً، فهو: (إنشاء).

هذا مفيد في تفسير النصوص القانونية والشرعية التي قد تختلف فيها الأحكام تبعًا لنـوع الكلام.

٥. تحسين مهارات النقد الأدبي: يتيح فهم الخبر والإنشاء للناقد القدرة على تحليل النصوص الأدبية والغوص في أغراضها البلاغية، مما يبرز مواطن الجمال والتأثير في النص.

٦. توظيف البلاغة في الحوار والإقناع: في الحوارات والنقاشات، يساعد استخدام الخـبر أو الإنشاء في الوقت المناسب على التأثير على الطرف الآخر:

الخبر: للإقناع بالحقائق.

الإنشاء: لتحفيز العواطف أو الدعوة للعمل.

٧. فهم التنوع في النصوص الأدبية: كثير من النصوص تجمع بين الخبر والإنشـاء لتحقيـق غايات أدبية وجمالية، وفهم هذا المزج يعزز appreciation للنص.

الخلاصة:

معرفة الخبر والإنشاء ليست مجرد معرفة نظرية، بل هي أداة مهمة لفهم النصوص، لتطوير مهارات التعبير، وتعزيز القدرة على التحليل البلاغي والنقد الأدبي.

الوَصل والفَصل في علم المعاني البلاغية

تعريفه: الوصل[١٢٥]: عطف بعض الجمل على بعض، والفصل: تركه وتمييز موضع ونحوه، مثال الوصل قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١]، وقول المتنبي:

أَعَزُ مَكانٍ في الدُنَى سَرْجُ سابِحٍ *** وَخَيرُ جَليسٍ في الزمانِ كِتابُ

أعزُّ مكانٍ في الدُّنا سرجُ سابحٍ"

يشير المتنبي: أن أعز مكان في الدنيا سرج فرس سابح، لأن الشجاع إذا ركبه امتنع، وخير جليس في الزمان كتاب؛ لأنك لا تخشى غوائله ويؤدبك بآدابه، ويؤنسك عند الوحشة بحكمه.

ومثال الفصل قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ [الرعد: ٢]، ولكل من الوصل والفصل مواضع نذكرها.

مواضع الوصل:

يجب الوصل بين الجملتين في ثلاثة مواضع هي:

١) إذا قصد إشراك الجملتين في الحكم الإعرابي، نحو: الطالب يكتب ويقرأ.

٢) إذا اتفقت الجملتان خبرًا أو إنشاءً، وكانت بينهما مناسبة تامة، ولم يكن هناك سبب يقتضي الفصل بينهما؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤]، وقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١].

٣) إذا اختلفتا خبرًا أو إنشاءً، وأوهمَ الفصل خلاف المقصود، نحو: لا وبارك اللهُ فِيك، جوابًا لمن سألك: هل لكَ حاجة أساعدك في قضائها؟

ونحو: لا وشفاه الله، جوابًا لمن سأل: هل شفي أخوك من مرضه؟ لأن ترك الواو يُوهم الدعاء عليه وهو خلاف المقصود.

---

[١٢٥] ينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، للصعيدي، (٢/ ٢٨٠).

مواضع الفصل:

١) أن يكون بين الجملتين اتحاد تام: بأن تكون الثانية توكيدًا للأولى؛ كقوله تعالى: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [الطارق: ١٧]، أو بيانًا لها؛ كقوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾ [طه: ١٢٠].

أو بدلًا عنها؛ كقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٢، ١٣٣].

ويقال في هذه الأحوال الثلاثة: إن بين الجملتين «كمال الاتصال».

٢) أن يكون بين الجملتين تباين تام: بأن يختلفا خبرًا وإنشاءً؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

وقول الشاعر:

لا تَحْسَبِ الْمَجْدَ تَمْرًا أَنْتَ آكِلُهُ *** لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَبِرَا

أو بأن لا تكون بينهما مناسبة مطلقًا، نحو:

(الحياة كفاح، والذكر سعادة، والدعاء عبادة، والزواج حصن مبارك، والسماء ممطرة، وعلي يغدو مبكرًا، ويقال في هاتين الجملتين بين الجملتين بينهما: «كمال الانقطاع».

٣) أن تكون الجملة الثانية جوابًا عن سؤال يفهم من الأولى: كقوله تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣].

فكأنه قيل: لم لا تبرئ نفسك؟ ويقال في هذه الحالة: إن بين الجملتين «شبه كمال الاتصال».

فوائد معرفة الوصل والفصل

علم الوصل والفصل هو فرع من علم البلاغة (علم المعاني)ويعتني بدراسة العلاقات بين الجمل وترتيبها وفقاً للسياق البلاغي، وله فوائد متعددة يمكن تلخيصها فيما يلي:

١. تحسين فهم النصوص:

يساعد علم الوصل والفصل على فهم النصوص الأدبية والشرعية بشكل أعمق، حيث يكشف عن العلاقات بين الجمل وأثرها في تحقيق المعاني المقصودة.

٢. إبراز جمال الأسلوب:

يُضفي جمالاً وبلاغة على النصوص من خلال اختيار الربط أو الفصل بما يناسب الموقف، مما يُبرز قدرة الكاتب على التلاعب بالأسلوب لتحقيق الأثر المطلوب.

٣. تحقيق الدقة في التعبير:

يتيح للكاتب والمتكلم اختيار الأسلوب الأنسب لنقل المعنى، سواء كان ذلك بفصل الجمل لإبراز استقلال المعاني أو وصلها لإظهار الترابط.

٤. توضيح العلاقة بين الجمل:

يُظهر طبيعة العلاقة بين الجمل:

الفصل: يُستخدم للتعبير عن استقلال الجمل أو التباين بين المعاني.

الوصل: يُستخدم لإبراز الترابط والتكامل بين الجمل.

٥. خدمة الأغراض البلاغية:

يساعد على تحقيق أغراض بلاغية مختلفة، مثل:

الإيجاز: في حالة الفصل.

التوضيح والتفصيل: في حالة الوصل.

إثارة انتباه القارئ أو المستمع: باستخدام الأسلوب المناسب.

٦. تعزيز التأثير في المتلقي:

يساهم في جذب انتباه المتلقي وإحداث الأثر المطلوب:

الفصل يُبرز الأفكار المستقلة ويُركز عليها.

الوصل يُظهر الترابط المنطقي والعاطفي بين الجمل.

٧. تحقيق التنوع الأسلوبي:

يتيح للكاتب والمتحدث استخدام أساليب متنوعة تخلق حيوية في النص وتمنع الملل.

٨. تحسين مهارات الكتابة والخطابة:

يساعد على إتقان ترتيب الجمل بما يناسب الموضوع والغرض، مما يعزز من قوة الكتابة والإلقاء.

٩. إظهار الإعجاز البلاغي:

في النصوص القرآنية، يظهر علم الوصل والفصل الإعجاز البلاغي والدقة في التعبير:

الفصل: ﴿وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ (إبراز استقلال الجمل).

الوصل: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً (٦)﴾ [الشرح:٥-٦] (إظهار الترابط).

١٠. تحسين النقد الأدبي:

يُمكن النقاد من تحليل النصوص الأدبية والكشف عن الأثر البلاغي الذي تحققه الجمل المفصولة أو الموصولة.

الخلاصة:

علم الوصل والفصل أداة أساسية لفهم النصوص وتحليلها، كما يُعتبر مفتاحاً لتحسين الكتابة والخطابة، وإبراز جمال النصوص وأثرها البلاغي على المتلقي.

المساواة

يختار البليغ للتعبير عما في نفسه طريقا من طرق ثلاث

فهو تارة يوجز وتارة يسهب وتارة يأتي بالعبارة بين بين على حسب ما يقتضيه حال المخاطب و يدعو إليه موطن الخطاب و نريد هنا أن نشرح هذه الطرق الثلاث:

و سنبدأ بالمساواة لأنها الاصل المقيس عليه

المساواة: أن تكون المعاني بقدر الألفاظ والألفاظ بقدر المعاني لا يزيد بعضها على بعض فالمساواة هي المذهب المتوسط بين الإيجاز والإطناب فكأن ألفاظه قوالب لمعانيه ومن علماء البيان من جعله قسما من الإيجاز وليس قسيما له

فقد سماها ابن الأثير الإيجاز بالتقدير وعرفه بأنه الإيجاز الذي يمكن التعبير عن معناه بمثل ألفاظه وفي عدتها أو هو ما ساوى لفظه معناه .. مثال ذلك:

قال الله تعالى : ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٠].

وقال الله تعالى : ﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣].

وقال تعالى : ﴿مَنْ كَفَرَ فَلا يحزُنكَ كُفْرُهُ ﴾ [لقمان: ٢٣].

ومنها، قول النابغة الذبياني:

فإنك كالليل الذي هو مدركي ***وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

وقال طرفة بن العبد :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا***ويأتيك بالأخبار من لم تزود

الأمثلة السابقة لم يكن فيها إيجاز بحيث تتضمن معاني كثيرة أو فيها حذف يعلم من السياق كذلك ليس فيها إطناب باستعمال ألفاظ قد يستغنى عنها، فالألفاظ هنا جاءت على قدر المعاني مطابقة لها.

فوائد المساواة

المساواة[١٢٦] في علم البلاغة هي نوع من الأسلوب البلاغي، يُقصد به أن تكون الجمل أو العبارات مساوية في الطول والتعبير مع الحفاظ على وضوح المعنى وجمال الأسلوب. وهي تقع بين الإيجاز والإطناب، وتجمع بين البساطة والجمال. وللمساواة فوائد عديدة، منها:

١. تحقيق التوازن في التعبير:

المساواة تمنح النصوص توازناً بين الطول والقصر، مما يجعلها ملائمة للإدراك، لا هي مختصرة جداً فتفقد المعنى، ولا مطوّلة فتُثقل على المتلقي.

٢. وضوح المعنى ودقته:

تساعد المساواة في تقديم الفكرة بشكل كامل ومُتقن دون إسهاب زائد أو اختصار مخل.

٣. ملاءمة السياق:

تكون المساواة مثالية في المواضع التي تتطلب خطاباً معتدلاً يناسب السياق دون الحاجة إلى الإيجاز الشديد أو الإطناب المفرط.

٤. جمال الأسلوب:

المساواة تضفي على النصوص جمالاً في التناسق والتوازن، مما يجعلها مريحة للقراءة وسهلة للفهم.

٥. جذب انتباه المتلقي:

من خلال الحفاظ على التوازن بين المعاني والألفاظ، تصبح العبارات أكثر جاذبية وإقناعاً.

٦. مناسبة الخطابات الرسمية:

تُعد المساواة أسلوباً مناسباً للكتابة أو الخطابة في المناسبات الرسمية، حيث يُتوقع الاعتدال والوضوح.

---

[١٢٦] ينظر: المنهاج الواضح في البلاغة، (٢/ ١٣٠).

٧. تحقيق الاعتدال بين الإيجاز والإطناب:

توفر المساواة وسيلة وسطى تُناسب المواقف التي تحتاج إلى عرض المعاني بدقة دون إفراط أو تفريط.

٨. إبراز المهارة البلاغية:

استخدام المساواة يُظهر قدرة الكاتب أو المتكلم على تحقيق التوازن في النص، وهو دليل على مهارته البلاغية.

٩. تعزيز الأثر النفسي:

الجمل المتساوية في الطول والتعبير تؤدي إلى تركيز المتلقي على المعنى، مما يعزز الأثر النفسي للكلام.

١٠. تسهيل الحفظ والتذكر:

العبارات التي تتسم بالمساواة تكون أكثر سهولة في الحفظ والاستيعاب، كما هو الحال في الأمثال والحِكم.

الخلاصة:

المساواة في البلاغة أداة فعالة لتحقيق التوازن بين الألفاظ والمعاني، مما يضمن وضوح الفكرة وجمال الأسلوب مع جذب انتباه المتلقي وإيصال الرسالة بشكل متقن. إنها أسلوب يجمع بين الإيجاز والإطناب لتلبية احتياجات الموقف البلاغي.

الإيجاز [١٢٧]

هو: أن يؤدى المعنى بعبارة أقل مما يستحق بحسب متعارف الأوساط المتقدم وصفهم، بشرط أن تكون وافية بالمعنى المراد، أو هو اندراج المعاني المتكاثرة، تحت اللفظ القليل الوافي، وهو نوعان:

أ – إيجاز قِصَر ب- إيجاز حَذْف

إيجاز القِصَر: يكون بتضمين العبارات القصيرة معاني كثيرة بلا حذف.

قال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ الأَمْنُ﴾ [الأنعام: ٨٢].

قال – ﷺ:- " الدين المعاملة"

فكلمة الأمن: يدخل تحتها كل أمر محبوب، فقد انتفي بها أن يخافوا فقراً أو موتاً أو جوراً أو زوال نعمة، وكلمة المعاملة يدخل تحتها معاملة المسلم للبشر والحيوان والنبات والجماد، وللمسلمين وغير المسلمين ولله من قبل ذلك إيجاز الحذف: يكون بحذف كلمة أو جملة أو أكثر مع قرينة تعين المحذوف.

· ففي حذف الحرف:

قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٥].

- وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً ﴾ [مريم: ٢٠].

المراد(لا تفتأ) فحذفت(لا)، و (" لم أكن ") فحذفت(النون)

-وفي حذف كلمة :

قال تعالى: ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٨]، أي: (في سبيل الله.)

· وفي حذف جملة :

- قال تعالى: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ بَلْ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [ص: ١ـ ٢].

---

[١٢٧] ينظر: المنهاج الواضح في البلاغة، (٢/ ١٣١).

فالمحذوف جواب القسم (لنهلكن أعداءك) والدليل قوله بعد ذلك : كم أهلكنا من قبلهم من قرن.

- قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨].

المحذوف هنا إذا أردت قراءة القرآن الكريم فاستعذ بالله .

قيمة الإيجاز: الإتيان بالمعني الكثير في لفظ قليل وخير الكلام ما قل ودل، وهو يكثر في الأمثال والحكم والتوقيعات.

ثانياً الإطناب: هو زيادة اللفظ علي المعني لفائدة.

وهو يكون بأمور عدة منها:

١- ذكر الخاص بعد العام:

قال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: ٢٣٨].

* "تنزل الملائكة والروح فيها ". (والروح هو جبريل عليه السلام)

وقيمته: التنبيه علي مزية الخاص وفضله، وإفادة التخصيص.

٢- ذكر العام بعد الخاص :

قال تعالى : "﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [نوح: ٢٨].

وقيمته: العموم و الشمول.

٣- الإيضاح بعد الإبهام :

قال تعالى : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَـؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ [الإسراء: ٤].

وقيمته: التوضيح.

٤ –التكرار : قال تعالى: ﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٤].

وقيمته: التوكيد(غالباً)

٥ –الاعتراض : قال تعالى : ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل: ٥٧]. وهي هنا (للتنزيه)، وقد يأتي للتعظيم، أو التنبيه، أو الذم، أو التحسر.

٦ – التذييل : قال تعالى : ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ﴾ [الإسراء: ٨١]. وقيمته التوكيد.

٧ - الاحتراس : قال تعالى:" ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]. وقيمته: دفع الفهم الخالقيمة الفنية للإطناب : التوكيد والتوضيح والتفصيل والتخصيص والشمول والتنزيه ودفع الفهم الخاطئ

فوائد الايجاز

الإيجاز، وهو التعبير عن المعاني بأقل عدد ممكن من الكلمات دون إخلال بالمعنى أو إبهام، يحمل فوائد عديدة على المستويات البلاغية، الأدبية، والعملية. ومن أهم فوائده:

١. تحقيق الوضوح والدقة:

الإيجاز يُعبّر عن المعنى المطلوب بعبارات قصيرة ودقيقة، مما يُسهل فهمه دون الحاجة إلى شروحات مطوّلة.

٢. جذب الانتباه:

الكلام الموجز يجذب انتباه المستمع أو القارئ، لأنه يقدّم الفكرة بشكل سريع ومباشر دون إطالة قد تُسبب الملل.

٣. الاقتصاد في الوقت والجهد:

الإيجاز يُوفّر الوقت على المتحدث والمستمع، حيث يُختصر الكلام دون إخلال بالمعنى المطلوب.

٤. إبراز الفصاحة والبلاغة:

يُظهر الإيجاز مهارة المتكلم أو الكاتب في التعبير عن الأفكار بوضوح وجمال مع قلة الألفاظ.

٥. التأثير القوي في المتلقي:

الكلام الموجز غالبًا ما يكون أكثر تأثيرًا وإقناعًا، لأنه يترك أثرًا أكبر في ذهن المتلقي بسبب وضوحه وتركّزه.

٦. جمال الأسلوب وعمق المعنى:

الإيجاز يتيح للكاتب أو المتحدث التركيز على الكلمات الدقيقة ذات التأثير الكبير، مما يُضفي جمالًا على النصوص.

٧. تعزيز الحفظ والتذكر:

النصوص الموجزة تكون أسهل في الحفظ والتذكر، وهو ما نجده في الحكم والأمثال والشعر.

٨. ملاءمة الخطاب للمواقف المختلفة:

الإيجاز يناسب المواقف التي تتطلب السرعة أو الحاجة إلى تركيز الأفكار دون تشتيت.

٩. التأثير البلاغي والجمالي:

في البلاغة، الإيجاز يظهر الإبداع في القدرة على التعبير عن المعاني الكبيرة بأقل الكلمات.

مثال: قال تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَاسَمَاءُ أَقْلِعِي﴾ [هود: ٤٤].

الآية موجزة، وتحتوي معانٍ متعددة بعبارات قليلة.

١٠. تقليل احتمال سوء الفهم:

الإيجاز يقلل من تشعب الكلام واحتمالية وقوع اللبس، أو سوء الفهم نتيجة الإطالة.

الخلاصة:

الإيجاز هو مهارة بلاغية تسهم في تحقيق الوضوح، التأثير، والجمال في التعبير، مع توفير الوقت والجهد. إنه سمة من سمات الفصاحة التي تجعل النصوص أو الخطابات أكثر قوة وجاذبية.

الإطناب[١٢٨] والاسهاب

وهو من أساليب علوم اللغة العربية الفصيحة

تعريفه: كل كلام زادت ألفاظه على معانيه لفائدة؛ كقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤]؛ أي: كبرت.

فان لم تكن الزيادة لفائدة سُميت تطويلًا أو حشوًا؛ كقول زهير:

وَأَعْلَمُ مَافِي الْيَوْمِ وَالأَمْسِ قَبْلَهُ *** وَلكِنَنِي عَنْ عِلْمِ مَافِي غَدٍ عَمِ

أنواعه:

١- ذكر الخاص بعد العام:

للتنبيه على فضل الخاص وتميزه؛ كقوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

٢- ذكر العام بعد الخاص:

لإفادة العموم مع العناية بشأن الخاص؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧].

٣- التفصيل بعد الإجمال:

وغرضه التشويق، وتوضيح المعنى وتقريره؛ كقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ [الحجر: ٦٦]، فلفظ (الأمر) مجمل فُصل بجملة ﴿أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾.

٤- التكرار:

للتأكيد، وتقرير المعنى في النفس؛ كقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣، ٤].

---

[١٢٨] ينظر: المنهاج الواضح في البلاغة، (٢/ ١٣٧).

أو لطول الفصل؛ كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٠].

أو للتلذذ بذكره؛ كقول الشاعر:

سقى الله نجدًا والسلامُ على نجدِ *** ويا حبذا نجدٌ على القرب والبُعدِ

أو لقصد الاستيعاب، نحو: قرأتُ الكتابَ بابًا بابًا، وفهمتُه كلمةً كلمةً.

٥- الاعتراض:

وهو أن يُؤتى في أثناء الكلام بكلمة أو أكثر، ويكون الغرض منه:

أ- الدعاء؛ كقوله:

إنَ الثَمانينَ وبُلِغْتَها *** قد أحْوَجَتْ سَمعي إلى تَرْجُمانْ

ب- التنزيه؛ كقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل: ٥٧].

ج- الاحتراس: وهو أن يؤتى بعد كلام يُوهِم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الإيهام؛ كقوله تعالى: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٢٢]، لدفع أن يكون البياض لمرض ونحوه.

٦- التذييل:

وهو تعقيب الجملة بجملة أخرى تشتمل على معناها توكيدًا لها؛ كقوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

ويَحسُن الإطناب في: الخطب، والمواعظ العامة، والدعاء، وتأكيد قضية معينة، وشرح الموضوعات للطلاب ونحو ذلك.

الإسهاب والإطناب

الإسهاب والإطناب :هما من أساليب البلاغة التي تعتني بالتوسع في الكلام، أو إضافة تفاصيل وأفكار زائدة على المعنى الأصلي، لكن دون إسهاب ممل أو حشو غير ضروري. ولهما فوائد متعددة، يُلجأ إليهما لتحقيق أغراض بلاغية ومعنوية معينة.

فوائد الإسهاب والإطناب:

١. توضيح المعنى وتفصيله:

يتيح الإطناب شرح الفكرة أو المعنى بدقة وتفصيل، مما يُزيل اللبس أو الغموض عن المتلقي.

يُستخدم خاصة في المواضع التي تحتاج إلى تفسير دقيق أو توضيح معمق.

٢. التأكيد على الفكرة:

التوسع في الحديث عن فكرة معينة يُبرز أهميتها ويُرسخها في ذهن المتلقي.

مثال: قول الله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ [النساء: ٧٩].

كلمة "رسولاً" جاءت للتأكيد.

٣. تعزيز التأثير العاطفي:

يُساعد الإطناب في إثارة المشاعر والعواطف من خلال إضافة وصف، أو تفاصيل تؤثر في وجدان المتلقي.

مثال: وصف الطبيعة أو الأحداث المؤثرة.

٤. إظهار المهارة البلاغية:

استخدام الإطناب يُظهر قدرة المتكلم أو الكاتب على تنويع الأساليب والتعبير بشكل فني وجميل.

٥. جذب انتباه القارئ أو المستمع:

يُستخدم الإطناب أحيانًا لإبقاء المتلقي متصلاً بالكلام من خلال التوسع المدروس الذي يُثير فضوله.

٦. إضافة جمال فني وإيقاع بلاغي:

التوسع المدروس في الوصف أو السرد يُضفي جمالاً على النصوص الأدبية والشعرية.

٧. تحقيق أغراض معنوية:

يُستخدم الإطناب لخدمة أغراض بلاغية متنوعة، مثل:

التفصيل بعد الإجمال: لتوضيح النقاط العامة.

مثال: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

التعليل: لإبراز سبب أو حكمة معينة.

التكثير: لإظهار أهمية شيء أو كثرة عدده.

٨. الإقناع والإيضاح:

في الخطابات السياسية أو الأدبية، يُستخدم الإطناب لإقناع المستمعين أو القراء من خلال تقديم حجج وتفصيلها.

٩. تحسين السرد القصصي:

الإطناب يُضفي حياة على القصص من خلال الوصف التفصيلي للأحداث والشخصيات، مما يجعل القصة أكثر تشويقاً.

١٠. تعزيز الحفظ والتأثير:

التفاصيل الإضافية تُساعد على حفظ النصوص وتذكّرها بشكل أفضل.

أنواع الإطناب[١٢٩]:

١. الإطناب بالتفصيل: شرح المعنى بعد تقديمه بشكل مجمل.

٢. الإطناب بالتكرار: لتأكيد المعنى.

٣. الإطناب بالإيضاح بعد الإبهام: لتفسير المعنى الغامض.

٤. الإطناب بالاحتراس: إضافة جملة تُزيل الشك أو اللبس.

الخلاصة:

الإطناب والإسهاب أدوات بلاغية تُستخدم بحكمة لتحقيق أهداف متعددة، منها توضيح المعاني، تعزيز التأثير العاطفي، وإظهار جمال النص. ومع ذلك، يجب استخدامهما باعتدال لتجنب الإطالة المملة والحشو الذي يضعف قوة النص.

استراحة في علم الإطناب

الإطناب:

قالَ تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ * قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ * الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ * رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [الشعراء: ٦٩ - ٨٣].

لا شكَّ أنَّك تحس بما في الآياتِ من إطنابٍ يتمثَّل في تفصيلِ ذلكَ الحوار بينَ إبراهيم عليه السلام وقومه، فقولُ قوم إبراهيم: ﴿نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ كانَ يكفي جوابًا لسؤال إبراهيم عليه السلام لو لم يكن المقام يقتضي الإطناب؛ ولكنهم أتبعوه بقولهم: ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾؛

---

[١٢٩] ينظر: علم المعاني: لابن عتيق، (ص١٨٨).

ليكون ذلك أبلغ عندَ السامعِ في الدلالة على جهالتهم وتماديهم في باطلهم وشدَّة إخلاصهم لتلكَ الآلهة الزائفة، وسؤال إبراهيم: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾ كافٍ في موطن الإيجاز لبيان عجز هذه الآلهة وضلال هؤلاء القوم؛ ولكنه هنا يريد أن يمعن في السخرية من تلك الأصنام ويُؤكِّد أنَّها غير جديرة بالعبادَةِ؛ لذلكَ أتبعه بقوله: ﴿أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾، وقوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ يمكن أن يستغني في مقام الإيجاز عن قوله: ﴿أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ﴾؛ ولكنه ضمَّ إليهم آباءهم ليبين لهم أن عهدهم بالضلالِ قديم، وأَنَّ كفرهم متأصِّل في نفوسهم، ورثوه عن آبائهم الأقدمين، وكذلكَ يتمثَّل الإطناب في تمجيد إبراهيم عليه السلام لرَبِّهِ جَلَّ جلالهُ بِمَا عَدَّدَ مِنْ نِعَمِه الكثيرة عليه؛ لأنَّه يريد أن يُقارن بين قدرة ربِّهِ العظيم ومَا لَهُ من نِعَمٍ على عبادِهِ، وبينَ عجز تلك الأصنام التي يعبدها قومه من دون الله، فأوْرَدَ تلك الصور المتعاقبة لفضل الله عليه، ولعلَّكَ قد لاحظت تكرار بعض الألفاظ في الآياتِ، مثل: "الذي"، "هو"؛ لأنَّ إبراهيم عليه السلام أرادَ أَن يُؤكِّد تفرُّد الله بهذه القدرة دون غيره.

استمع أيْضًا إلى قول ابن المقفع: " وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ لاَ يَسْتَصْغِرَ شَيْئًا مِنَ الْخَطَإِ فِي الرَّأْيِّ، وَالزَّلَلِ فِي الْعِلْمِ، وَالإِغْفَالِ فِي الأُمُورِ؛ فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَصْغَرَ الصَّغِيرَ أَوْشَكَ أَنْ يَجْمَعَ إِلَيْهِ صَغِيرًا وَصَغِيرًا، فَإِذَا الصَّغِيرُ كَبِيرٌ، وإِنَّمَا هِيَ ثُلَمٌ يَثْلِمُهَا الْعَجْزُ والتَّضْيِيعُ، فَإِذَا لَمْ تُسَدَّ أَوْشَكَتْ أَنْ تَتَفَجَّرَ بِمَا لاَ يُطَاقُ.

وَلَمْ نَرَ شَيْئًا قَطُّ إِلاَّ قَدْ أُوتِيَ مِنْ قِبَلِ الصَّغِيرِ الْمُتَهَاوَنِ بِهِ. قَدْ رَأَيْنَا الْمُلْكَ يُؤْتَى مِنَ الْعَدُوِّ الْمُحْتَقَرِ بِهِ، وَرَأَيْنَا الصِّحَّةَ تُؤْتَى مِنَ الدَّاءِ الَّذِي لاَ يُحْفَلُ بِهِ، وَرَأَيْنَا الأَنْهَارَ تَنْبَثِقُ مِنَ الْجَدْوَلِ الَّذِي يُسْتَخَفُّ بِهِ"[١٣٠].

---

[١٣٠] الأدب الصغير، لابن المقفع، (ص٣٢).

فأنت ترى كيف أطنب في بيان فكرتهِ، فلم يقل مثلًا: "إن من استصغر الصغير أوشك أن يقع في الكبيرِ"؛ بل فَصَّلَ كيف تجتمع الأمور الصغيرة بعضها إلى بعضٍ فتنتهي إلى أمرٍ خطيرٍ، وكرَّر لفظة (الصغير) أكثر من مرة ليُنبِّه إلى شأنهِ إذا أهمل، سواء كان خطأ في الرأي أو زللًا في العلمِ، ثم ساقَ بعدَ ذلك عِدة صور مَاديَّة من واقع الحياة لتكون برهانًا على مَا قالَ، فالملك يؤتى من العدوِّ الذي يحتقر أمره، والصحة تؤتى من الداء الذي يتهاون به، والأنهار تنبثق من الجدول الصغير.

وفي كتاب "على هامش السيرة"، يقول الدكتور طه حسين: "كان عبد المطلب سمحَ الطبع، رضيَّ النفس، سخيَّ اليدِ، حلو العشرة، عذب الحديث، وكان عبد المطلب أيضًا قوي الإيمان، تملك قلبه وتسيطر على نفسهِ نزعةٌ دينيةٌ حادَّة عنيفة؛ ولكنها غامضة يحسها ويخضع لها؛ ولكنه لا يتبينها، ولا يستطيع لها فَهْمًا ولا تفسيرًا، وأبوه من مكة حيث التجارة والثروة، وحيث المكر والدهاء، وحيث الوثنية السهلة التي لا تحَرُّج فيها ولا مشقة، وأُمُّه من يثرب حيث الزراعة والصناعة اليسيرة، وحيث اليهودية تجاور الوثنية فتُضعفها وتنقص من ظلِّها وتكاد تمحوها، وحيث الأخلاق اللينة والشمائل الحلوة، وحيث الظرف ونعومة الحياة".

فلا شك أَنَّك تحس الإطناب في تلك الصفات المتتابعة التي وصف الكاتبُ بها "عبد المطلب": "سمح الطبع، رضي النفس، سخي اليد، حلو العشرة، عذب الحديث"، وهي صفات متقاربة في معناها يمكن في مقام الإيجاز الاستغناء ببعضها عن بعضٍ، ولا شَكَّ أَنَّك تحسُّ الإطناب أيضًا في بعض العباراتِ التي يسوقها الكاتبُ تأكيدًا لعبارة سابقة كافية في ذاتها للدلالةِ على المعنى؛ كقوله: "تملك قلبه وتسيطر على نفسه"، وقوله: "ولكنه لا يتبينها ولا يستطيع لها فَهْمًا ولا تفسيرًا"،

وقوله: "حب الوثنية السهلة التي لا تحرج فيها ولا مشقَّة"، ويعود الكاتب في نهاية القطعة إلى الأسلوبِ الذي بدأ به، فيقول: "حيث الأخلاق اللينة والشمائل الحلوة، وحيث الظرف ونعومة الحياة"، وهي- كما ترى - صور متقاربة في معناها يمكن أن يُكتَفَى ببعضها لو أن الكاتبَ لم يرد أن يطنب ليُؤكِّد الخِلاف بين البيئة المكية والمدنية.

وهكذا ترى أنَّ الأديبَ يطنب إذا اقتضى المقامُ ذلكَ، فيفصل الحديث عن جوانب موضوعه، ويعمد إلى المترادفاتِ والجُمَل المزدوجة، ليبرز الجانب الواحد بكلِّ أجزائه الصغيرة المتعددة.

وكما يجيء الإيجاز مخلًّا في بعض الأحيانِ كذلكَ يكون الإطناب لغوًا أو حشوًا إذا أسرفَ الكاتبُ فيه وخدعته الألفاظ عن فكرتهِ وإحساسهِ، فسعى وراءها لذاتها، وحينئذٍ نحسُّ بما في الأسلوب من سطحية، فنسأم طوله المُمِل وعبارته الجوفاء.

الفصل الثالث: علم البيان.

تعريف علم البيان:

تعريفه لغة: الكشف والإيضاح، يقال: فلان أبين من فلان أي: أفصح وأوضح كلاما، وهو أيضًا: المنطق الفصيح، المعرب عما في الضمير[١٣١].

تعريفه اصطلاحاً: هو أصول وقواعد يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق متعددة وتراكيب متفاوتة: من الحقيقة والمجاز ، والتشبيه والكناية، مختلفة من حيث وضوح الدلالة على ذلك المعنى الواحد وعدم وضوح دلالتها عليه، فالتعبير عن جود حاتم مثلا يمكن أن يكون بهذه الألفاظ: جواد، كثير الرماد، مهزول الفصيل، ، بحر لا ينضب، سحاب ممطر، وغيرها من التراكيب المختلفة في وضوح أو خفاء دلالتها على معنى الجود.

أركان علم البيان:

أركان علم البيان أربعة وهي:

١ـ التشبيه. ٢ـ المجاز. ٣ـ الاستعارة. ٤ـ الكناية.

فالتشبيه يُقصد به: المُشابهة بين شيء وشيء آخر في جهةٍ واحدةٍ أو جهاتٍ مُتعددةٍ مشتركة فيما بينهما، فمثلًا عند قولنا "خَدٌّ كالورد" فالمراد هنا تشبيه الخدّ بالورد من منطلق أن كليهما لهما حُمرة ونُضرة، للتشبيه ثلاثة أركان وهي:

المُشبّه: وهو الشيء الذي يُراد تشبيهه بشيء آخر، نحو:

الفتاةُ مثلُ البدرِ في جمالِه".

المشبّه به: هو الشيء الذي شُبِّهَ بهِ الشيء الأول، مثال "الفتاةُ مثلُ البدرِ في جمالِه". ويُسمّى: المشبه والمشبه به. "طَرَفي التشبيه". أداة التشبيه: وهي الكاف أو مِثل أو يُضاهي ونحوها،

---

[١٣١] ينظر: المنهج الواضح للبلاغة، لحامد عوني، (١/ ٣٧).

مثال "الفتاةُ مثلُ البدرِ في جمالِه" وجه الشبه: وهي الصفة أو الصفات التي تشترك بين المُشبه والمُشبه به، مثال "الفتاةُ مثلُ البدرِ في جمالِه".

فالتشبيه لغة: هو التمثيل، يقال: هذا مثل هذا وشبهه.

واصطلاحاً: هو عقد مماثلة بين شيئين أو أكثر وإرادة اشتراكهما في صفة أو أكثر بإحدى أدوات التشبيه لغرض يريده المتكلم[١٣٢].

وفائدته: أن الصفة المراد اثباتها للموصوف، إذا كانت في شيء آخر أظهر، جعل التشبيه بينهما وسيلة لتوضيح الصفة، كما تقول: زيد كالأسد حيث تريد اثبات الشجاعة له، إذ هي في الاسد أظهر.

أركان التشبيه[١٣٣]:

فإذا قلنا: إن الجملة زيد كالأسد في الشجاعة، فإن أركان جملة التشبيه كالتالي:

١)المشبه، زيد.

٢)المشبه به، الأسد.

٣)وجه الشبه، الشجاعة

٤) أداة التشبيه، الكاف.

ثم إن الركنين الأولين: المشبه والمشبه به، يسميان بطرفي التشبيه، أو ركني التشبيه، ولا بد في كل تشبيه من وجود طرفين.

والتشبيه المرسل: هو ما ذكرت فيه الأداة، مثل: زيد كالأسد. الأداة: الكاف، والتشبيه المؤكد: ما حذفت منه الأداة، مثل: زيد أسد، والتشبيه المجمل: ما حذف منه وجه الشبه، والتشبيه

---

[١٣٢] ينظر: المنهج الواضح للبلاغة، لحامد عوني، (٥/ ١٢).

[١٣٣] ينظر: علم البيان، للعتيق، (ص٦٤).

المفصل: ما ذكر فيه وجه الشبه، مثل: زيد في شجاعته كالأسد، والتشبيه البليغ: ما حذفت منه الأداة، ووجه الشبه.

المجاز

تعريف المجاز لغة، واصطلاحاً:

المجاز لغة: جاء في اللسان (جوز): «جزت الطريق، وجاز الموضع جوزا وجوازا ومجازا: سار فيه وسلكه ... وجاوزت الشيء الى غيره وتجاوزته بمعنى أي أجزته ... وتجاوز عن الشيء: أغضى، وتجاوز فيه أفرط».

«المجاز اصطلاحاً: هو كل الصيّغ البلاغية التي تحتوي تغييرا في دلالة الألفاظ المعتادة. ويندرج تحت هذا كل أنواع المجاز في البلاغة العربية ما عدا الكناية التي لا يمنع استعمال ألفاظها في غير ما وضعت له من إرادة المعنى الأصلي لهذه الألفاظ»[١٣٤].

ويعد المجاز من الوسائل البيانية الذي يكثر في كلام الناس، البليغ منهم وغيرهم، وليس من الكذب في شيء كما توهم.

المجاز قسمان: ١ـ لغوي. ٢ـ عقلي.

١) اللغوي: وهو استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة بمعنى مناسبة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي يكون الاستعمال لقرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، وهي قد تكون لفظية، وقد تكون حالية، وكلما أطلق المجاز، انصرف إلى هذا المجاز وهو المجاز اللغوي.

٢) العقلي: وهو يجري في الإسناد، بمعنى أن يكون الإسناد إلى غير من هو له، نحو: شفى الطبيب المريض.

فإن الشفاء من الله، فإسناده إلى الطبيب مجاز، ويتم ذلك بوجود علاقة مع قرينة مانعة من جريان الإسناد إلى من هو له.

---

[١٣٤] معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، وهبة- المهندس، (ص ١٨٤).

الكناية

تعريف الكناية لغة، واصطلاحاً:

الكِنايةُ لُغةً: مَصدَرُ كَنَى عنِ الأمرِ بغَيرِه بمعنى أخفاهُ، أو مِن كَنَوْتُ عن الشَّيءِ وكَنَّيْتُ عنه: إذا تركت التَّصريح به، وكَنَى يَكْنِي كِنايةً: إذا تَكلَّم بغَيرِه ممَّا يدُلُّ عليه، ومنه قِيل للضَّمائِرِ: مَكنيٌّ .

واصْطِلاحًا: "أنْ يُريدَ المُتكلِّمُ إثْباتَ مَعنًى مِنَ المَعاني، فلا يذْكُرَه باللَّفظِ المَوضوعِ له في اللُّغةِ، ولكنْ يَجيءُ إلى مَعنًى هو تاليه ورِدْفُه في الوُجودِ، فيُومِئُ به إليه، ويَجعَلُه دَليلًا عليه"[١٣٥].

شَرحُ التَّعريفِ

تَقومُ الكِنايةُ على فِكرةِ عدَمِ التَّصْريحِ بألْفاظِ المَعاني المَطْلوبةِ، وإنَّما بذِكْرِ غيرِه الَّذي يدُلُّ عليه، لغَرَضٍ أدَبيٍّ أو بَلاغيٍّ، كالمُبالَغةِ أوِ التَّصويرِ أوِ التَّعفُّفِ عن ذِكرِ الشَّيءِ المُستهجَنِ وما يَنْبو على الأذُنِ سَماعُه، فتؤدِّي الكِنايةُ حِينَئذٍ ما لا تُؤدِّيه الحَقيقةُ.

أغْراضُ الكِنايةِ

للكِنايةِ أسْبابٌ وأغْراضٌ تَأتي لتَحقيقِها، فاسْتِخدامُ الأسْلوبِ غيرِ المُباشرِ له اسْتِعمالاتٌ يَحْتاجُها ويَفتقِرُ إليها. ومِن تلك الأسْبابِ:

١- قصْدُ المدْحِ: وذلك مِثلُ قولِهم: طَويلُ النِّجادِ، كَثيرُ الرَّمادِ، جَبانُ الكلْبِ، مَهزولُ الفَصيلِ، مُكتنِزُ اللَّحمِ...

ويَحسُنُ اسْتِعمالُ الكِنايةِ هنا؛ لِما فيها مِن تَوْكيدٍ ومُبالَغةٍ عن طَريقِ اسْتِعمالِ الأسْلوبِ البَلاغيِّ اللَّطيفِ، وبما تُعْطيه مِن تَصويرٍ واقِعيٍّ للمَشهَدِ، فكأنَّك تَرى أمامَك هذا الرَّمادَ

---

[١٣٥] ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان الحميري، (٩/ ٥٩١٤)، ومختار الصحاح، للرازي، (ص٢٧٤). دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، (١/ ٦٦).

الكَثيفَ أمامَ بيتِ المَمدوحِ، معَ تَوارُدِ الدَّاخِلينَ عليه مِنَ الضِّيفانِ والأغْرابِ وأبْناءِ السَّبيلِ، فكان ذلك أقْرَبَ وأَوْلى مِن قولِك: "هو كَريمٌ".

٢- قصْدُ الذَّمِّ: وذلك مِثلُ قولِهم: عَريضُ القَفا؛ للدَّلالةِ على الغَباءِ، وقولِهم: يُوقِدون النَّارَ في الوادي؛ كِنايةً عنِ البُخْلِ.

٣- ترْكُ اللَّفظِ إلى ما هو أجمَلُ منه، كقَولِه تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [ص: ٢٣] ، فكنَّى بالنَّعجةِ عنِ المَرأةِ، كعادَةِ العَربِ في ذلك؛ لأنَّ ترْكَ التَّصْريحِ بذكْرِ النِّساءِ أجمَلُ.

٤- أنْ يكونَ التَّصْريحُ ممَّا يُستهجَنُ ذِكْرُه، ولِهذا كنَّى سُبحانه عنِ الجِماعِ بالمُلامَسةِ والمُباشَرَةِ والإفْضاءِ والدُّخولِ والغِشْيانِ، وكنَّى عنِ البَولِ ونحْوِه بالغائِطِ، فقال: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾ [النساء: ٤٣] ، وأصْلُ الغائِطِ: المَكانُ المُطمئِنُّ مِنَ الأرضِ، وكنَّى عن قَضاءِ الحاجَةِ بأكْلِ الطَّعامِ، فقال: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥] ، وأراد: كانا يَقضيانِ حاجتَهما.

٥- قصدُ المُبالَغةِ: كقَولِه تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ [الفرقان: ٢٧] ؛ فإنَّ العَضَّ على اليَدِ كِنايةٌ عنِ النَّدمِ والتَّحسُّرِ، لكنَّها تُفيدُ المُبالَغةَ في النَّدمِ، فليس كُلُّ نَدَمٍ يعَضُّ معَه الإنْسانُ على يَدِه، ثمَّ أصْلُ النَّدَمِ أنْ يعَضَّ الإنْسانُ على أناملِه، فأراد القُرآنُ أنْ يُبيِّنَ مدى ندمِه على فَعْلتِه، فجعَله يعَضُّ لا على إصْبَعِه، ولا على يَدِه، بل على كِلتا يديه، كأنَّه جمَعَهما معًا وعضَّهما لشدَّةِ ندَمِه.

الفرق بين الكناية والمجاز

الفرق بينهما هو: جوازُ إرادةِ المعنى الحقيقي في الكناية لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته دون المجاز.

أقسام الكناية:

١- كناية عن صفة: أي: معنى. كالكرم والشجاعة.

وضابطها: أن يُذكر الموصوف، ويُراد الصفة.

مثل: قول الخنساء في وصف أخيها صخر:

طويلُ النِجادِ رَفِيعُ العِمَادِ *** كثيرُ الرَمَادِ إذا مَا شَتَا

فهذه ثلاث كنايات لثلاث صفات هي:

الأولى: كناية عن طول القامة في قولها: (طويل النجاد).

الثانية: علو المكانة والسؤدد والرئاسة، في قولها: (رفيع العماد).

الثالثة: الكرم، في قولها: (كثير الرماد).

٢- كناية عن موصوف: أي ذات.

وضابطها: أن تُذكر الصفة ويُراد الموصوف.

نحو: ينتج ذلك البلدُ الذهبَ الأسود، كناية عن البترول.

ونحو: ضربتُه في موطن الأسرار، أي: القلب.

ونحو: تعلمتُ لغة الضاد، كناية عن العربية.

٣- كناية عن نسبة:

وضابطها: أن تُذكر الصفة والموصوف وتقصد نسبتها إليه.

مثال: الكرمُ في ثوب محمد.

ومنه قول الشاعر:

إِنَ السَماحَةَ وَالمروءَةَ وَالنَدى*** في قُبَةٍ ضُرِبَت عَلى ابنِ الحَشرَجِ

والكناية التي كثرت وسائطها تُسمى تلويحًا، مثل: فلان كثير الرماد، كناية عن الكرم؛ لأن صفة الكرم المرادة لا يوصل إليها إلا بعد وسائط عدة، فكثرة الرماد تدل على كثرة إحراق الحطب، وكثرة إحراق الحطب تدل على كثرة الطبخ، وكثرة الطبخ تدل على كثرة الآكلين، وكثرة الآكلين تدل على كثرة الضيفان، وكثرة الضيفان تدل على الكرم، وإن قَلَّتْ فيها الوسائط أو لم توجد، فهي إيماء أو إشارة كالأمثلة السابقة.

ومن الكناية التعريض:

وهو: أن يُطلق الكلام ويراد به معنى آخر يفهم من السياق، مثل قولك للمُؤذِي: "المسلم من سلِم المسلون من لسانه ويده"، وقولك لكثير الكلام: "إذا تم العقلُ نقص الكلام".

أمثلة على الكناية في القرآن الكريم:

مِنْ أَسَالِيبِ الْقُرْآنِ الْبَلَاغِيَّةِ الْكِنَايَةُ، وَالْكِنَايَةُ هِي: ذِكْرُ الشَّيْءِ بِغَيْرِ لَفْظِهِ الْمَوْضُوعِ لَهُ.

وللْكِنَايَةِ أَسْبَابٌ منهَا:

١- أَنْ يَكُونَ التَّصْرِيحُ مِمَّا يُسْتَحْيَا مِنْ ذِكْرُهُ.

مثال ذلك الْكِنَايَةُ عَنِ الْجِمَاعِ بِالْمُلَامِسَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ [المائدة:٦].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ: الْمُلَامَسَةُ: الْجِمَاعُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُكَنِّي بِمَا يَشَاءُ.

٢- أَنْ يَكُونَ التَّصْرِيحُ مِمَّا يُسْتَقْبَحُ ذِكْرُهُ.

ومثال ذلك الْكِنَايَةُ عَنِ الْبَوْلِ وَنَحْوِهِ بِالْغَائِطِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ ﴾[المائدة:٦].

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِّنَ الْغَائِطِ ﴾، كِنَايَةٌ عَنِ الْبَوْلِ، وَأَصْلُ الْغَائِطِ الْمَكَانُ الْمُنْخَفِضُ مِنَ الْأَرْضِ.

وَمثال ذلك: الْكِنَايَةُ عَنْ قَضَاءِ الْحَاجَةِ بِأَكْلِ الطَّعَامِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ ﴾[المائدة:٧٥].

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ ﴾. كِنَايَةٌ عَنْ قَضَاءِ الْحَاجَةِ لأن أكل الطَّعَامِ من لوازمه قَضَاءُ الْحَاجَةِ.

وَمثال ذلك أيضًا: الْكِنَايَةُ عَنِ الْأَسْتَاهِ بِالْأَدْبَارِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴾[الأنفال: ٥٠].

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَدْبَارَهُمْ ﴾، كِنَايَةٌ عَنِ الْأَسْتَاهِ، قَالَ مُجَاهِدٌ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: يَعْنِي أَسْتَاهَهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُكَنِّي.

٣- التَّنْبِيهُ عَلَى عِظَمِ قُدْرَةِ الله تعالى.

مثال ذلك: الْكِنَايَةُ عَنِ آدَمَ النَفْسِ الوَاحِدَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾[النساء:١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾[الأعراف: ١٨٩].

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾، كِنَايَةٌ عَنْ آدَمَ، تنبيهًا على كمال قدرته سبحانه وتعالى.

استراحة في باب الكناية

تعدُّ العربُ (الكناية) من البراعةِ والبلاغةِ، وهي عندهم أبلغ من التصريح، قال الطرطوسي: "وأكثر أمثالهم الفصيحة على مجاري الكنايات"، منها قولهم: فلان عفيف الإزار، طاهر الذيل، ويكنون عن الزوجة بربة البيت، وعن الأعمى بالمحجوب والمكفوف، وعن الأبرص بالوضاح وبالأبرش وغير ذلك؛ وفي الحديث: (كان إذا دخل العشر أيقظ أهله وشد المئزر)[١٣٦]، فكنى عن ترك الوطء بشد المئزر. وقوله ﷺ: (حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك)[١٣٧]، كنى عن الجماع بالعسيلة، وقوله ﷺ: (رويدك بالقوارير)[١٣٨]، كنى عن النساء بالقوارير لضعف قلوبهن.

من فوائد الكناية:

الكناية باب رائع من أبواب تحاشي الإفصاح.

قالت امرأة للنبي ﷺ : يا رسول الله: أرأيت إن جئتُ ولم أجدك [١٣٩]؟

قال شراح الحديث : تكني المرأة بذلك عن وفاته ﷺ ، فلم تخبره بصريح لفظ الوفاة ،تحاشياً لذكر الموت وتأدباً.

ولا يخفى أن الكناية أبلغ من التصريح، وذلك لأنها تفيد أُموراً، منها:

١ـ القوّة في المعنى، وذلك لأنّها كالدعوى مع البينة، إذ لو قيل (فلان كريم) سئل عن دليل ذلك؟ فاللازم أن يقال: بدليل كثرة رماده، فإذا ذكر أولاً أراح، وأتى بالدعوى مع البيّنة.

٢ ـ التعبير عن أمور قد يتحاشى الإنسان ذكرها احتراماً للمخاطب.

---

[١٣٦] رواه مسلم، رقم: (١١٧٤).

[١٣٧] رواه البخاري، رقم: (٦٠٨٤). ومسلم، رقم: (١٤٣٣).

[١٣٨] رواه البخاري، رقم: (٦١٦١).

[١٣٩] رواه البخاري، رقم: (٣٦٥٩).

كقوله تعالى ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً﴾ [النساء: ٢١].

وقوله سبحانه وتعالى:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ ۖ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٨١].

٣ـ تنزيه الأُذن عمّا لا يراد سماعه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا جَلَسَ بَيْنَ شُعَبِهَا الْأَرْبَعِ، ثُمَّ جَهَدَهَا وَجَبَ الْغُسْلُ»[١٤٠].

زاد مسلم: «وإن لم يُنزِل»[١٤١].

٤-التحسر، كقوله تعالى: ﴿ فَأَصبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا ﴾[الكهف:٤٢] ، وفي هذا كناية عن الندم .

٥-الايجاز :

ومن أمثلة ذلك ما جاء عن عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِرَجُلٍ يُقَالُ لَهُ: أَنْجَشَةُ وَهُوَ يَسُوقُ بِنِسَائِهِ: «وَيْحَكَ يَا أَنْجَشَةُ رُوَيْدًا سَوْقَكَ بِالْقَوَارِيرِ» يريد بذلك النساء استخدم ﷺ لفظ القوارير بشارة لطيفة وجيزة[١٤٢].

---

[١٤٠] رواه البخاري، رقم: (٩٤٠).

[١٤١] رواه مسلم، رقم: (٣٤٨).

[١٤٢] رواه مسلم، رقم: (٢٣٢٣).

حديث أم زرع.

حديث مشتمل على فوائد عدة وفيه من بدائع اللغة ولطائف الألفاظ وجميل المعاني مـا لا يخفى على المتذوقين للغتنا العربية.

الكناية:

الكناية مظهر من مظاهر البلاغة، وغاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعهُ، وصفت قريحتُه، (والسر في بلاغتها) أنها في صُور كثيرة تعطيك الحقيقة، مصحوبة بـدليلها، والقضـية وفي طيّها برهانه، ومن أمثلتها قول المتنبي يمدح بها كافورا ويعرض بسيف الدولة:

رحلتُ فكم باك بأجفان شادن ***عليَّ وكم باكٍ بأجفانِ ضيغم

وما ربّة القرط المليح مكانه ***بأجزع من رب الحسامِ المصممِ

فلو كان ما بي من حبيب مقنع ***عذرتُ ولكن من حبيب معمم

رمى واتقى رمي ومن دون ما اتقى ***هوى كاسرُ كفي وقوسي وأسهمي

فإنه كنى عن سيف الدولة أولاً بالحبيب المَعَّمم ثم وصف بالغدر الذي يدعي أنه من شيمة النساء ثم لامه على مبادهته بالعدوان ثم رماه بالجبن لأنه يرمي ويتقي الرمي بالاستتار خاف غيره على أن المتنبي لا يجازيه على الشر بمثله لأنه لا يزال يحمل له بين جوانحه هوى قديماً يكسِر كفه وقوسَه وأسهمه إذا حاول النضال، ثم وصفة بأنه سيئ الظن بأصـدقائه لأنـه سيئ الفعل كثير الأوهام و الظنون حتى ليظن أن الناس جميعاً مثلهُ في سوء الفعل وضعف الوفاء . فانظر كيف نال المتنبي من سيف الدولة هذا النيل كله من غير أن يذكر من اسمه حرفاً .

وهذا الحديث عن عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: جَلَسَ إِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً فَتَعَاهَدْنَ وَتَعَاقَـدْنَ أَنْ لَا يَكْتُمْنَ مِنْ أَخْبَارِ أَزْوَاجِهِنَّ شَيْئًا،

قَالَتِ الْأُولَى: «زَوْجِي لَحْمُ جَمَلٍ غَثٍّ، عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ، لَا سَهْلٍ فَيُرْتَقَى، وَلَا سَمِينٍ فَيُنْتَقَلُ»

قَالَتِ الثَّانِيَةُ: «زَوْجِي لَا أَبُثُّ خَبَرَهُ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ لَا أَذَرَهُ، إِنْ أَذْكُرْهُ أَذْكُرْ عُجَرَهُ وَبُجَرَهُ»

قَالَتِ الثَّالِثَةُ: «زَوْجِيَ الْعَشَنَّقُ، إِنْ أَنْطِقْ أُطَلَّقْ، وَإِنْ أَسْكُتْ أُعَلَّقْ».

قَالَتِ الرَّابِعَةُ: «زَوْجِي كَلَيْلِ تِهَامَةَ، لَا حَرٌّ، وَلَا قُرٌّ، وَلَا مَخَافَةَ، وَلَا سَآمَةَ»

قَالَتِ الْخَامِسَةُ: «زَوْجِي إِنْ دَخَلَ فَهِدَ، وَإِنْ خَرَجَ أَسِدَ، وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا عَهِدَ»

قَالَتِ السَّادِسَةُ: «زَوْجِي إِنْ أَكَلَ لَفَّ، وَإِنْ شَرِبَ اشْتَفَّ، وَإِنِ اضْطَجَعَ الْتَفَّ، وَلَا يُولِجُ الْكَفَّ، لِيَعْلَمَ الْبَثَّ»

قَالَتِ السَّابِعَةُ: «زَوْجِي عَيَايَاءُ أَوْ غَيَايَاءُ، طَبَاقَاءُ، كُلُّ دَاءٍ لَهُ دَاءٌ، شَجَّكِ، أَوْ فَلَّكِ، أَوْ جَمَعَ كُلًّا لَكِ»

قَالَتِ الثَّامِنَةُ: «زَوْجِيَ الْمَسُّ مَسُّ أَرْنَبٍ، وَالرِّيحُ رِيحُ زَرْنَبٍ»

وَقَالَتِ التَّاسِعَةُ: «زَوْجِي رَفِيعُ الْعِمَادِ، طَوِيلُ النِّجَادِ، عَظِيمُ الرَّمَادِ، قَرِيبُ الْبَيْتِ مِنِ النَّادِ»

قَالَتِ الْعَاشِرَةُ: «زَوْجِي مَالِكٌ، فَمَا مَالِكٌ مَالِكٌ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكِ، لَهُ إِبِلٌ كَثِيرَاتُ الْمَبَارِكِ، قَلِيلَاتُ الْمَسَارِحِ، إِذَا سَمِعْنَ يَوْمًا صَوْتَ الْمِزْهَرِ أَيْقَنَّ أَنَّهُنَّ هَوَالِكُ»

قَالَتِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: «زَوْجِي أَبُو زَرْعٍ، فَمَا أَبُو زَرْعٍ أَنَاسَ مِنْ حُلِيٍّ أُذُنَيَّ، وَمَلَأَ مِنْ شَحْمٍ عَضُدَيَّ، وَبَجَّحَنِي فَبَجِحَتْ إِلَيَّ نَفْسِي، وَجَدَنِي فِي أَهْلِ غُنَيْمَةٍ بِشِقٍّ، فَجَعَلَنِي فِي أَهْلِ صَهِيلٍ وَأَطِيطٍ وَدَائِسٍ وَمُنَقٍّ، فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلَا أُقَبَّحُ، وَأَرْقُدُ فَأَتَصَبَّحُ، وَأَشْرَبُ فَأَتَقَنَّحُ، أُمُّ أَبِي زَرْعٍ، فَمَا أُمُّ أَبِي زَرْعٍ عُكُومُهَا رَدَاحٌ، وَبَيْتُهَا فَسَاحٌ، ابْنُ أَبِي زَرْعٍ، فَمَا ابْنُ أَبِي زَرْعٍ مَضْجَعُهُ كَمَسَلِّ شَطْبَةٍ، وَتُشْبِعُهُ ذِرَاعُ الْجَفْرَةِ، ابْنَةُ أَبِي زَرْعٍ، فَمَا ابْنَةُ أَبِي زَرْعٍ طَوْعُ أَبِيهَا، وَطَوْعُ أُمِّهَا، وَمِلْءُ كِسَائِهَا، وَغَيْظُ جَارَتِهَا، جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ، فَمَا جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ لَا تَبُثُّ حَدِيثَنَا تَبْثِيثًا، وَلَا تُنَقِّثُ مِيرَتَنَا تَنْقِيثًا، وَلَا تَمْلَأُ بَيْتَنَا تَعْشِيشًا» قَالَتْ: خَرَجَ أَبُو زَرْعٍ، وَالْأَوْطَابُ تُمْخَضُ، فَلَقِيَ امْرَأَةً مَعَهَا وَلَدَانِ لَهَا كَالْفَهْدَيْنِ، يَلْعَبَانِ مِنْ تَحْتِ خَصْرِهَا بِرُمَّانَتَيْنِ، فَطَلَّقَنِي

وَنَكَحَهَا، فَنَكَحْتُ بَعْدَهُ رَجُلًا سَرِيًّا، وَرَكِبَ شَرِيًّا، وَأَخَذَ خَطِّيًّا، وَأَرَاحَ عَلَيَّ نَعَمًا ثَرِيًّا، وَأَعْطَانِي مِنْ كُلِّ رَائِحَةٍ زَوْجًا " فَقَالَ: «كُلِي أُمَّ زَرْعٍ، وَمِيرِي أَهْلَكِ» قَالَتْ: فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَانِيهِ مَا بَلَغَ أَصْغَرَ آنِيَةِ أَبِي زَرْعٍ ". قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ» [١٤٣].

يُعتبر هذا الحديث من أجمل النصوص النبوية بلاغة وفصاحة، وهو نصّ أدبي راقٍ يعكس قوة اللغة وجمال التعبير.

الحديث يتناول قصة رمزية تسردها السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن إحدى النساء التي تحدثت عن أزواجها، وتحديداً عن "أم زرع"، وما فعله زوجها معها من الخير والفضل، ثم تركها.

أبرز مظاهر البلاغة في حديث أم زرع:

١. التصوير الفني:

الحديث مليء بالتصاوير البلاغية التي تعكس معاني عميقة من خلال أمثلة ملموسة. على سبيل المثال، قول أم زرع: "عظيم الركبة، طويل العنق، يملأ البيت قمحاً، ويملأ الحظيرة شحماً"، يُبرز صورة حسية واضحة عن وفرة الخير والكرم في بيت زوجها.

٢. التشبيه:

وردت العديد من التشبيهات التي أضافت جمالاً ووضوحاً للمعاني، مثل تشبيهها لزوجها بأنه كـ"أبو زرع" في الكرم والجود.

٣. الإيجاز:

استخدم الحديث كلمات قليلة تحمل معاني كثيرة، مثل قولها: "فعشتُ معه عيشةً رغيدةً حتى تركني". العبارة موجزة لكنها تعبّر عن حالة عاطفية واجتماعية غنية.

---

[١٤٣] رواه البخاري، رقم: (٥١٨٩)، ورواه مسلم، رقم: (٢٤٤٨).

٤. السجع:

الحديث يحتوي على سجعات جميلة، مثل: "فأكل وأطعم، وشرب وسقى"، مما يضيف جمالية موسيقية للنص.

٥. التركيز على المشاعر:

أم زرع لا تقتصر على وصف الصفات المادية لزوجها، بل تتعمق في وصف حالتها النفسية معه، مما يجعل النص قريباً للقلب.

٦. التدرج في الوصف:

تبدأ كل امرأة بوصف زوجها، ومن ثم تنتقل إلى ذكر تفاصيل الحياة معه، مما يعطي الحديث تسلسلاً منطقيًا وسهلاً على المتلقي.

٧. اختتام ببلاغة:

عندما ختم النبي ﷺ الحديث بقوله لعائشة: "كنت لك كأبي زرع لأم زرع"، كان ذلك قمة البلاغة، إذ دمج النبي بين حبّه لعائشة وبلاغة النص.

حديث أم زرع ليس مجرد نص سردي، بل هو نموذج للتعبير الأدبي والبلاغي الراقي، الذي يجمع بين الجمال اللفظي والعمق المعنوي.

أهمية علم البيان

علم البيان هو أحد علوم البلاغة، ويهتم بطرق التعبير المختلفة عن المعاني باستخدام الصور البيانية ، كـ(الاستعارة، والكناية، والتشبيه، والمجاز)، ويهدف هذا العلم إلى تحسين جودة التعبير وجعله أكثر تأثيرًا وإبداعًا.

وأهمية هذا العلم تظهر بالآتي:

١) إظهار جمال اللغة: يبرز جمال النصوص الأدبية والنصوص القرآنية من خلال الصور البلاغية التي تضفي على الكلام قوة وبهاء.

٢) الإقناع والتأثير: يساعد على إيصال المعاني بطريقة مؤثرة تزيد من قدرة الكلام على إقناع المتلقي أو التأثير فيه عاطفيًا.

٣) توضيح المعاني: من خلال التشبيه أو الكناية أو الاستعارة، يتم تبسيط المعاني المجردة أو المعقدة لتصبح أكثر وضوحًا وسهولة في الفهم.

٤) إثراء اللغة: يعزز اللغة بالمجاز والاستعارات التي توسّع دلالات الكلمات وتُعمق معانيها.

٥) إبراز الإبداع الأدبي: يُظهر مدى مهارة الكاتب أو المتحدث في توظيف الكلمات والعبارات بطرق غير تقليدية، مما يرفع من قيمة العمل الأدبي أو الخطابي.

٦) تفسير النصوص الدينية: في القرآن الكريم والحديث الشريف، يعين علم البيان على فهم واستنباط المعاني العميقة التي قد تعتمد على صور بلاغية.

٧) تعدد طرق التعبير: يوفر خيارات متنوعة للتعبير عن المعنى الواحد، مما يتيح للكاتب أو الشاعر حرية في الإبداع.

٨) تعزيز الذائقة الأدبية:

خلاصة القول:

علم البيان هو المفتاح لفهم عمق اللغة وجمالها، وهو أداة أساسية في إبداع الكلام المؤثر، سواء في الأدب أو الخطابة أو الكتابة، مما يجعله ركنًا مهمًا من أركان علوم البلاغة.

فوائد وثمار علم البيان

علم البيان هو أحد فروع علوم البلاغة، ويهتم بتوضيح المعاني، وتحسينها باستخدام أساليب متنوعة كالتشبيه، والاستعارة، والكناية، والمجاز، وله فوائد عظيمة في اللغة والأدب والدين والتواصل.

فوائد علم البيان:

١) إظهار جمال اللغة: يبرز جمال التعبير من خلال الصور البلاغية التي تضفي على النصوص روعة وتأثيرًا يجذب القارئ أو السامع.

٢) توضيح المعاني: يساعد على توضيح الأفكار المجردة أو المعقدة بطريقة سهلة وبأسلوب بليغ من خلال التشبيه والاستعارة والمجاز.

٣) الإقناع والتأثير: يُكسب الكلام قوة تأثيرية تجعله أكثر إقناعًا للمتلقي، مما يجعله أداة فعالة في الخطابة والإقناع.

٤) توسيع دلالات الكلمات: يفتح المجال لاستخدام الكلمات بمعانٍ جديدة ومجازية، مما يثري اللغة ويوسع معانيها.

٥) تفسير النصوص القرآنية: يساعد على فهم الآيات القرآنية التي تحتوي على صور بيانية، مما يعين على استخراج المعاني الدقيقة وتذوق الإعجاز البلاغي فيها.

٦) إثراء الإبداع الأدبي: يوفر أدوات للكتّاب والشعراء تمكنهم من التعبير بأساليب مبتكرة وجذابة، مما يعزز قيمة العمل الأدبي.

٧) تقوية الذائقة الأدبية: يُنمّي الحس الجمالي والقدرة على تمييز النصوص الجيدة وفهم أسرار الجمال فيها.

٨) إبراز المعاني الخفية: يساعد على التعبير عن المعاني بطريقة غير مباشرة من خلال الكناية أو المجاز، مما يضيف عمقًا للنص.

٩) تعزيز البلاغة في الحياة اليومية: يُستخدم في تحسين أساليب التواصل اليومية، سواء في الكتابة أو الخطابة، لجعل الكلام أكثر تأثيرًا وأناقة.

١٠) تنمية التفكير النقدي: يُعين على تحليل النصوص الأدبية والنظر في كيفية صياغتها، مما يعزز قدرة الإنسان على النقد والتفسير.

خلاصة ما سبق:

علم البيان ليس مجرد وسيلة لتجميل الكلام، بل هو أداة أساسية لفهم اللغة وأسرارها، ولإيصال المعاني بطرق مؤثرة وبليغة، مما يجعله علمًا ذا أهمية بالغة في الثقافة العربية والإسلامية.

أغراض علم البيان

أغراض علم البيان تتعلق بالغايات التي يسعى إلى تحقيقها من خلال استخدام الأساليب البيانية: (التشبيه، الاستعارة، الكناية، المجاز)، تهدف هذه الأغراض إلى تحسين جودة الكلام وتوضيح المعاني وتجميلها، مع تحقيق التأثير المطلوب في المتلقي. وفيما يلي أهم أغراض علم البيان:

١)توضيح المعاني: يُستخدم علم البيان لشرح وتوضيح المعاني الغامضة أو المجردة، مما يسهل فهمها.

مثال: قول الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾[البقرة: ٢٦١]، حيث يوضح التشبيه قيمة الإنفاق وأثره.

٢) التأثير والإقناع: يعمل علم البيان على جعل الكلام أكثر تأثيرًا في عاطفة وعقل المتلقي، سواء كان ذلك للإقناع أو الإلهام.

مثال: استخدام الاستعارات القوية في الشعر والخطابة لتعزيز الأثر النفسي.

٣) إبراز الجمال الفني: يظهر جمال التعبير وروعة الأسلوب من خلال الصور البيانية المبتكرة التي تضفي على الكلام طابعًا فنيًا.

مثال ذلك: قول المتنبي:

إذا غامرتَ في شرفٍ مرومٍ*** فلا تقنعْ بما دونَ النجومِ

حيث يصوّر النجوم كغاية عظيمة ليبرز قيمة الطموح.

٤) اختصار المعاني: يساعد على التعبير عن المعاني الكبيرة بكلمات قليلة من خلال المجاز أو الكناية.

مثال: قولهم "فلان واسع اليد" كناية عن الكرم.

٥) إخفاء المعاني والتلميح: يُستخدم للتعبير عن معانٍ معينة بطريقة غير مباشرة، إما للتلميح أو لتجنب التصريح.

مثال: قول الشاعر:

وفيهنَّ ملهى للصديق ومشربُ

حيث تشير الكناية إلى حسن المعشر من دون تصريح.

٦) إثارة الخيال: يهدف إلى تحفيز خيال المتلقي من خلال الصور البيانية التي تثير تصوراته وتجعله يعيش المعاني بعمق.

مثال: قول أحمد شوقي:

وكأنَّ الهلالَ نونُ لجينٍ***غرقت في صحيفة زرقاءِ

حيث يرسم صورة خيالية للهلال في السماء.

٧) تعظيم المعاني أو تحقيرها: يُستخدم لرفع شأن شيء أو التقليل منه بناءً على السياق والغرض.

مثال في التعظيم: قول الله تعالى: ﴿وأُمرتُ لأعدلَ بينكم﴾[الشورى: ١٥]، حيث يبرز العدل بأعلى صوره.

مثال في التحقير: قول الله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً ﴾[الجمعة: ٥]، لتقليل قيمة من لا يعمل بعلمه.

٨) التعبير عن المشاعر: يُستخدم لنقل المشاعر المختلفة كالحب، والغضب، والحزن، والفرح بطريقة بليغة ومؤثرة.

مثال: قول قيس بن الملوح:

أراني إذا صليتُ يممتُ نحوها***بوجهي وإن كان المصلى ورائي

٩) دعم الإعجاز القرآني: يظهر عظمة البلاغة في القرآن الكريم من خلال الصور البيانية، مما يُبرز الإعجاز البياني فيه.

مثال: قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[إبراهيم:١]، حيث المجاز يعبر عن الانتقال من الجهل إلى الهداية.

١٠) تنويع الأسلوب: يمنح النصوص تنوعًا وتجدّدًا، مما يجعلها أكثر جذبًا وابتكارًا.

مثال: استخدام أكثر من صورة بيانية في النص الواحد لإضافة تشويق.

خلاصة:

أغراض علم البيان تتجاوز مجرد التزيين اللفظي إلى التأثير الفكري والعاطفي، مما يجعله أداة أساسية لفهم اللغة واستخدامها بشكل فعال وجميل.

أقْسامُ التَّشْبيهِ[١٤٤]

المُشبَّهُ والمُشبَّهُ به هما الرُّكنانِ الأساسانِ اللَّذانِ لا يَجوزُ الاسْتِغناءُ عنهما في التَّشْبيهِ، بخِلافِ الأداةِ ووجْهِ الشَّبهِ؛ فقد يُذكَرانِ، وقد يُحذَفانِ ويُعْلَمانِ؛ ولِهذا يَنْقسِمُ التَّشْبيهُ بحسَبِ ذِكْرِ الأداةِ أو لا، إلى:

- تَشْبيهٍ مُؤكَّدٍ: وهُو ما خلا مِن أداةِ التَّشْبيهِ، سواءٌ ذُكِر فيه وجْهُ الشَّبهِ أم لا.
- تَشْبيهٍ مُرْسَلٍ: وهُو ما ذُكِرت فيه أداةُ التَّشْبيهِ، سواءٌ ذُكِر فيه وجْهُ الشَّبهِ أم لا.

وبالنِّسبةِ لوجْهِ الشَّبهِ يَنْقسِمُ إلى:

- تَشْبيهٍ مُجْمَلٍ.
- تَشْبيهٍ مُفَصَّلٍ.

---

[١٤٤] أسرار البلاغة فى علم البيان، للجرجاني، (ص٦٩).

- تَشْبيهٍ تَمْثيليٍّ.

- تَشْبيهٍ ضِمْنيٍّ.

وبالنِّسبةِ إلى الغَرَضِ مِنَ التَّشْبيهِ إلى:

- تَشْبيهٍ مَقْبولٍ.

- تَشْبيهٍ مَرْدودٍ.

التَّشْبيهُ البَليغُ[١٤٥]

وهُو التَّشْبيهُ الَّذي حُذِفَ منه أداةُ التَّشْبيهِ ووجْهُ الشَّبهِ، وبقِي فيه طَرَفا التَّشْبيهِ فحسْبُ. ويُسمَّى التَّشْبيهَ البَليغَ؛ لأنَّ حذْفَ الأداةِ ووجْهِ الشَّبهِ مُبالَغةٌ في التَّشْبيهِ، حتَّى كأنَّهما كالشَّيءِ الواحِدِ. كقولِك: العلْمُ نورٌ، مُحَمَّدٌ أسدٌ، فاطِمةُ بدْرٌ... ومنه قولُ أبي فِراسٍ الحَمْدانيِّ:

إذا نِلتُ منكَ الوُدَّ فالكُلُّ هيِّنٌ ***وكلُّ الَّذي فوقَ التُّرابِ تُرابُ

حيثُ صوَّر الشَّاعرُ الدُّنيا وما عليها إذا رضِي عنه مَحْبوبُه بالتُّرابِ؛ لعدَمِ قِيمتِها حِينَئذٍ، وقلَّةِ اهْتِمامِه بها، غيرَ أنَّه حذَفَ الأداةَ ووجْهَ الشَّبهِ.

وقولُ الشَّاعِرِ:

فالأرْضُ ياقوتَةٌ والجَوُّ لُؤلؤةٌ***والنَّبْتُ فَيْرُوزجٌ والماءُ بِلَّورُ

أطلَق الشَّاعرُ عدَّةَ تَشْبيهاتٍ، حُذِف منها جَميعًا أداةُ ووجْهُ الشَّبهِ؛ فشبَّه الأرضَ بالياقوتَةِ، والجَوَّ باللُّؤلؤةِ، والنَّبْتَ بالفَيْرُوزَجِ ، والماءَ بالبِلَّورِ.

ومنه قولُ الشَّاعِرِ:

ثَوبُ الرِّياءِ يَشِفُّ عمَّا تحتَه***فإذا الْتَحفتَ به فإنَّك عاري

حيثُ وصَف الرِّياءَ بأنَّه ثَوْبٌ شفَّافٌ، وحذَف الأداةَ ووجْهَ الشَّبهِ.

ومنه قولُ آخَرَ:

---

[١٤٥] جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، للهاشمي، (١/ ٢٣٨).

فالعَيْشُ نَومٌ والمنيَّةُ يَقْظةٌ***والمَرءُ بينَهما خَيالٌ ساري

صوَّر العَيْشَ بالنَّومِ، والموْتَ باليَقْظةِ، وأنَّ الإنْسانَ بَيْنَ الحَياةِ والموْتِ خَيالٌ سارٍ، وحذَف مِنَ التَّشْبيهاتِ الثَّلاثةِ أداةَ التَّشْبيهِ ووجْهَ الشَّبهِ.

والتَّشْبيهُ البَليغُ أعْلى مَراتِبِ التَّشْبيهِ في البَلاغَةِ وقوَّةِ المُبالَغةِ؛ لِما فيه مِن ادِّعاءِ أنَّ المُشبَّهَ هو عَينُ المُشبَّهِ به، ولِما فيه مِنَ الإيجازِ النَّاشِئِ عن حذْفِ الأداةِ والوجْهِ معًا، هذا الإيجـازُ الَّذي يَجعَلُ نفْسَ السَّامِعِ تَذهَبُ كلَّ مَذهَبٍ، ويُوحي لها بصُوَرٍ شتَّى مِن وُجوهِ التَّشْبيهِ .

والتَّشْبيهُ البَليغُ مِنَ التَّشْبيهاتِ المُؤكَّدَةِ، وهِي الَّتي حُذِفتْ منها الأداةُ، ويُقابِلُهـا في ذِكْـرِ الأداةِ التَّشْبيهُ المُرسَلُ، وهو ما يُذكَرُ فيه أداةُ التَّشْبيهِ، سواءٌ جاء ذِكْرُ وجهِ الشَّبهِ أم لا.

وهُو أيضًا مِنَ التَّشْبيهاتِ المُجْملَةِ الَّتي حُذِف منْها وجْهُ الشَّبهِ، ويُقابِلُه في ذِكْرِ وجْهِ الشَّبهِ التَّشْبيهُ المُفصَّلُ والتَّمْثيليُّ والضِّمْنيُّ.

التَّشْبيهُ المُجْمَلُ[١٤٦]

هو ذلك التَّشْبيهُ الَّذي حُذِف منه وجْهُ الشَّبَهِ، كقَولِه تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤] ؛ فـفي الآيـةِ تَشْـبيهٌ للكُفَّارِ في ضَلالِهِم وجَهْلِهم وغفْلةِ قُلوبِهم، وعدَمِ اسْتغلالِ حواسِّهم ومَداركِهم- بالأنْعامِ، ووجْهُ الشَّبهِ هنا -وهُو الضَّلالُ والجهْلُ والغفْلةُ ونحْوُ ذلك- مَحْذوفٌ لم يُـذكَرْ، في حـين أتى التَّصْريحُ بالأداةِ، وهِي الكافُ.

ومنه قولُ الشَّاعِرِ: الرمل

إنَّما الدُّنيا كبَيْتٍ***نسْجُهُ مِن عَنْكَبوتِ

حيثُ صوَّر الشَّاعرُ الدُّنيا في وهْنِها وضَعْفِها ببيْتِ العَنْكَبـوتِ، وذكَـر الأداةَ، وهِي الـكافُ، وحذَف وجْهَ الشَّبهِ، وهُو الوَهْنُ والضَّعْفُ، غيرَ أنَّه ظاهِرٌ مِنَ السِّياقِ.

---

[١٤٦] ينظر: علم البيان، للعتيق، (ص٩١).

ووجْهُ الشَّبهِ قد يكونُ مَعْلومًا ظاهِرًا، كقولِك: زيدٌ كالأسدِ، فلا ريْبَ أنَّ المُرادَ هنا الجُرأةُ والشَّجاعةُ، وقد لا يكونُ ظاهِرًا، بل يَحْتاجُ إلى قَريحَةٍ وفَهْمٍ، وذلك كقَولِ فاطِمةَ بنْتِ الخُرْشُبِ حين سُئِلَتْ: أيُّ أولادِكِ أفْضلُ؟ فقالت: "عُمارَةُ، لا بل فُلانٌ، لا بل فُلانٌ، ثمَّ قالت: ثَكِلتُهم إنْ كنتُ أعلَمُ أيُّهم أفْضلُ، هم كالحَلْقةِ المُفْرَغةِ لا يُدْرى أينَ طرَفاها".

فمَعْنى ذلك أنَّ أبْناءَها لِتَناسُبِ أصولِهم وفُروعِهم وتَساويهم في الشَّرفِ يَمْتنِعُ تَعْيينُ بعضِهم فاضِلًا وبعضِهم أفْضلَ منه، كما أنَّ الحَلْقةَ المُفْرَغةَ لِتَناسُبِ أجْزائِها وتَساويها يَمْتنعُ تَعْيينُ بعضِها طرَفًا وبعضِها وسَطًا، فتَشْبيهُ أبْناءِ بنْتِ الخُرْشُبِ بالحَلْقةِ المُفْرَغةِ تَشْبيهٌ مُجمَلٌ، ووجْهُ شَبهِه المَحْذوفُ، وهُو تَعذُّرُ -بلِ اسْتِحالةُ- تَعْيينِ أوَّليَّةٍ أو أفْضَليَّةٍ أشياءَ مُتناسِبةٍ مُتساويةٍ، أو هو التَّناسُبُ المانِعُ مِن تَمْييزٍ يَصِحُّ معَه التَّفاوُتُ. فهذا الوجْهُ المَحْذوفُ الَّذي يَشْترِكُ فيه طَرَفا التَّشْبيهِ أمرٌ خَفِيٌّ لا يَسْتطيعُ إدْراكَه إلَّا مَنْ له ذِهْنٌ يَرْتفعُ عن طَبقةِ العامَّةِ .

والتَّشْبيهُ المُجمَلُ قد تُذكَرُ فيه الأداةُ وقد لا تُذكَرُ، فإذا أتتْ أداةُ التَّشْبيهِ كان تَشْبيهًا مُرْسَلًا مُجمَلًا، كالأمْثِلةِ السَّابِقةِ، وإذا خلا مِنَ الأداةِ كان تَشْبيهًا بَليغًا كما ذكَرْنا.

التَّشْبيهُ المُفصَّلُ[١٤٧]

هو التَّشْبيهُ الَّذي ذُكِر فيه وجْهُ الشَّبهِ، كقولِ الشَّاعِرِ:

يا شَبيهَ البدْرِ حُسْنًا*** وضِياءً ومَنالَا

وشَبيهَ الغُصْنِ لِينًا*** وقَوامًا واعْتِدالَا

أنتَ مِثْلُ الوَرْدِ لَوْنًا*** ونَسيمًا وملَالَا

---

[١٤٧] ينظر: المنهج الواضح للبلاغة، لحامد عوني، (٥٦/٥).

فالشَّاعِرُ هنا ذكَر وجْهَ الشَّبهِ في تَشْبيهاتِه كلِّها؛ فالحُبيبُ شَبيهُ البـدْرِ في الحُسْـنِ والضِّـياءِ وبُعْدِ المَنالِ، وشَبيهُ الغصْنِ في اللِّينِ والقَوامِ والاعْتِدالِ، وشَبيهُ الـورْدِ في اللَّـونِ والنَّسـيمِ وعبَقِ الرَّائِحةِ. وهذه كلُّها أوجُهُ شَبَهٍ بَيْنَ المُشبَّهِ والمُشبَّهِ به.

وهذه الأبْياتُ جاء فيها التَّصْريحُ بالأداةِ؛ ولِهذا فهِي تَشْبيهٌ مُرْسَلٌ مُفصَّلٌ؛ مُرْسَـلٌ بالنِّسـبةِ لذِكْرِ أداةِ الشَّبَهِ، مُفصَّلٌ لذِكْرِ وجْهِ الشَّبهِ.

ومنه قولُ الشَّاعِرِ:

كَمْ وُجوهٍ مِثلِ النَّهارِ ضِياءً***لِنُفوسٍ كاللَّيلِ في الإظْلامِ

فشبَّه الشَّاعرُ الوجْهَ بالنَّهارِ في ضِيائِه ونُورِه، والنَّفْسَ باللَّيلِ في الظَّلامِ، وهذا البيتُ أيضًـا مِنَ التَّشْبيهِ المُرسَلِ المُفصَّلِ.

التَّشْبيهُ التَّمْثيليُّ

هو ما كان وجْهُ الشَّبهِ فيه مُنْتزَعًا مِن شَيئَينِ فأكْثرَ، سواءٌ انْتُزِع مِن أمورٍ حِسِّيَّةٍ أم عقْليَّـةٍ، وهُو مِن أبْلَغِ صُورِ التَّشْبيهِ بعدَ التَّشْبيهِ البَليغِ؛ لِما في وجْهِه مِنَ التَّفْصيلِ الَّذي يَحْتـاجُ إلى إمْعانِ فِكْرٍ، وتَدقيقِ نظَرٍ، وهُو أعْظمُ أثَرًا في المَعاني: يَرفَـعُ قَـدْرَها، ويُضـاعِفُ قُواهـا في تَحْريكِ النُّفوسِ لها، فإنْ كان مدْحًا كان أوْقَعَ، أو ذمًّا كان أوْجَعَ، أو بُرْهانًا كان أسْطَعَ.

وفي ذلك النَّوعِ مِنَ التَّشْبيهِ لا تكونُ المُقارَنةُ بَيْنَ طرفَينِ مُفردَينِ، بل بَيْنَ طرفَينِ تَتَّسـعُ دائِرةُ كلٍّ منْهما وتكثُرُ عَناصِرُه، وتَتعدَّدُ مُتعلِّقاتُه، بحيثُ لا يُسْتطاعُ إدْراكُ التَّشابهِ بينَهما إلَّا عن طَريقِ النَّظرةِ المُتأنِّيةِ المُسْتقصيةِ الَّتي تَسْـتوعِبُ تلـك العَنـاصِرَ أوِ المُتعلِّقـاتِ، وتُدرِكُ ما بينَها جَميعًا مِن تَرابُطٍ وتَماسُكٍ في نَسيجِ الصُّورةِ.

فمن ذلك التَّشْبيهِ قولُه تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥] .

فهذه الآيةُ تُشبِّهُ اليَهودَ الَّذينَ نزَلت عليهم التَّوراةُ فعَلِموا ما بها مِن شرائِعَ وأحْكامٍ، ثمَّ لـم يُنفِّذوها أو يَعمَلوا بمُقْتضاها- بالحِمارِ الَّذي يَحمِلُ فوقَ ظهرِه أثْقالًا مِنَ الكُتـبِ والأسْـفارِ النَّافِعةِ، الَّتي لا يَسْتفيدُ منها غيرَ التَّعبِ والمَشقَّةِ.

ووجْهُ الشَّبهِ هنا هو التَّعبُ والشَّقاءُ في أمرٍ له فائِدةٌ معَ الحِرمانِ منْها، وهُو مـا لا يَسْـتطيعُ تَحْصيلَه مَنْ لا يَملِكُ النَّظرةَ المُتأنِّيةَ البَلاغيَّةَ الأدبيَّةَ.

ومنه أيضًا قولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِـهِ نَبَـاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاس وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْـنَ بِـالْأَمْسِ كَـذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤] .

قال عبدُ القاهِرِ الجُرْجانيُّ: (ألَا تَرى كيف كثُرتِ الجُمَلُ فيه؟ حتَّى إنَّـك تَـرى في هـذه الآيةِ عشْرَ جُمَلٍ إذا فُصِّلتْ -وهِي وإنْ كان قد دخَل بعضُـها في بعـضٍ حـتَّى كأنَّهـا جُملـةٌ واحِدةٌ- فإنَّ ذلك لا يَمْنعُ مِن أنْ تكونَ صُورُ الجُملِ معنـا حاصِـلةً تُشـيرُ إليهـا واحِـدةً واحِدةً. ثمَّ إنَّ الشَّبهَ مُنْتزَعٌ مِن مَجْموعِها، مِن غيرِ أنْ يُمكِنَ فصْـلُ بعضِـها عـن بعـضٍ، وإفْرادُ شطْرٍ مِن شطْرٍ، حتَّى إنَّك لو حذَفتَ منْها جُملةً واحِدةً مِن أيِّ مَوضِعٍ كان، أخَلَّ ذلك بالمَغْزى مِنَ التَّشْبيهِ)[١٤٨].

ومنه قولُ كُثَيِّرٍ عزَّةَ:

كأنِّي وتَهْيامي بعزَّةَ بعدَما*** تَخلَّيتُ عمَّا بيننا وتَخلَّتِ

لَك المُرْتجي ظِلَّ الغَمامَةِ كلَّما*** تَبوَّأ منْها للمَقيلِ اضْمحلَّتِ

كأنِّي وإيَّاها سَحابةُ مُمْحِلٍ*** رجاها فلَّما جاوزَتْهُ اسْتهلَّتِ

كما أبْرقَتْ قومًا عِطاشًا غَمامَةٌ*** فلَّما رأَوْها أقْشَعَتْ وتَجلَّتِ

---

[١٤٨] أسرار البلاغة، للجرجاني، (ص٨١).

فالشَّاعِرُ هنا يصِفُ حالَه بعدَ فِراقِه لمَحْبوبتِه بغيرِ صُورةٍ، كلُّ واحِدةٍ منها مُركَّبةٌ مِن غيرِ وجْهِ شَبهٍ؛ ففي البَيتَينِ الأوَّلَين يُشبِّهُ نفْسَه بالَّذي يَتفقَّدُ ويَنْتظِرُ مَوضِعَ ظلِّ سَحابةٍ، كلَّما اقْتَرَبَ مِن ظلِّها وتَهيَّأَ للنَّومِ تحتَها اضْمَحلَّتْ عنه وانْصَرفتْ، وفي البيتِ الثَّالثِ يُصوِّرُ نفْسَه معَها بالعَطْشانِ الَّذي يَهْفو إلى المطَرِ وقد رأى سَحابةً، يأمُلُ منْها أنْ تُغيثَه بمائِها وتَرويَه وتَرويَ زرْعَه وأرْضَه، فلَّما تَجاوزَتْ محلَّه وصارتْ بَعيدةً عنه أمْطَرتْ. وفي البيتِ الرَّابعِ يُصوِّرُ نفْسَه بحالِ العِطاشِ الَّذين أبْرقَتْهم غَمامَةٌ مُنْذِرةٌ بالمطَرِ، فاسْتَبْشروا وفرِحوا، فلم تَلبَثْ أنْ أقْشَعتْ ومنَعتْ عنهم ماءَها وتَبدَّدتْ.

هذه التَّشْبيهاتُ كلُّها مُؤدَّاها هو الفشَلُ والشُّعورُ بالخَيْبةِ بعدَ اقْترابِ النَّجاحِ وتَحقُّقِ الأملِ، فلمَّا أحسَّ كُثَيِّرٌ مِن عزَّةَ أُنْسًا وحُبًّا، وكادا يَجْتمعانِ على أمرِهما، افْترَقا ولاتَ ساعةَ مَنْدَمِ.

ومنه أيضًا قولُ الشَّاعِرِ:

وأشدُّ ما لاقيْتُ مِن ألَمِ الجَوى***قُرْبُ الحَبيبِ وما إليه وُصولُ

كالعِيسِ في البَيداءِ يقْتُلُها الظَّمَا***والماءُ فوقَ ظُهورِها مَحْمُولُ

فالشَّاعِرُ في البَيْتَينِ يصِفُ حالَه وشدَّةَ ما وصَل إليه مِنَ الكمَدِ وألَمِ العِشْقِ والحُبِّ، وأنَّه قَريبٌ مِن دارِ الحَبيبِ، غيرَ أنَّه لا يَسْتطيعُ الوُصولَ إليه، ثمَّ صوَّر ذلك بحالِ الإبِلِ في الصَّحراءِ تَكادُ تهلِكُ عطَشًا، وهِي تَحمِلُ الماءَ على ظَهْرِها، فلا هي اسْتَطاعتْ أنْ تَنالَه رغْمَ قُرْبِه منها، ولا هي تَقدِرُ على الصَّبرِ عنه.

ومنه أيضًا قولُ ابنِ المُعتَزِّ:

اصْبِرْ على كيْدِ الحَسودِ *** فإنَّ صبرَكَ قاتِلُه

فالنَّارُ تأكُلُ نفْسَها***إنْ لم تَجِدْ ما تَأكُلُه

شبَّه ابنُ المُعتَزِّ انْهيارَ الحاقِدينَ وحُرقتَهم مِن لا مُبالاةِ الأفاضِلِ بِهم بحالِ النَّارِ الَّتي إنْ لم تَجِدْ شيئًا تأكُلُه أكَلتْ نفْسَها وماتتْ وانْطفَأتْ، فوَجهُ الشَّبهِ هنا مُنْتزَعٌ مِن أمورٍ مُتعدِّدةٍ لا مِن شيءٍ واحِدٍ كالتَّشْبيهاتِ غيرِ التَّمْثيليَّةِ.

وتَشْبيهُ التَّمْثيلِ نوعانِ:

- ظاهِرُ الأداةِ: وهُو ما كانت أداةُ التَّشْبيهِ فيه ظاهِرةً، كالأمْثِلةِ السَّابِقةِ.

- خَفِيُّ الأداةِ: وهُو ما كانتِ الأداةُ غيرَ مَذْكورةٍ، ولا يَفهَمُ أنَّه تَشْبيهٌ إلَّا مَنْ أُوتِي عقْلًا وفِطْنةً وذَوْقًا، كقولِك للَّذي يَتردَّدُ في شيءٍ: "أراك تُقدِّمُ رِجْلًا وتُؤخِّرُ أخْرى"، فإنَّ الأصْلَ فيها: أراك في تَردُّدِك مِثلَ مَنْ يُقدِّمُ رِجْلًا ويُؤخِّرُ أخرى. فالأداةُ مَحْذوفةٌ، ووجْهُ الشَّبهِ: هَيْئةُ الإقْدامِ والإحجامِ المَصْحوبَينِ بالشَّكِّ.

والتَّشْبيهُ التَّمْثيليُّ إمَّا أنْ يَقعَ في:

- أوَّلِ الكَلامِ: فيكونَ قِياسًا مُوضِّحًا، وقولًا مَدلولًا عليه بالبُرهانِ، كقَولِه تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١] .

- خِتامِ الكَلامِ: فيُفيدَ تَقْريرَ الكَلامِ وتَوْكيدَه، كالبُرهانِ الَّذي تَثبُتُ به صِحَّةُ الدَّعوى، كقَولِ الشَّاعِرِ:

لا يَنزِلُ المَجْدُ إلَّا في مَنازِلِنا*** كالنَّومِ ليس له مَأْوًى سِوى المُقَلِ

فإنَّ الشَّاعرَ هنا بعدَ أنْ ذكَر أنَّ المجْدَ إنَّما هو رَبيبُ بُيوتِهم، لا يُفارِقُهم، عقَّب وختَم ذلك بِما يُؤكِّدُه، وهُو تَشْبيهُ مُلازَمةِ المجْدِ لهم بالنَّومِ الَّذي لا يَجِدُ له مَنْزِلًا إلَّا في مُقَلِ العُيونِ .

التشبيهُ الضمنيُّ[١٤٩]

هو تَشْبيهٌ لا يُوضَعُ فيه المُشبَّهُ والمُشبَّهُ به في صُورةٍ مِن صُوَرِ التَّشْبيهِ المَعْروفةِ، بل يُلمَحُ المُشبَّهُ والمُشبَّهُ به، ويُفهَمانِ مِنَ المَعْنى، كقَولِ المُتَنبِّي:

مَنْ يَهُنْ يَسهُلِ الهَوانُ عليه***ما لِجُرْحٍ بميِّتٍ إيْلامُ

يُريدُ: مَنِ اعْتادَ الهَوانَ والصَّغارَ اسْتطاعَ تحمُّلَ ذلك، وسهُلَ ذلك عليه، يُؤيِّدُ هـذا الادِّعاءَ أنَّ الميِّتَ لا يَتألَّمُ بالجِراحِ الحادِثةِ فيه. وهذا كما ظهَر ليس على صُورِ التَّشْبيهِ المَعْروفةِ.

وقولِه أيضًا:

فإنْ تَفُقِ الأنامَ وأنتَ منْهم***فإنَّ المِسْكَ بعضُ دمِ الغَزالِ

يُريدُ: ليس أمرًا مُسْتغرَبًا أنْ تَفوقَ جَميعَ النَّاسِ وأنت واحِدٌ منْهم، فإنَّ المِسْكَ مِنَ الدَّمِ، وبَوْنٌ كَبيرٌ بينَ المِسْكِ والنَّجَسِ مِنَ الدِّماءِ.

ومنه قولُ أبي فِراسٍ الحَمدانيِّ:

سيَذْكُرُني قَوْمي إذا جَدَّ جِدُّهم***وفي اللَّيلةِ الظَّلْماءِ يُفْتقَدُ البدْرُ

يُريدُ أنْ يقولَ: إنَّ قومَه سيَذكُرونَه عند اشْتِدادِ الخُطوبِ والأهْوالِ عليهم ويَطْلبونَه فلا يَجِدونَه، ولا عجَبَ في ذلك؛ فإنَّ البدْرَ يُفْتقَدُ ويُطلَبُ عند اشْتِدادِ الظَّلامِ.

وقولُ آخَرَ:

علا فما يَسْتقرُّ المالُ في يدِهِ***وكيفَ تُمسِكُ ماءً قِمَّةُ الجبَلِ

يُريدُ أنَّ المَمْدوحَ لمَّا عَلا وعزَّ، جادَ بِما في يدِه ولم يَبخَلْ على أحدٍ، وهذا شأنُ كلِّ عالٍ مُرْتفعٍ، كما أنَّ قِمَّةَ الجبَلِ لا تُمسِكُ الماءَ .

كما أنَّ التَّشبيهَ يَنقسِمُ انقسامًا آخَرَ بحسَبِ تَعدُّدِ رُكنيْه إلى ثلاثةِ أنواعٍ:

---

[١٤٩] البلاغة العربية، لحنبكة، (٢/ ٢٠٢).

١- التَّشبيهُ المفرَدُ: وذلك إذا كان المُشَبَّهُ شيئًا واحدًا، والمُشَبَّه بـه كـذلك، حـتَّى وإنْ كان الشَّيءُ الواحدُ مركَّبًا مِن عِدَّةِ أُمورٍ، كالتَّشبيهاتِ الَّتي مرَّت.

٢- التَّشبيهُ المتعدِّدُ: وهو أنْ يكونَ الكلامُ مَعقودًا على تَشبيهِ شَـيئينِ أو أكـثَرَ بشَـيئينِ أو أكثَرَ، لا يَتداخَلُ أحدُهما في الآخَرِ.

وذلك كقولِ امرئِ القَيسِ في وَصفِ عُقابٍ:

كأنَّ قلوبَ الطَّيرِ رَطْبًا ويابسًا***لَدى وَكْرِها العُنَّابُ والحَشَفُ البالي

ففي البيتِ صوَّر قلوبَ الطُّيورِ الرَّطبةَ بالعُنَّابِ، وهو ثَمرٌ أحمَرُ رَطبٌ لشَجرةٍ مَعروفةٍ، وصَوَّر القلوبَ اليابسةَ بالتَّمرِ الَّذي ذَهَب ماؤه وزالَت رُطوبتُه وانقَضَى خَيرُه.

وقد قسَّم البلاغيُّون التَّشبيهَ المتعدِّدَ إلى نوعينِ:

- التَّشبيهُ الملفوفُ: وهو جمْعُ كلِّ طَرفٍ على حِدَةٍ؛ فيُؤتى بالمُشَبَّهاتِ أوَّلًا ثمَّ بالمُشَبَّهاتِ بها، كقولِ الشَّاعرِ: المجتث

لَيْلٌ وبَدْرٌ وغُصْنٌ***شَعرٌ ووَجْهٌ وقَدُّ

خَمْرٌ ودُرٌّ ووَرْدٌ***رِيقٌ وثَغْرٌ وخَدُّ

شَبَّه الشَّعرَ باللَّيلِ، والوجهَ بالبَدرِ، والقَدَّ بالغُصنِ، والرِّيـقَ بـالخمرِ، والثَّغـرَ بـالدُّرِّ، والخـدَّ بالوردِ، وجَمَعَ كلَّ طَرَفٍ مِن المشبَّهِ والمشبَّهِ به على حِدَةٍ؛ فالشَّعرُ والوجهُ والقَدُّ هي المشبَّهاتُ في البيتِ الأوَّلِ، والرِّيقُ والثَّغرُ والخَدُّ في البيتِ الثَّاني، والمشبَّهاتُ بها في الأوَّلِ اللَّيلُ والبَدْرُ والغُصنُ، وفي الثَّاني: الخمرُ والدُّرُّ والوردُ.

ومنه كذلك قولُ امرئِ القَيسِ السابقِ؛ حيث جَعَل المشـبَّهَ "قُلـوب الطَّـيرِ رَطْبًـا ويابسًـا" مُتواليةً، والمشبَّهَ به: "العُنَّاب والحَشَف" بعدها.

- التَّشبيهُ المفروقُ: وهو جمعُ كلِّ مُشَبَّهٍ مع المشبَّهِ به، كقولِ المُرَقِّشِ الأكبَرِ: السريع

النَّشرُ مِسكٌ والأَكُفُّ دَنا نِيرُ وأطرافُ الأَكُفِّ عَنَمْ

جمَعَ بيْن كلِّ مُشبَّهٍ وما يَخُصُّه مِن المشبَّهِ به؛ حيث شبَّه النَّشرَ بالمسكِ، والأكُفَّ بالدَّنانيرِ، وأطرافَ الأكُفِّ بالعَنَمِ.

ومنه قولُ الشَّاعرِ:

إنَّما النَّفسُ كالزُّجاجةِ والعِلـــ***ـــمُ سِراجٌ وحِكمةُ اللهِ زَيتُ

فإذا أشْرقَتْ فإنَّك حَيٌّ***وإذا أظلَمَت فإنَّك مَيْتُ

حيث جَمَع بيْن الأطرافِ؛ فالنَّفسُ مُشبَّهةٌ بالزُّجاجةِ، والعِلمُ بالسِّراجِ، والحِكمةُ بالزَّيتِ.

٣- تَشبيهٌ مُفرَدٌ مُتعدِّدٌ: وهو ما كان أحدُ رُكنَي التَّشبيهِ مُفرَدًا والآخَرُ مُتعدِّدًا، وذلك على صورتينِ:

أ- تَشبيهُ التَّسويةِ: وهو أن يكونَ المشبَّهُ مُتعدِّدًا والمشبَّهُ به مُفرَدًا، كقولِ الشَّاعرِ:

صُدغُ الحبيبِ وَحالي***كِلاهما كاللَّيالي

وثَغْرُه في صَفاءٍ***وأدْمُعي كاللآلِ

ففي البيتِ الأولِ صوَّر الشَّاعرُ صُدغَ الحبيبِ وحالَه معه باللَّيالي في السَّوادِ؛ فأتى بالمشبَّهِ مُتعدِّدًا، والمشبَّهِ به مُفرَدًا. وسُمِّي بذلك للتَّسويةِ فيه بيْن المُشَبَّهات.

ب- تَشبيهُ الجمعِ: وهو أن يكونَ المشبَّهُ واحدًا، والمشبَّهُ به مُتعدِّدًا، عكْسُ الصُّورةِ السَّابقةِ، ومنه قولُ البُحْتريِّ:

كأنَّما يَبسُمُ عن لُؤلؤٍ***مُنَضَّدٍ أو بَرَدٍ أو أقاحْ

صوَّر أسنانَ مَحبوبِه باللُّؤلؤِ المُنَظَّمِ وبالبَرَدِ، وهو الثَّلجُ، وبالأقاحِ، وهو نَبتٌ له زَهرٌ أبيضُ.

ومِثلُه قولُ شَوقي في وَصفِ الطَّائرةِ:

كبِساطِ الرِّيحِ في القُدرةِ أو***هُدْهُدِ السِّيرةِ في صِدقِ البلاءْ

أو كَحُوتٍ يَرْتَمي الموجُ به***سابحٍ بيْن ظُهورٍ وخَفاءْ

حيث صوَّر الطَّائرةَ بِبِساطِ الـرِّيحِ، وبهُدْهُـدِ سُـليمانَ، وبـالحُوتِ الذي يَزِيـدُ المـوجُ مِـن سُرعةِ سِباحتِه.

استراحة:

ودع هريرة إن الركب مرتحل:

معلقة الأعشى ، من البحر البسيط ، وللوهلة الأولى فمن يسمعها يظنها من الطويل بسبب أن مستفعلن الأولى أتى بها كاملة وليست متفعلن ، كما بدأها الأعشى- بـالغزل ولـيس ببكاء الأطلال ، على غير العادة اخترت لكم منها:

ودع هريرة إن الـرب مرتحـل *** وهـل تطيق وداعا أيهـا الرجـل

غراء فرعاء مصقول عوارضها *** تمشي الهوينا كما يمشى الوجي الوحل

كأن مشيتهـا من بيت جارتهـا *** مـر السحـابة لا ريث ولا عجـل

ليست كمن يكره الجيران طلعتها *** ولا تراهـا لسر الجـار تختتـل

يكاد يصرعهـا لـولا تشددهـا *** اذا تقـوم الى جاراتهـا الكسـل

صفر الوشاح وملء الدرع بهكنـة *** إذا تأتى يكـاد الخصـر ينخـزل

قالت هـريرة لما جئت زائرهـا *** ويلي عليـك وويلي منـك يا رجـل

* يقول الأعشى لنفسه قم فودع هريرة قبل رحيل الركب ، ولا تقال كلمة الركب الا لقافلة الابل ، ثم يستدك بسؤال منفي الغرض منه التعجيز لصعوبة لحظات الوداع ، بأنـك رجـل رقيق القلب لا تتحمل لحظات الوداع مع أنك تتمتع بالرجولة الكاملة والعزيمة والصلابة وقوة القلب (أيها الرجل) ؛ وذلك دليل على قوة وتغلغل حبها في قلبه .

وهريرة : هو اسم وهمي لفتاة ولعله أخذ من كونها تتقرب من حبيبها كما تتمسـح الهـرة بصاحبها ، قال طرفة:

أصحوت اليوم ام شاقتك هر *** ومن الحب جنون مستعر

- يصفها بأنها غراء أي بيضاء الجبهة ، فرعاء طويلة الشعر أسودته، وطويلة الجسم ؛ قال أحمد شوقي:

ودخلت في ليلين فرعك والدجي ...

ونساء العرب تتباهى بطول الشعر حتى أن بعضهن يسترها شعرها تماماً عندما تغتسل في البحيرات وعيون الماء، والغدران: (جمع غدير) وغيرها ..

مصقولة العوارض: العوارض يجوز أن المقصود بها صفحة الوجه مع الخد، وهنا يقصد أن خدها ناعم مشدود ، أو الأسنان التي تظهر عند الابتسام ومصقولة عندها تعني: لامعةً براقةً نظيفةً، وقد يكون قصد المعنيين معاً .

تمشي بهدوء وتؤدة كما يمشى الغارق في الوحل والطين، أو كما يمشي الوجي: وهو من اهترأت بواطن قدميه من كثرة المشي حافياً في الحصباء، فيصبح لا يستطيع السير إلا بصعوبة، ولا تكون المرأة في أجمل هيئاتها إلا عندما تمشي ألهوينا.

- يقول إذا ذهبت الى جيرانها أو قامت من عندهم فإنها لا تمكث طويلاً ولا قليلاً ، وإنما وسط كمرور السحابة لا هو بالبطيء ولا بالعجل ؛ بحيث لا يمل حضورها وحديثها أحد.

- دائماً يشتاق الجيران لرؤيتها ولزياراتها القليلة جداً، فلا يكرهونها، ويكرهون حضورها وقدومها ، كما أنها لا تتسمع كلامهم وأسرارهم وتتلصص عليهم ، والاختتال: هو تتبع الفريسة في الخفاء للانقضاض عليها ، بشكل أدق هو ما يفعله القناص عندما يتتبع الصيد.

- يكمل أنها من زيادة الراحة وقلة العمل كسولة لولا أنها تشد على نفسها ، فلا تصحو باكراً للعمل ، يقول امرؤ القيس:

وتضحي فتيت المسك فوق فراشها *** نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

يقصد أنها مرتاحة في حياتها ، ورائحة فراشها كالمسك من طيب جسدها وإن لم تتطيب.

ألا تلاحظون أن الإنسان المرتاح بلا عمل دائما تراه كسولا بعض الشيء.

- صفر الوشاح : لا تملأ الوشاح وهو رداء يوضع فوق الملابس، ولكنها تملأ الدرع، والدرع هو قميص المرأة وهو لباس بيتي لذلك يغطى بالوشاح ، ويقصد أنها ليست عبلة الجسد ولا نحيفة ، بل ممشوقة رشيقة ظريفة لطيفة رقيقة (بهنكة)، إذا ما قامت لا يكاد خصرها يحملها لدقته ورقته، وانخزل معناها انقطع، أو ضعف عن حملها، وصفة الخصر النحيل محببة عند العرب.

- وأخيراً قرر أن يزورها زيارة الوداع ، فأثار شجونها وأحزانها فقالت له مصارحة بخوفها عليه أن يفطن له قومها فيقتلوه، أو أنها أشفقت عليه من الفراق لشدة تعلقه بها ، وخوفها على نفسها منه ومن شدة حبها له ، وقد ترك الأعشى عامداً إجابة النداء بحيث يقدره السامع مما سبق، كما رفع رجل على النداء المقصود، ولو أكمل لنصب (رجل).

المجاز:

تعريف المجاز لغة واصطلاحاً:

تعريف المجاز لغة: الجواز والتعدية، من قولهم: جعلت هذا مجازا إلى حاجتي أي: طريقا لها، فهو من جاز المكان سلكه إلى كذا، لا من جازه إذا تعداه كما هو الرأي الأول، ثم نقل إلى الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له باعتبار أنها طريق إلى تصور المعنى المراد منها، وهو نوعان: مفرد، ومركب.

المجاز اصطلاحاً:

هو في الاصطلاح: الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب؛ لعلاقة بين المعنى الأول والثاني، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأول[١٥٠].

---

[١٥٠] ينظر: المنهاج الواضح للبلاغة، (٢١١/٣).

وقيل: هو صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى مرجوح بقرينة. أي أن اللفظ يُقصد به غير معناه الحرفي بل معنى له علاقة غير مباشرة بالمعنى الحرفي. والمجاز من الوسائل البلاغية التي تكثر في كلام الناس، البليغ منهم وغيرهم، وليس من الكذب في شيء كما توهّم البعض. وهي تصنف مع علم البيان في علم البلاغة.

المجاز العقلي[١٥١].

المجاز العقلي هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له لعلاقة بينهما مع وجود قرينة مانعة من الإسناد الحقيقي. يكون الإسناد المجازى إلي سبب الفعل أو زمانه أو مكانه أو مصدره أو يكون بإسناد المبني للفاعل إلى المفعول أو المبني للمفعول إلى الفاعل. أمثلة:

الإسناد إلى سبب الفعل: كأن نقول: بلّط الحاكم شوارع المدينة. فإن الحاكم لم يبلط الشوارع بنفسه ولكنّه سبّب التبليط.

الإسناد إلى الزمان: كأن نقول: دارت بي الأيام، فالأيام لا تدور بل أنت تدور في تلك الأيام فنسبة الدوران إلى الأيام مجاز.

الإسناد إلى المكان: كأن نقول: ازدحمت الشوارع، فإن الشوارع لا تزدحم بل الناس هي التي تزدحم فيها فنسبة الازدحام إلى الشوارع مجاز.

الإسناد إلى المصدر: كأن نقول: فلان جنّ جنونه، فإن الذي جنّ هو فلان ولكن نسبته إلى المصدر مجاز.

الإسناد في النسبة غير الإسنادية: كقولنا: تجري الأنهار إلى البحر. فإن النهر لا يجري بل الماء الذي فيه هو الذي يجري.

---

[١٥١] ينظر: علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»، (ص٢٣٣).

المجاز اللغوي[١٥٢]

وهو لفظٌ استُخدمَ لغير معناه الحقيقيّ لعلاقة معيّنة، فكثيراً ما يستخدم الإنسان لفظاً ولا يقصد معناه الحقيقي بل معنى آخرَ مختلفاً، فإذا قال أحد مثلاً: رأيت أسداً يكر على الأعداء بسيفه، فهذه الجملة تدل على أن الأسدَ المذكورَ في الجملة ليس الأسد الذي نعرفه، والدليل على ذلك (بسيفه)؛ فالأسد الحقيقيّ لا يحمل سيفاً، وإنما المقصود بالأسد رجلٌ شجاع. ويقسم المجاز اللغوي إلى نوعين: فإما أن تكون العلاقة هي المشابهة وعند ذلك يسمى بالاستعارة، وإلا سمي بالمجاز المرسل، وكل منهما إما مفرد أو مركب، فالمفرد يكون في كلمة، والمركب يكون في عبارة تحتوي على أكثر من كلمة أو في الكلام عامة.

المجاز المفرد المرسل[١٥٣]

هو اللفظ المستعمل بقرينة في غير ما وضع له لعلاقة غير المشابهة. أو هو كلمة لها معنى حرفي لكنها تستعمل في معنى آخر غير المعنى الحرفي على أن يوجد علاقة بين المعنيين دون أن تكون تلك العلاقة مشابهة، وتعرف تلك العلاقة من المعنى الجديد المستخدمة فيه الكلمة. مثلا، قد يقال: وضع العدو عينا على المدينة. فالعين هنا المعنى الحرفي لها هو عضو البصر عند الإنسان أو الحيوان أما المعنى المقصود فهو الجاسوس والعلاقة بينهما ليست علاقة مشابهة فالجاسوس لا يشبه العين إلا أن هناك علاقة موجودة، فالجاسوس موجود أصلا كي ينظر إلى العدو ماذا يفعل. أما القرينة المطلوبة فهو أن العدو لا يستطيع أن يضع عينا حقيقية على المدينة وبذا فلا بد أنها مجاز.

أما العلائق فهي كثيرة، وبعض العلماء ذكر أكثر من ثلاثين من منها. بعض العلائق:

---

[١٥٢] ينظر: البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع، (ص٣١).

[١٥٣] ينظر: المنهاج الواضح للبلاغة، (٣/ ٢٩٤).

الكلية والجزئية: أي: يلفظ الكل ويقصد الجزء، أو العكس، كقوله تعالى: ﴿ فَتَحرِيرُ رَقَبَة مُّؤمِنَة ﴾[النساء:٩٢]، المقصود تحرير إنسان مسلم كامل وليس رقبته فقط.

العمومية والخصوصية: كقولنا لعب المصريون في مباراة كذا، نقصد وفداً من المصريين لا كلهّم.

السببية والمسببية: كقوله تعالى «﴿ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنْ السَّمَاءِ رِزْقاً ﴾، أي: مطراً؛ لأن المطر هو سبب الرزق.

على اعتبار ما كان أو ما سوف يكون: كقولك لأخيك الذي يدرس الطب: يا دكتور، أو كقوله تعالى: ﴿ وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ ﴾ أي: بعد بلوغهم ولكن على اعتبار أنهم كانوا يتامى.

. اللازمية والملزومية: مثلا: طلع الضوء والمقصود طلعت الشمس؛ أو قولنا مشيت في الشمس، أي: في حرّ الشمس.

إطلاق اسم الفاعل أو المفعول على الفاعل أو المفعول أو المصدر: كقوله تعالى: ﴿لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ أي: لا معصوم. أو كقولنا: «أرتدي ثياباً مستورة» نقصد ثياباً ساترة.

المجاز المركّب المرسل[١٥٤]:

هو الكلام المستعمل في غير المعنى الموضوع له، لعلاقة غير المشابهة. وهو لا يشتمل على كلمات منفصلة تركيبات صغيرة بل يقع في المركبات الخبرية والإنشائية. أمثلة:

التحسّر، كقوله: (ذهب الصِبا وتولّت الأيّامُ..) فإنه خبر يُقصد منه إنشاء التحسّر على ما فات من شبابه.

إظهار الضعف، كقوله تعالى: ﴿ربّ إنّي وهن العظمُ منّي...﴾، أي: أصبحت ضعيفاً.

إظهار السرور، كقوله تعالى: ﴿يا بُشرى هذا غلام﴾.

الدعاء، كقولنا: (هداك الله للسبيل السويّ).

---

[١٥٤] ينظر: المنهاج الواضح للبلاغة، (١/ ١٤٤).

اظهار عدم الاعتماد، قال تعالى: ﴿هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾.

الإستعارة

تعريف الاستعارة لغة، واصطلاحاً:

الاستعارة في اللّغة: طلبُ شيءٍ ما للانتفاع به زمناً ما دون مقابل، على أن يَرُدَّه المستعير إلى الْمُعِير عند انتهاء المدّة الممنوحة له، أو عند الطلب.

الاستعارة في اصطلاح البيانيين: استعمال لفظٍ ما في غير ما وُضِع له في اصطلاحٍ به التخاطب، لعلاقة المشابهة، مع قرينة صارفةٍ عن إرادة المعنى الموضوع له في اصطلاحٍ به التخاطب[١٥٥].

وأركانُ الاستعارةِ ثلاثةٌ:

١-مستعارٌ منه (وهو المشبَّهُ بهِ).

٢-ومستعارٌ لهُ (وهو المشبَّهُ).

٣-ومستعارٌ (وهو اللفظُ المنقول).

أولاً: الاستعارةُ التصريحيةُ: هي ما صرح فيها بلَفظِ المشبَّه بهِ. كقوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، والصراطُ: الطريقُ، فقد شبَّه الدينَ بالصراطِ بجامعِ التوصيل إلى الهدفِ في كلٍّ منهما وحذفَ المشبَّه وهو الإسلامُ وأبقى المشبَّهَ بهِ. وقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم:١]، فقد شبَّه الكفرَ بالظلماتِ والإيمانَ بالنورِ وحذفَ المشبَّه وأبقى المشبَّهَ به

ولم أرَ قبلي مَنْ مشَى البدرُ نحوهُ***ولا رَجلاً قامتْ تعانقُهُ الأسْدُ

فكلمتي البدر والأسد مشبَّهٌ به في الأصلِ، وحُذِفَ المشبَّهُ، فالبدرُ لا يمشي والأسدُ لا تعانق.

ثانياً: الاستعارةُ المكنيَّةُ: هي ما حُذِفَ فيها المشَبَّه بهِ ورُمِزَ لهُ بشيء مِنْ لوازمه.

---

[١٥٥] ينظر: البلاغة، لحنبكة (٢/٢٢٩).

كقوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء:٢٤]، فقد شبَّه الذلَّ بالطائرِ، وحذف المشبَّه به ولكنْ رمزَ إليه بشيءٍ من لوازمهِ وهو الجناحُ، فلم يذكر من أركانِ التشبيه إلا الذلَّ وهو المشبَّهُ.

وكقول الرسول -ﷺ-: " بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ"، فقد شبَّه الإسلامَ بالبيتِ، ولكن حذف المشبَّهَ به وهو البيتُ وأبقى بعضاً من لوازمهِ الجوهريةِ وهو البناءُ.

الاستعارة التصريحية والمكنية[١٥٦]:

١- الاستعارة التصريحية: وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به دون المشبه، أو ما استعير فيها لفظ المشبه به للمشبه.

*ومثالها من القرآن الكريم قوله تعالى:

﴿كِتابٌ أنزلناهُ إليكَ لِتُخرِجَ الناسَ مِنَ الظُلماتِ إلى النُورِ...﴾ [إبراهيم: ١].

ففي هذه الآية استعارتان في لفظي: الظلمات والنور، لأن المراد الحقيقي دون مجازهما اللغوي هو: الضلال والهدى، لأن المراد إخراج الناس من الضلال إلى الهدى، فاستعير للضلال لفظ الظلمات، وللهدى لفظ النور، لعلاقة المشابهة ما بين الضلال والظلمات.

وهذا الاستعمال _كما ترى _ من المجاز اللغوي؛ لأنه اشتمل على تشبيه حذف منه لفظ المشبه، وأستعير بدله لفظ المشبه به، وعلى هذا فكل مجاز من هذا النوع يسمى "استعارة" ولما كان المشبه به مصرحاً بذكره سمي هذا المجاز اللغوي، أو هذه الاستعارة "استعارة تصريحية" لأننا قد صرحنا بالمشبه به، وكأنه عين المشبه مبالغة واتساعاً في الكلام.

٢_ الاستعارة المكنية: وهي ما حذف فيها المشبه به، أو المستعار منه، حتى عاد مختفياً إلا أنه مرموز له بذكر شيء من لوازمه دليلاً عليه بعد حذفه.

*ومثال ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى:

---

[١٥٦] ينظر: المنهاج الواضح للبلاغة، (١/ ١٠٨).

﴿ولَمّا سكتَ عَن موسى الغَضَبُ أخَذَ الألواحَ وفي نُسخَتِها هُدىً وَرَحمةٌ...﴾ [الأعراف: ١٥٤].

ففي هذه الآية ما يدل على حذف المشبه به، وإثبات المشبه، إلا أنه رمز إلى المشبه به بشيء من لوازمه، فقد مثلت الآية (الغضب) بإنسان هائج يلح على صاحبه باتخاذ موقف المنتقم الجاد، ثم هدأ فجأة، وغير موقفه، وقد عبر عن ذلك بما يلازم الإنسان عند غضبه ثم يهدأ ويستكين، وهو السكوت، فكانت كلمة (سكت) استعارة مكنية بهذا الملحظ حينما عادت رمزاً للمشبه به.

وأظهر من ذلك في الدلالة قوله تعالى:﴿والصُّبح إذا تَنَفَسَ﴾.

فالمستعار منه هو الإنسان، والمستعار له هو الصبح، ووجه الشبه هو حركة الإنسان وخروج النور، فكلتاهما حركة دائبة مستمرة، وقد ذكر المشبه وهو الصبح، وحذف المشبه به وهو الإنسان، فعادت الاستعارة مكنية.

وهاتان الاستعارتان أعني التصريحية والمكنية نظرا فيهما إلى طرفي التشبيه في الاستعارة، وهما المشبه والمشبه به، فتارة يحذف المشبه فتسمى الاستعارة (تصريحية) وتارة يحذف المشبه به فتسمى الاستعارة (مكنية).

وهذان النوعان أهم أقسام الاستعارة وعمدتها.

يقول ابن الأثير[١٥٧]:" إنّما سمّي هذا القسم من الكلام استعارة لأنّ الأصل في الاستعارة المجازيّة مأخوذ من العارية الحقيقيّة التي هي ضرب من المعاملة وهي أن يستعيرَ النّاسُ من بعضهم شيئا من الأشياء ولا يقع ذلك إلاّ من شخصين بينهما سبب معرفةٌ وهذا الحكم جارٍ في استعارة الألفاظ بعضها من بعض.

---

[١٥٧] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، (٢/٦٢).

فالمشاركة بين اللّفظين في نقل المعنى من أحدهما إلى الآخر، كالمعرفة بين الشّخصين في نقل الشيء المستعار من أحدهما إلى الآخر.

ب) اصطلاحاً: عرّف البلاغيّون القدامى الاستعارة منذ القرن الثالث الهجريّ كما يلي:

١ـ عرفها الجاحظ بأنها "تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه[١٥٨].

٢ـ وعرفها ثعلب بأنها أن يستعار للشيء اسم غيره أو معنى سواه [١٥٩].

٣. وعرّفها أبو الحسن الرماني[١٦٠] بقوله: «الاستعارة استعمال العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة».

٤. وعرفها الجرجاني[١٦١] بقوله: ما اكتفي فيها بالاسم المستعار عن الأصل ونُقِلت العبارة فجُعِلَت في مكان غيرها.

٥ـ كما عرفها السكاكي[١٦٢] بقوله:- هي ان تذكر احد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الاخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به، دالا على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به.

٦ـ وذكر العلوي[١٦٣] أن الاستعارة هي: تصييرك الشيء الشيء وليس به، وجعلك الشيء للشيء وليس له، بحيث لا يلحظ فيه معنى التشبيه صورة ولا حكماً.

٧ـ وذكرها المبرد[١٦٤]، وقال: إنّ «العرب تستعير من بعض لبعض».

٨ـ وقال ثعلب[١٦٥]: «هو أن يستعار للشيء اسم غيره، أو معنى سواه» .

---

[١٥٨] ينظر: بيان، (١/ ١١٦).

[١٥٩] ينظر: في قواعد الشعر، (ص٢١).

[١٦٠] كتاب العمدة لابن رشيق، (٢٤١/١)،والرماني، صاحب كتاب «النكت في إعجاز القرآن».

[١٦١] الوساطة، (ص٤).

[١٦٢] مفتاح العلوم، (ص١٦٤).

[١٦٣] الطراز، (١/ ٢٠٢).

[١٦٤] الكامل، (٢٤٤/١)، وينظر: والمقتضب، (١٨٨/٣).

[١٦٥] قواعد الشعر، (ص ٤٧).

٩ـ وقال ابن المعتز[١٦٦]: إنّها «استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء عرف بها».
١٠ـ وقال العسكري[١٦٧]: إنّها «نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض».

تلك هي تعريفات الاستعارة ، ويُلاحظ الدّارس لها أنّ الاستعارة قد تطوّرت في تعريفها فكانت في أوّل أمرها تشمل المجاز بأنواعه من غير بيان العلاقة بين المستعار منه و المستعار له، ثمّ اتّضح التعريف شيئاً فشيئاً واشترطت العلاقة بالمجاورة، أو المشاكلة، أو بسبب يربط بين طرفيهما، ثمّ ذكر الغرض من استعمالها.

وقد خلط غيرُ واحد من علماء البلاغة بين الاستعارة والتشبيه، فجعلوا بعض التشبيهات استعارات و بعض الاستعارات تشبيهات، وعدّ أهل البلاغة كابن رشيق وأبي الهلال العسكريّ التشبيهَ المضمرَ الأداةِ استعارةً ؛ لأنّ التشبيه في نظرهم إنّما يتميّز بالأداة و لذا فهم يرون إنّ المفهوم من " زيدٌ أسدٌ" مثل: المفهوم من " لقيتُ الأسدَ" أو" زارني الأسدُ". وقد اعترض على ذلك القاضي الجرجانيّ في "الوساطة" ورأى أنّه ورد ما يظنّه النّاسُ استعارةً وهو تشبيه، أو مثلٌ و قد أنار إمام البلاغة الجرجانيّ هذه المسألة ووضّح الفرق بين التشبيه و الاستعارة بقوله :

" إنّ الاستعارة وإن كانت تعتمد التشبيهَ والتمثيلَ و كان التشبيهُ يقتضي ـ شيئين مشبّها ومشبّها به وكذلك التمثيلُ لأنّه كما عرفت تشبيه إلاّ أنّه عقليٌ فإنّ الاستعارة من شأنها أن تُسقِطَ ذكرَ المشبّه من البين وتطرحه وتدّعي له الاسم الموضوعَ للمشبّه به كما مضى ـ من قولك" رأيتُ زيدا" تريد رجلاً شجاعاً فاسمَ الذي هو غيرُ مشبّهٍ غيرُ مذكورٍ بوجه من الوجوه كما ترى وقد نقلتَ الحديثَ إلى اسم المشبّه به لقصدكَ أن تبالغَ."

---

[١٦٦] البديع، (ص ٢).

[١٦٧] كتاب الصناعتين، (ص ٢٦٨).

ويُجمِعُ البلاغيّون على أنّ الاستعارة ضربٌ من المجاز اللّغويّ، علاقته المشابهة، أي: لفظ استُعمل في غير ما وُضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقيّ ... فالأساس الذي تقوم عليه الاستعارة هو التشبيه، ولذلك عُدّ أصلا وعُدّتْ الاستعارة فرعًا له.

أمثلة توضيحية:

الاستعارة المكنية من القرآن الكريم والسنة وغيرهما

قال الله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾[الإسراء: ٢٤].

شبهت الآية الكريمة الذل بطائر، وهذه استعارة مكنية حيث حُذف منها المشبه به "الطائر" وذُكر المشبه "الذل" وقد ورد في الآية صفة تتعلق بالمشبه به ملازمة له وهي "الجناح" والجامع بين الذل والطائر الإحسان والتواضع.

قول الله تعالى: ﴿والصُّبْحِ إذا تَنَفَّسَ﴾[التكوير: ١٨].

وهنا شبّه الله عزّ وجل الصّبح بأنّه إنسان يتنفّس، فذكرَ المُشبّه وهو (الصّبح)، وحُذف المشبّه به وهو الإنسان، ولكن كان هناك دلالة وصفة من صفاته وهي عمليّة التنفس.

أمثلة الاستعارة المكنية من السنة النبوية:

١ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ، فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ»[١٦٨].

شبه الرسول الكريم هنا رمضان بالشخص العزيز المبارك الذي يكون لمجيئه بين المؤمنين هيبة ووقار، وهذه استعارة مكنية حيث حُذف منها المشبه به "الشخص المبارك" وذُكر المشبه "رمضان" مع ذكر صفة من صفات تتعلق بالمشبه به وهي "المجيء" والجامع بينهما ما يترتب على مجيئه من خير واحترام.

---

[١٦٨] رواه مسلم، رقم :(١٠٧٩).

٢ـ عَنْ عَبْدِ اللَّه بن عمرٍ، قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا »[١٦٩].

إنّ الاستعارة المكنية هنا بدأت من (الإسلام) وهو المشبّه، وحُذف المشبه به وهو الرجل، إذ شُبّه الإسلام بالرجل الغريب، وبقي دلالة على هذا التشبيه (بدأ غريبًا)، فشُخّص الإسلام بالكائن الحيّ والغريب في أول أمره وآخره.

أمثلة الاستعارة المكنية من الشعر العربي:

قال أبو العتاهية مهنئًا المهدي بالخلافة:

أَتَتهُ الخِلافَةُ مُنقادَةً***إِلَيهِ تُجَرِّرُ أَذيالَهـــــا

وَلَم تَكُ تَصلُحُ إِلّا لَهُ ***وَلَم يَكُ يَصلُحُ إِلّا لَها

شبّه الشاعر الخلافة بالغادة وهي الفتاة الحسناء ترتدي ثوبًا طويل الذيل، وهذه استعارة مكنية حيث حُذف منها المشبه به "الغادة" وذكر المشبه "الخلافة" ومع ذلك فقد رمز الشاعر للمشبه به برمز وصفات تدل عليه وهي قوله "أتته منقادة"، والجامع بين الخلافة والغادة بهاء المنظر والحسن.

ويقول الشاعر أحمد شوقي:

دقّاتُ قَلبُ المَرءِ قائلةٌ لَهُ ***إنّ الحَياةَ دَقائِقٌ وثَواني

الاستعارة المكنية هنا هي: أن شبّه الشاعر (دقّات القلب) بالإنسان الذي يتكلّم، إذ صرّح بالمشبه (دقات القلب)، وحذف المشبّه به (الإنسان)، وأبقى على قرينة دالّة على ذلك وهي كلمة: (قائلة).

---

[١٦٩] رواه مسلم، رقم :(١٤٦).

أمثلة عامة على الاستعارة المكنية

ـ سمعتُ العصفور يصوت.

شُبّه العصفور بالإنسان الذي يصوت وهذه استعارة مكنية؛ حيث حُذف منها المشبه به "الإنسان" وذُكر المشبه "العصفور" مع ذكر صفة مرتبطة بالمشبه به تدل عليه وهي "التصويت" والجامع بينهما الصوت الندي.

ـ رأيتُ الجندي يفترس عدوه.

شُبه الجندي بالأسد الذي يفترس فريسته، وهذه استعارة مكنية؛ حيث حُذف منها المشبه به "الأسد المفترس" وذكر المشبه "الجندي" مع ذكر صفة مرتبطة بالمشبه به وهي الافتراس، والجامع بين الجندي والأسد المفترس الشجاعة والقوة.

أهم فوائد الاستعارة:

فائدة الاستعارة تكمن في أنها تضفي على الكلام جمالاً وإبداعاً من خلال التعبير عن المعاني بأسلوب غير مباشر يعتمد على التصوير والتشبيه. وهي تساعد في إيصال الأفكار المجردة بطريقة محسوسة ومؤثرة، مما يثير خيال المتلقي ويعزز فهمه.

أهم فوائد الاستعارة:

١. توضيح المعاني المجردة: تجعل الأفكار والمفاهيم المعقدة أسهل فهماً عبر تصويرها بصور قريبة من الحس.

٢. الإيجاز والإبداع: تختصر المعاني الكبيرة بكلمات قليلة وتضفي على النصوص طابعًا مميزًا.

٣. جذب الانتباه وإثارة الخيال: تجعل القارئ أو السامع يتخيل المشهد أو المعنى، مما يزيد من تأثير النص وقيمته الأدبية.

٤. التأثير النفسي والعاطفي: تلعب دوراً كبيراً في إثارة المشاعر وتحريك العواطف من خلال الصور الحسية المبتكرة.

باختصار، الاستعارة تعزز من قوة النصوص البلاغية وتجعلها أكثر تأثيرًا وجمالاً.

الفرق بين الاستعارة المكنية و التصريحية:

١- في الاستعارة المكنية يذكر المشبه مع قرينة دالة على المشبه به المحذوف

مثال : تبتسم الأرض في الربيع.

تبتسم : هذا الفعل لم يستعمل للدلالة على معناه الحقيقي ،فالأرض لا تبتسم، وإنما المقصود تزهر الأرض...فهو استعمال مجازي.

في هذه الجملة شبهت الأرض بالإنسان، وحذف المشبه به ورمز له بقرينة تدل عليه (تبتسم)، فهذه استعارة مكنية.

لدينا : مجاز لغوي (تبتسم)+مشبه (الأرض)=استعارة مكنية .

٢- في الاستعارة التصريحية يذكر المشبه به مع قرينة دالة على المشبه المحذوف

مثال : كلمني القمر بأدب.

القمر : هذا الاسم لم يستعمل للدلالة على معناه الحقيقي، فالقمر لا يتكلم و إنما المقصود به إنسان...فهو استعمال مجازي.

في هذه الجملة شبه الإنسان بالقمر و حذف المشبه، ورمز له بقرينة تدل عليه (كلم)، وصرح بالمشبه به فهذه استعارة تصريحية.

لدينا : مجاز لغوي (القمر)+مشبه (القمر)=استعارة تصريحية .

الخلاصة:

الفرق الجوهري: هو أن الاستعارة المكنية: يحذف المشبه به ويُذكر المشبه، مع قرينة تدل عليه.

والاستعارة التصريحية: يحذف المشبه ويُذكر المشبه به مباشرة.

فكل نوع يهدف إلى إبراز الجمال الفني، وإيصال الفكرة بشكل إبداعي.

أمثلة توضيحية من القرآن الكريم على الاستعارة التصريحية

في القرآن الكريم العديد من الأمثلة على الاستعارة التصريحية، حيث يُذكر فيها المشبه به ويُحذف المشبه مع وجود قرينة تدل عليه. ومن هذه الأمثلة:

١. قوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾[الإسراء:٢٤].

المشبه: التواضع واللين.

المشبه به: الجناح (للطائر).

القرينة: الرحمة.

الاستعارة التصريحية: شُبِّه التواضع والرحمة بالجناح المخفوض، وأُبقي المشبه به: (الجناح). وحُذف المشبه.

٢. قوله تعالى: ﴿وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾[النساء: ٢٤].

المشبه: المهر.

المشبه به: الأجر.

القرينة: الزواج.

الاستعارة التصريحية: شُبِّه المهر بالأجر الذي يُعطى كحق.

٣. قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[النور:٣٥].

المشبه: الله (من حيث الهداية والإرشاد).

المشبه به: النور (مذكور).

القرينة: سياق الآية الذي يدل على الهداية.

الاستعارة التصريحية: ذُكر المشبه به (النور) وحُذف المشبه (الهداية الإلهية).

٤. قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾[الإسراء: ٧٢].

المشبه: الضلال والجهل.

المشبه به: العمى.

القرينة: في سياق الحديث عن البصيرة في الدنيا.

الاستعارة التصريحية: شُبِّه الضلال بالعمى، وذُكر المشبه به وحُذف المشبه.

ملاحظات:

هذه الأمثلة تظهر كيفية استخدام الاستعارة التصريحية في القرآن الكريم، لإيصال المعاني ببلاغة وإيجاز، مع إبراز الأثر العاطفي والفكري.

فوائد المجاز:

المجاز في اللغة والأدب له فوائد عديدة، سواء على المستوى البلاغي أو الفكري أو الجمالي. من أبرز فوائده:

١. التعبير عن المعاني بطرق مبتكرة: يساعد المجاز على نقل الأفكار والمعاني بأسلوب غير مباشر، مما يضفي طابعًا إبداعيًا على النصوص ويجذب القارئ.

٢. الإيجاز والاختصار: يمكن للمجاز أن يختزل معان كبيرة في كلمات قليلة، مما يوفر التعبير دون إطالة.

٣. إثارة الخيال: يتيح المجال للقارئ لتوسيع خياله وتأويل النصوص بطرق مختلفة، مما يعمق التفاعل مع النص.

٤. إضفاء الجمال على النص: يمنح المجاز النصوص صبغة فنية وجمالية، مما يجعلها أكثر تأثيرًا وجاذبية.

٥. التعبير عن المعاني العميقة أو الحساسة: يمكن استخدام المجاز للتعبير عن أمور يصعب الإفصاح عنها بشكل مباشر، مثل المشاعر أو الموضوعات المعقدة.

٦. إثراء اللغة: يزيد من ثراء اللغة العربية ويوسع نطاق استخدامها بإضافة طبقات جديدة من المعاني.

٧. تجنب المباشرة والصراحة المفرطة: يوفر المجاز وسيلة للتعبير بطريقة لطيفة وغير صادمة، خصوصًا في المواضيع الحساسة.

أمثلة:

قولهم: "الليل يُسدل ستاره" (مجاز عن حلول الظلام).

"فلان بحرٌ في العلم" (مجاز عن غزارة العلم).

المجاز أداة فنية رائعة تضفي عمقًا وجمالًا على اللغة وتفتح آفاقًا جديدة للفهم والتعبير.

فائدة:

اختلاف أهل العلم في "مسألة المجاز"

مسألة المجاز من المسائل الخلافية عند أهل السنة والجماعة، ومن قال بالمجاز فهو بشروطه الصحيحة، ولا يقال به في تفسير نصوص الوحي إلا عند تعذر حملها على الحقيقة، ثم هم كلهم متفقون على اتباع السلف الصالح في فهم نصوص الكتاب والسنة.

هذا عام وهذا جواب مفصل.

أنواع المجاز:

ذهب جماهير أهل العلم إلى تقسيم الكلام إلى: حقيقة ومجاز.

والمجاز عندهم على أنواع.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى[١٧٠]:

الأول: المجاز المفرد: وهو عندهم الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له لعلاقة مع قرينة صارفة عن قصد المعنى الأصلي.

---

[١٧٠] ينظر: مذكرة أصول الفقه، (ص ٨٨ - ٩٠).

والعلاقة إن كانت المشابهة، كقولك: رأيت أسداً يرمي. سمي هذا النوع من المجاز استعارةً...

وإن كانت علاقته غير المشابهة كالسببية والمسببية ونحو ذلك، سُمي مجازاً مفرداً مرسلاً كقول الشاعر:

أكلت دما إن لم أرعك بضرة *** بعيدة مهوى القرط طيبة النشر

أطلق الدم، وأراد الدية مجازاً مرسلاً علاقته السببية؛ لأن الدية المعبر عنها بالدم سببها الدم وهي مسبب له.

الثاني: المجاز المركب:

وضابطه: أن يستعمل كلام مفيد في معنى كلام مفيد آخر، لعلاقة بينهما، ولا نظر فيه إلى المفردات...

وعلاقته: إن كانت المشابهة فهو استعارة تمثيلية، ومنها جميع الأمثال السائرة والمثل يحكي بلفظه الأول...

وإن كانت علاقته غير المشابهة، سمي مجازاً مركباً مرسلاً، كقوله:

هواي مع الركب اليمانيين مصعد *** جنيب وجثماني بمكة موثق

فالبيت كلام خبري أريد به إنشاء التحسر، والتأسف؛ لأن ما أخبر به عن نفسه هو سبب التحسر والتأسف، وهو مجاز مركب مرسل، علاقته السببية؛ لأنَّه لم يقصد بهذا الخبر فائدة الخبر، ولا لازم فائدته..

الثالث: المجاز العقلي:

فالتجوز فيه في الإسناد خاصة...

كقول المؤمن: أنبت الربيع البقل.

فالربيع وإنبات البقل كلاهما مستعمل في حقيقته، والتجوز إنما هو في اسناد الإنبات إلى الربيع، وهو لله جل وعلا عند المتكلم، وكذلك هو في الواقع...

الرابع: مجاز النقص: عندهم (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ)...

جميع ألفاظه مستعملة فيما وضعت له، والتجوز من جهة الحذف المغير للإعراب.

والمجاز لا بد فيه من القرينة الصارفة للفظ من المعنى الحقيقي إلى المجاز.

قال الزركشي رحمه الله تعالى[١٧١]: " المجاز يحتاج إلى العلاقة وإلى القرينة:

فالعلاقة: هي المجوزة للاستعمال، والقرينة: هي الموجبة للحمل.

فأما القرينة: فلا بد للمجاز من قرينة تمنع من إرادة الحقيقة عقلاً، أو حساً، أو عادة أو شرعاً، ولا خلاف في أنه لا بد من القرينة، وإنما اختلفوا هل القرينة داخلة في مفهوم المجاز، وهو رأي البيانيين، أو شرط لصحته واعتباره، وهو رأي الأصوليين؟ "

ومن أمثلة ذلك:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء/٧٢]، فلفظ "الأعمى " هنا مجاز عن عدم إبصار القلوب للحق.

وقرينة ذلك؛ أن عرف الشرع في ذم العمى، وهو عدم الإبصار، هو ذم عدم إبصار القلوب للحق وإعراضها عنه.

٢ـ قال الله تعالى:﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦]، وأما عمى الأعين فلا ذم فيه كما هو معلوم من الشرع، بل صاحبه محمود إن آمن وصبر وموعود بالفضل الكبير.

---

[١٧١] البحر المحيط، (٢/١٩٢).

ثانياً: القول بنفي المجاز في القرآن:

ذهب بعض أهل العلم إلى نفي وجود المجاز في القرآن على وجه الخصوص، لأن المجاز خلاف حقيقة اللفظ، فمن قال رأيت أسداً ويريد به رجلاً شجاعاً، فنستطيع أن نصفه بأنَّه لم يقل حقاً؛ باعتبار ظاهر اللفظ، فننفي قوله، والقرآن حق بيّن، لا يمكن أن ينفى منه شيء.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى:

"واعلم أن ممن منع القول بالمجاز في القرآن الكريم، ابن خويز منداد من المالكية، وأبو الحسن الخرزي البغدادي الحنبلي، وأبو عبد الله بن حامد، وأبو الفضل التميمي، وداوود بن علي، وابنه أبا بكر، ومنذر بن سعيد البلوطي وألف فيه مصنفا، وقد بينا أدلة منعه في القرآن في رسالتنا المسماة "منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز"[١٧٢].

ومن أوضح الأدلة في ذلك:

أن جميع القائلين بالمجاز متفقون على أن من الفوارق بينه وبين الحقيقة: أن المجاز يجوز نفيه باعتبار الحقيقة، دون الحقيقة، فلا يجوز نفيها، فتقول لمن قال: رأيت أسداً على فرسه، هو ليس بأسد وإنما هو رجل شجاع.

والقول في القرآن بالمجاز يلزم منه أن في القرآن ما يجوز نفيه، وهو باطل قطعاً، وبهذا الباطل توصل المعطلون إلى نفي صفات الكمال والجلال الثابتة لله تعالى في كتابه وسنة نبيه ﷺ، بدعوى أنها مجاز كقولهم في (استوى): استولى. وقس على ذلك غيره، من نفيهم للصفات عن طريق المجاز [١٧٣]".

---

[١٧٢] مذكرة في أصول الفقه، (ص٦٩).

[١٧٣] مذكرة في أصول الفقه، (ص٦٩).

ثالثاً: القول بنفي المجاز مطلقاً:

ومن أهل العلم من نفى المجاز مطلقاً في القرآن وفي كلام العرب، ومن أشهر من قال بهذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، ومن المعاصرين الشيخ المفسر محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى.

ومن أهم ما اعتمدوا عليه ما يأتي:

الأمر الأول: أن القول بالمجاز يلزم منه العلم بأن اللفظ بداية وضع للدلالة فقط على ما يقال عنه حقيقة، ثم استعمل بعد ذلك فيما سمي بالمعنى المجازي، وهذا لا دليل عليه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

" وهذا التقسيم والتحديد يستلزم أن يكون اللفظ قد وضع أولاً لمعنى، ثم بعد ذلك قد يستعمل في موضوعه، وقد يستعمل في غير موضوعه؛ ولهذا كان المشهور عند أهل التقسيم أن كل مجاز فلا بد له من حقيقة وليس لكل حقيقة مجاز...

وهذا كله إنما يصح لو علم أن الألفاظ العربية وضعت أولا لمعان، ثم بعد ذلك استعملت فيها؛ فيكون لها وضع متقدم على الاستعمال، وهذا إنما صح على قول من يجعل اللغات اصطلاحية، فيدعي أن قوما من العقلاء اجتمعوا واصطلحوا على أن يسموا هذا بكذا وهذا بكذا، ويجعل هذا عاما في جميع اللغات. وهذا القول لا نعرف أحداً من المسلمين قاله قبل أبي هاشم بن الجبائي ...

والمقصود هنا: أنه لا يمكن أحدا أن ينقل عن العرب بل ولا عن أمة من الأمم أنه اجتمع جماعة فوضعوا جميع هذه الأسماء الموجودة في اللغة، ثم استعملوها بعد الوضع، وإنما المعروف المنقول بالتواتر استعمال هذه الألفاظ فيما عنوه بها من المعاني "[١٧٤].

---

[١٧٤] مجموع الفتاوى، (٧ /٩٠ - ٩١).

وعلى هذا يسمّي بعض أهل العلم ما يدعى بـ ـ "المجاز"، بأنه: أسلوب عربي في التعبير عن الحقيقة.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى:

" والتحقيق أن اللغة العربية لا مجاز فيها، وإنما هي أساليب عربية تكلمت بجميعها العرب، ولو كلفنا من قال بالوضع للمعنى الحقيقي أولا، ثم للمعنى المجازي ثانيا، بالدليل على ذلك؛ لعجز عن إثبات ذلك عجزاً لاشك فيه "[١٧٥].

الأمر الثاني: أن القول بالمجاز إنما هو عمدة لأهل البدع الذين تلاعبوا بمعاني الوحي، حيث أبطلوا كثيرا من معانيه باستعمال "المجاز"، فنفي المجاز فيه حفظ لعقيدة الإسلام وقطع لذرائع البدع والكفر[١٧٦].

وكسر الطاغوت الثالث الذي وضعته الجهمية، لتعطيل حقائق الأسماء والصفات، وهو طاغوت المجاز.

هذا الطاغوت لهج به المتأخرون، والتجأ إليه المعطلون، وجعلوه جُنة يتترسون بها من سهام الراشقين، ويصدون عن حقائق الوحي المبين، فمنهم من يقول: الحقيقة هي اللفظ المستعمل فيما وضع له أولاً... "[١٧٧].

ومن أهل العلم من رأى أن الخلاف بين مثبتي المجاز وبين نفاته من أهل السنة والجماعة، هو خلاف لفظي.

فما يسميه هؤلاء مجازاً، يسميه النفاة حقيقة؛ والمعنى متفق، ولذلك لا يكادون يختلفون في تفسير نصوص الوحي.

---

[١٧٥] مذكرة أصول الفقه، (ص ٩١).

[١٧٦] ينظر: مختصر الصواعق المرسلة، (ص ٢٨٥).

[١٧٧] مختصر الصواعق المرسلة، (ص ٢٨٥).

قال الشيخ عبد الرحمن المعلمي رحمه الله تعالى:

" بل يفسر هؤلاء كل ما وقع من ذلك في القرآن وغيره نحو تفسير الجمهور، إلا أنهم يأبون أن يسموا ذلك مجازا "[١٧٨].

ومثال ذلك: الآية المسؤول عنها.

فيقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي وهو من نفاة المجاز كما سبق:

في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾[الإسراء:٧٢].

المراد بالعمى في هذه الآية الكريمة: عمى القلب لا عمى العين، ويدل لهذا قوله تعالى:﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[الحج:٤٦]؛ لأن عمى العين مع إبصار القلب لا يضر، بخلاف العكس، فإن أعمى العين يتذكر، فتنفعه الذكرى ببصيرة قلبه، قال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ، أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ، أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾[عبس: ١ـ٣] "[١٧٩].

قال ابن قدامة رحمه الله تعالى:

" والقرآن يشتمل على الحقيقة والمجاز:

وهو: اللفظ المستعمل في غير موضوعه الأصلي على وجه يصح.

كقوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ﴾، ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾، ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾...

وذلك كله مجاز، لأنه استعمال اللفظ في غير موضوعه، ومن منع ذلك فقد كابر، ومن سلم وقال: لا أسميه مجازاً: فهو نزاع في عبارة لا فائدة في المشاحة فيه.[١٨٠].

---

[١٧٨] آثار الشيخ المعلمي، (١٤٥/٨).

[١٧٩] أضواء البيان، (٧٣٠/٣).

[١٨٠] روضة الناظر، (٢٠٦/١).

ومما يجعل الخلاف بين أهل السنة والجماعة خلافاً لفظياً خصوصاً في تفسير نصوص الوحي: هو أنهم متفقون على اتباع سبيل السلف الصالح في فهم نصوص الوحي التي يقال فيها بالمجاز، فيعتنون بعباراتهم ويقتفونها، لكن يختلفون فقط في طريقة بسط هذا التفسير وبيانه والتعبير عنه.

وأما منعه بحجة استدلال أهل الباطل به، فيقول المثبتون من أهل السنة والجماعة: إن ما يدعيه أهل الباطل من التأويلات الباطلة بحجة المجاز، هي تأويلات يمكن بيان بطلانها من غير إنكار لأصل وجود المجاز في القرآن ولغة العرب، بل ببيان عدم صحة المجاز فيها.

قال الشيخ عبد الرحمن المعلمي رحمه الله تعالى:

نعم، توسعت المبتدعة في دعوى المجاز، فحرفوا كثيراً من نصوص الكتاب والسنة، وزعموا أن نصوصهما لا تفيد إلا الظن. ويكفي في دحض شبهتهم بيان حقيقة المجاز، وأنه لا بد فيه مع قوة العلاقة، وحصول الفائدة: من ظهور القرينة عند المخاطب، فإن المخاطب لا يجوز أن يلقى إليه مجاز ليست قرينته ظاهرة له، وإلا كان الكلام كذباً.

وقد ذهب أكثر أهل العلم إلى أن المجمل الذي له ظاهر: لا يجوز تأخير بيانه عن وقت الخطاب، والباقون أجازوا التأخير إلى وقت الحاجة فقط.

ولا خلاف عند التحقيق في النصوص التي ينبني عليها اعتقاد، فإن وقت الحاجة فيها هو وقت الخطاب. فهذا وحده كاف لدفع ضلالات المبتدعة، كيف ومعه حجج أخرى ليس هذا محل بسطها.

والمقصود: أنه لا حاجة بأهل السنة إلى تعسف الطعن في المجاز والتشكيك فيه... "[181].

فالحاصل: أن المسألة خلافية عند أهل السنة والجماعة، ومن قال بالمجاز فهو بشروطه الصحيحة، ولا يقال به في تفسير نصوص الوحي إلا عند تعذر حملها على الحقيقة، ثم هم كلهم متفقون على اتباع السلف الصالح في فهم نصوص الكتاب والسنة.

المجاز المرسل: الشرح والأمثلة:

تعريفه:

كما تقدم معنا أن المجاز هو استعمال الكلمة في غير معناها الحقيقي لعلاقةٍ غيرِ المشابهة مع قرينةٍ مانعة من إرادة المعنى الحقيقي؛ مثل: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾ [يوسف: ٣٦]، والخمرُ لا تُعصَر؛ لأنها سائلٌ، وإنما يُعصَر العنب الذي يتحول إلى خمر، فإطلاق الخمر وإرادة العنب مجاز مرسل علاقته اعتبار ما سيكون.

الخلاصة: إن كانت العلاقة غير المشابهة فهو المجاز المرسل وعلاقته بالمعنى الأصلي

اما السببية رعينا الغيث، والأصل رعينا الزرع، وإنما الغيث سبب، وأما المسببية، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً﴾، فالنار مسببة عن أكلهم الحرام، وهو مال اليتيم الذي هو سبب دخولهم النار، نسأل الله السلامة والعافية.

علاقاته:

١- السببية: مثل: رعت الماشيةُ الغيثَ.

أي النبات؛ لأن الغيث لا يُرعَى، لكنه سبب ظهور النبات، فعُبر بالسبب (الغيث)، وأُريد المُسبب (النبات).

---

[181] آثار الشيخ المعلمي، (١٤٦/٨ - ١٤٧).

وينظر أيضاً للفائدة حول ذلك: معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة"، د. محمد حسين الجيزاني، (ص١١٠) وما بعدها.

٢- المسببية: مثل: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ [غافر: ١٣]؛ أي: مطرًا يسبب الرزق، فعبر بالمسبب (رزقًا)، وأريد السبب (المطر).

٣- الكلية: مثل: ﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ ﴾ [نوح: ٧]؛ أي: رؤوس أصابعهم وهي: الأنامل، فأطلق الكل وأريد الجزء.

٤- الجزئية: مثل: ﴿فتحرير رقبة مؤمنة ﴾ ،فكلمة: (رقبة) جزء من الإنسان، وهو مجاز مرسل علاقته الجزئية.

وكإطلاق العين على الجاسوس.

٥- المحلية: مثل: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف: ٨٢]؛ أي: أهل القرية، فذكر المحل وأريد الحالّ؛ أي: الساكن.

٦- الحالية: مثل: نزلتُ بالقوم فأكرَموني؛ أي: نزلت بمكان القوم، فذكر الحال وأريد المحل.

٧- اعتبار ما كان: مثل: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ ﴾ [النساء: ٢]؛ أي: الذين كانوا يتامى ثم بلغوا.

٨- اعتبار ما سيكون: مثل: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح: ٢٧]، والمولود حين يولد لا يكون فاجرًا كفارًا؛ أي: سيكونون كفارًا كآبائهم وأجدادهم.

٩- الآلية: مثل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ [إبراهيم: ٤]؛ حيث عبر باللسان عن اللغة؛ لأنه آلتها.

فائدة المجاز البلاغية:

١- الإيجاز والاختصار في الكلام.

٢- المبالغة البديعة في الكلام وقوة تأثيره.

٣- التفنن والتنوع في الأساليب وابتكار المعاني.

المجاز العقلي في البلاغة:

تعريفه: هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير صاحبه لعلاقة، مع قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي ولا يكون إلا في التركيب، نحو:

(١)ـ أَنبَتَ الربيعُ الزرعَ فإسناد الإنبات إلى الربيع مجازي؛ لأن المُنبِتَ الحقيقي لهذا الزرع هو الله تعالى.

(٢) ـ نهار الزاهد صائمٌ وليله قائمٌ.

علاقاته:

١- السببية، نحو: بَنى التاجر القصرَ.

فالتاجر لم يبن القصرَ بنفسه وإنما بناه عُماله وهو السبب؛ لأنه الآمر، فإسناد الفعل إليه مجاز عقلي، والقرينة يدركها العقل.

٢- الزمانية، نحو: أَنبَتَ الربيعُ العُشبَ.

فالربيع لا يُنبت الزرع وإنما هو الزمن الذي يكون فيه الإنبات.

٣- المكانية، نحو: سالت الأنهارُ والأودية.

فالأنهار والأودية أماكن وهي لا تسيل، وإنما تسيل المياه وهي مكان لها.

٤- المصدرية: كقول أبي فراس الحمداني:

سَيَذْكُرُني قومي إذا جَدَ جِدُّهُمْ *** وفي الليلةِ الظَّلْماءِ يُفْتَقَدُ البدرُ

فالفعل هنا أُسند إلى المصدر وهو الجِد لا إلى القوم الذين يكون منهم الجد.

٥- الفاعلية: مثل: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٥].

والحجاب في الأصل ساتر لا مستور، فجاء اسم المفعول مكان اسم الفاعل.

٦- المفعولية: مثل: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ [الحاقة:٢١].

والعيشة لا تَرضَى وإنما يُرضَى عنها، فأصبح اسم الفاعل موضع اسم المفعول.

الكناية في علم البلاغة في باب البيان :

تعريف الكناية، لغة، واصطلاحاً:

الكناية لغة: أن تتكلم بالشيء، وتريد غيره، وهي مصدر كنيت بكذا عن كذا، إذا تركت التصريح به وبابه رمى يرمي. وورد "كنوت" [١٨٢].

تعريفها: لفظ استعمل في غير معناه الأصلي مع جواز إرادة المعنى الأصلي [١٨٣].

مثل: عَض الراسبُ على أنامله، كناية عن الندم، ولا مانع من إرادة عض الأنامل حقيقة.

الفرق بين الكناية والمجاز:

الفرق بينهما جواز إرادة المعنى الحقيقي في الكناية لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته دون المجاز.

أقسام الكناية:

١- كناية عن صفة، أي: معنى كالكرم والشجاعة.

وضابطها: أن يُذكر الموصوف ويُراد الصفة.

مثل: قول الخنساء في وصف أخيها صخر:

طويلُ النِجادِ رَفِيعُ العِمَادِ *** كثيرُ الرَمَادِ إذا مَا شَتَا

كناية عن طول القامة، وعلو المكانة، والكرم.

٢- كناية عن موصوف: أي ذات.

وضابطها: أن تُذكر الصفة ويُراد الموصوف.

مثل: ينتج ذلك البلدُ الذهبَ الأسود، كناية عن البترول.

---

[١٨٢] المنهاج الواضح للبلاغة، لحامد عوني، (١/ ١٤٩).

[١٨٣] ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب، (٥٩/٧).

ونحو: ضربتُه في موطن الأسرار، أي القلب.

ومثله: تعلمتُ لغة الضاد، كناية عن العربية.

٣- كناية عن نسبة:

وضابطها: أن تُذكر الصفة والموصوف وتقصد نسبتها إليه.

مثال: الكرمُ في ثوب محمد.

ومنه قول الشاعر:

إِنَ السَماحَةَ وَالمروءَةَ وَالنَدى*** في قُبَةٍ ضُرِبَت عَلى ابنِ الحَشرَجِ

والكناية التي كثرت وسائطها تُسمى تلويحًا، مثل: فلان كثير الرماد، كناية عن الكرم؛ لأن صفة الكرم المرادة لا يوصل إليها إلا بعد وسائط عدة، فكثرة الرماد تدل على كثرة إحراق الحطب، وكثرة إحراق الحطب تدل على كثرة الطبخ، وكثرة الطبخ تدل على كثرة الآكلين، وكثرة الآكلين تدل على كثرة الضيفان، وكثرة الضيفان تدل على الكرم، وإن قَلَّتْ فيها الوسائط أو لم توجد، فهي إيماء أو إشارة كالأمثلة السابقة.

ومن الكناية التعريض:

وهو: أن يُطلق الكلام ويراد به معنى آخر يفهم من السياق، مثل قولك للمُؤذِي: "المسلم من سلِم المسلون من لسانه ويده"، وقولك لكثير الكلام: "إذا تم العقلُ نقص الكلام".

الفائدة البلاغية للكناية:

١- تصور المعاني في صور محسوسة ملموسة.

٢- تؤدي المعنى الكثير بقليل من اللفظ.

٣- وسيلة للتعبير عن أي أمر لا تحب أن تصرح به.

لمحات بلاغية، لبعض سور القرآن الكريم:

أولاً: سورة الفاتحة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {٢} الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {٣} مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ {٤} إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ {٥} اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ {٦} صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ {٧}﴾ [الفاتحة: ١-٧].

شرف سورة الفاتحة:

١ـ أنها أفضل سورة في القرآن، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: أَتُحِبُّ أَنْ أُعَلِّمَكَ سُورَةً لَمْ يَنْزِلْ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا ؟ قَالَ: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كَيْفَ تَقْرَأُ فِي الصَّلَاةِ ؟ قَالَ: فَقَرَأَ أُمَّ الْقُرْآنِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا صححه الألباني في صحيح الترمذي[١٨٤].

٢ـ أنها السبع المثاني التي قال الله فيها: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنْ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر:٨٧]، وعَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى رضي الله عنه أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ له: لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ الْمَسْجِدِ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ قُلْتُ لَهُ: أَلَمْ تَقُلْ لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ ؟ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ[١٨٥].

---

[١٨٤] رواه الترمذي، رقم: (٢٨٧٥).

[١٨٥] رواه البخاري، رقم: (٤٤٧٤).

التحليل البَلاَغَي:

١- { ٱلْحَمْدُ للَّهِ } الجملة خبرية لفظاً إنشائية معنىً، أي: قولوا: "الحمد لله" وهي مفيدة لقصر الحمد عليه تعالى كقولهم: الكرم في العرب.

٢ - قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فيه إلتفات من الغيبة إلى الخطاب ولو جرى الكلام على الأصل لقال: إيّاه نعبد، وتقديم المفعول يفيد القصر أي لا نعبد سواك كما في قوله: ﴿ وَإِيَّايَ فارْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠].

٣- قال في البحر المحيط: وفي هذه السورة الكريمة من أنواع الفصاحة والبلاغة أنواع:

الأول: حسن الافتتاح وبراعة المطلع.

الثاني: المبالغة في الثناء لإفادة "أل" الاستغراق.

الثالث: تلوين الخطاب إذ صيغته الخبر ومعناه الأمر أي قولوا الحمد لله.

الرابع: الاختصاص في قوله { للَّه }

الخامس: الحذف كحذف صراط من قوله { غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِم } تقديره غير صراط المغضوب عليهم وغير صراط الضالين.

السادس: التقديم والتأخير في { إِيَّاكَ نَعْبُدُ }.

السابع: التصريح بعد الإبهام { ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ } ثم فسره بقوله: { صِرَاطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}.

الثامن: الالتفات في {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}.

التاسع: طلب الشيء والمراد به دوامه واستمراره في { ٱهْدِنَا ٱلصِّرَاطَ }، أي: ثبتنا عليه.

العاشر: السجع المتوازي في قوله: { ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ * ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ } وقوله { نَسْتَعِينُ * * ٱلضَّآلِّينَ }.

الفوَائِد:

الأولى: الفرق بين { الله }،و { الإله } أن الأول: اسم علم للذات المقدسة ذات الباري جل وعلا ومعناه: المعبود بحق، والثاني: معناه المعبود بحقٍ أو باطل فهو اسم يطلق على الله تعالى وعلى غيره.

الثانية: وردت الصيغة بلفظ الجمع "نعبد ونستعين" ولم يقل "إِياك أعبد وإِياك أستعين" بصيغة المفرد وذلك للإعتراف بقصور العبد عن الوقوف في باب ملك الملوك فكأنه يقول: أنا يا رب العبد الحقير الذليل، لا يليق بي أن أقف هذا الموقف في مناجاتك بمفردي، بل أنضم إلى سلك المؤمنين الموحّدين فتقبل دعائي في زمرتهم فنحن جميعاً نعبدك ونستعين بك.

الثالثة: نسبَ النعمة إلى الله عز وجل { أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ }، ولم ينسب إليه الإضلال والغضب فلم يقل: غضبتَ عليهم أو الذين أضللتَهم وذلك لتعليم العباد الأدب مع الله تعالى، فالشر لا ينسب إلى الله تعالى أدباً وإِن كان منه تقديراً "الخير كله بيديك والشر لا ينسب إليك".

لمحات بلاغية من آية الكرسي

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾[البقرة: ٢٥٥]

البَلاغة على جهة العموم:

١- في آية الكرسي أنواعٌ من الفصاحة وعلم البيان منها حسنُ الافتتاح؛ لأنها افتتحت بأجل أسماء الله تعالى، وتكرار اسمه ظاهراً ومضمراً في ثمانية عشر موضعاً، والإطناب

بتكرير الصفات، وقطعُ الجمل حيث لم يصلها بحرف العطف، والطباقُ في { مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ } أفاده صاحب البحر المحيط.

التفصيل:

آية الكرسي: هي أعظم آية في كتاب الله مخصصين هذه السطور لإشاراتها البلاغية:

أول ما يطالعك من بلاغة الآية الكريمة:

روعة استهلالها، فقد بدأت بداية هي خير ما قاله النبيون: (كلمة التوحيد)، بعد اسمه ذي الجلال والإكرام، ثم إذا ختمت الآية وجدت عظمة الخاتمة؛ إذ العلو والعظمة: هما الصفتان المناسبتان لخالق السموات والأرض ومالكهما.

والأمر الثاني: الذي يشنف السمع من القراءة الأولى، هو هذا الانسجام المطرب المعجب بين الحروف، فأكثر الحروف فيها هو اللام ثم الميم، ثم حروف المد وحروف الحلق، وهذه المذكورة هي أعذب الحروف مخارج وأكثرها شيوعاً في الكلام الفصيح البليغ.

أما الحروف ذات المخارج المضخمة كحروف الاستعلاء وهي: (الخاء، والصاد، والضاد، والظاء، والغين، والطاء، والقاف)، فإن أي حرفٍ منها إذا كررته مرتين بدون فاصل شعرت برهق كبير، كما في كلمة: نقاخ، بمعنى عذب، وفي كلمة: يقق بمعنى شديد البياض، وعقنقل بمعنى كثيب، وقد وردت بعض هذه الحروف في الآية ولكن نلاحظ أنها وردت في كلمات قليلة، وقد انسجمت مع حروفها انسجاما عجيبا، فترى الحرف منها واقعا بين حرفين كلاهما بعيد المخرج عن مخارج حروف الاستعلاء، مثل كلمة: القيوم التي وقعت فيها القاف بين اللام والياء، وكلاهما بعيد المخرج عن مخرج القاف، ومثلها: الأرض، وكلمة خلقهم، ويحيطون، وحفظهما، والعظيم، فإن حرف الاستعلاء في هذه الكلمات سهل النطق جدا؛ لأن الحروف المحيطة به بعيدة المخارج عن مخرجه.

أما الأمر الثالث: فهو بلاغة الإيجاز المعجز في كل مقطع من مقاطعها، بل إن بعض الكلمات لها ظلال ممتدة، حتى إن الكلمة الواحدة تحتاج إلى عدة صفحات لشرح مدلولها وظلالها، مثل كلمة: القيوم، ومعناها: القائم على حفظ كل مخلوق في السموات والأرض وما بينهما والذي لا يقوم أي مخلوق إلا بقدرته، ومثل كلمة: الحي، إذ الحياة التي يتصف بها الله جلّ وعلا، لا يحدها زمان ولا مكان، فلا بداية لها ولا نهاية ولا يعتريها زوال ولا عدم، أما العبارات الموجزة أو المقاطع، فجميع مقاطع الآية غاية في الإيجاز البليغ.

﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: كلمات قلائل قررت مبدأ التوحيد الخالص المصفى من جميع لوثات الشرك، لقد أغنت هذه الكلمات عن نفي كل أنواع الشرك في الديانات القديمة، وجميع أنواع الآلهة من نجوم وحيوانات وشمس، وملائكة ونار وحجارة وآلهة وهميين يتصارعون في خرافات!

﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾: إيجاز عن كناية عظيمة مترامية أطراف المعنى؛ فيهما إذ النعاس والنوم يتعارضان مع تدبير السموات والأرض، وكل ما فيهما من خلائق، وقد روى أن موسى عليه السلام سأل: هل ينام ربنا؟

فأراد الله أن يعلمه الجواب عملياً فأمره أن يحمل قارورتين، في كل يد قارورة ثم سلط عليه النوم فصحا وقد اصطدمت القارورتان إحداهما بالأخرى، ففهم أن الله جل وعلا لا ينعس ولا ينام، وإلا لاصطدمت السموات بالأرض.

﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: إيجاز شمل كل مخلوقات الله. ثم في تكرار كلمة: ما، تأكيد لشمولية الملك.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، أي: علم ما كان من القضاء والقدر والحوادث، كما يعلم ما هو كائن للخلائق إلى الأبد، وشرح هذا العلم المطلق يطول ويتطلب مجلدات، وفي تكرار كلمة: ما، توكيد للعلم عظمته وشموليته.

ومن أبلغ الإشارات البيانية في الآية الكريمة هذا الاستفهام البديع في قوله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾؟؟ وهو استفهام يحمل معنى النفي والإنكار والاستحالة، والعبارة كناية عن عدة صفات من صفات الله العلا، منها:

١ـ المهابة التي لا يتحرك معها لسان إزاء عظمتها، ومنها انفراد الله جل وعلا بالشفاعة، أو العقوبة.

٢ـ العلم المحيط الدقيق بأعمال العباد، وهو علم يجعل الشفاعة لا تمنح إلا لمن ارتضى رب العباد، ومنها القهر الإلهي من فوق كل الشركاء الذين عبدهم الكفار ليشفعوا لهم ويقربوهم إلى الله.

وفي قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ تعبير عن الكنايات المدهشة التي تعجز العقل أن يحيط بمراميها كاستواء الله على العرش، ونزوله في الثلث الأخير من الليل ووضع قدمه في النار يوم القيامة حتى تقول: قط قط... إلى أخر ذلك، وإذ ذاك لا يملك العقل إلا أن يقول ما قال السلف: الاستواء حق والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة، ومثل هذه الكناية قوله تعالى في سورة الزمر: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧].

ومن المواضع البلاغية أن كلمتي العلي والعظيم جاءتا معرفتين، والتعريف في مثل هذه العبارة يفيد القصر أو الحصر، كما تقول: أخوك الناجح فتعني أنه الوحيد، وأن النجاح مقصور عليه، ولو قلت: أخوك ناجح بالتنكير لما أفاد حصراً ولا قصرا؛ ولهذا جاء الاسمان الكريمان معرفين ليكون المعنى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾، أي: المتفرد بالعلو والعظمة، فالعلو والعظمة قصر عليه سبحانه، لا عظيم ينهض لعظمته، ولا عالي يرقى لعلوه.

أسأل الله لنا ولكم إيماناً لا يشوبه شك، وتسليماً لا يخالطه تساؤل، وعبادة متقبلة يزكيها الإخلاص والتقوى.

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥)لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾[البقرة: ٢٨٥ - ٢٨٦]

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بيْنَما جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النبيِّ ﷺ، سَمِعَ نَقِيضًا مِن فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقالَ: هذا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ اليومَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إلَّا اليَومَ، فَنَزَلَ منه مَلَكٌ، فَقالَ: هذا مَلَكٌ نَزَلَ إلى الأرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إلَّا اليَومَ، فَسَلَّمَ، وَقالَ: أَبْشِرْ بنُورَيْنِ أُوتِيتَهُما لَمْ يُؤْتَهُما نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ البَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بحَرْفٍ منهما إلَّا أُعْطِيتَهُ[١٨٦].

وفي الحديثِ: بَيانُ عِظَمِ مَكانةِ سُورةِ الفاتِحة وخَواتيمِ سُورةِ البقرة، والحثُّ على قِراءتِهما.

وفيه: بَيانُ أنَّ مِن الملائكةِ رُسلًا إلى الأنبياءِ غيرَ جِبريلَ.

وفيه: بَيانُ كَرامةِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم على ربِّه، حيث أكرَمَه بما لم يُكرِمِ الأنبياءَ الَّذين قبْلَه، فأعطاهُ هَذينِ النُّورين.

وفيه: إثباتُ الأبوابِ للسَّماءِ، وأنَّها تُفتَحُ وتُغلَقُ، وأنَّ بعضَ الملائكةِ لا يَنزِلُ إلى الأرضِ إلَّا لمِثلِ هذه البِشارةِ.

[١٨٦] رواه مسلم، رقم: (٤٥٤).

الملامح البَلاَغَة:

١- تضمنت الآية من أنواع الفصاحة وضروب البلاغة أشياء منها: "الطباق" في قوله: { وَإِن تُبْدُواْ... أَوْ تُخْفُوهُ } وبين "يغفر" و "يعذب" ومنها الطباق المعنوي بين { كَسَبَتْ } و { ٱكْتَسَبَتْ }؛ لأن كسب في الخير واكتسب في الشر.

٢- ومنها الجناس ويسمى جناس الاشتقاق في قوله: ﴿آمَنَ... وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

٣- ومنها الإطناب في قوله﴿ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾.

٤- ومنها الإيجاز بالحذف في قوله { وَٱلْمُؤْمِنُونَ } أي آمنوا بالله ورسله ومواضع أخرى.

فَائِدَة: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: "من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلةٍ كفتاه" أخرجه البخاري وفي رواية لمسلم "أن ملكاً نزل من السماء فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: أبشرْ بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبيٌّ قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ حرفاً منهما إلا أوتيتَه"[١٨٧].

لمحات بلاغية من سورة الشرح

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤)فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً (٦)فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٧) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ (٨)﴾

اذا ضاقت بك الدنيا ففكر في ألم نشرح.

فعسر بين يسرين متى تذكرهما تفرح.

[١٨٧] رواه البخاري، رقم: (٢٤١).

التحليل البَلاَغي:

تضمنت السورة الكريمة وجوهاً من البيان والبديع نوجزها فيما يلي:

١- الاستفهام التقريري للامتنان والتذكير بنعم الرحمن { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ.. } الخ.

٢- الاستعارة التمثيلية { وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * ٱلَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ } شبَّه الذنوب بحمل ثقيل يرهق كاهل الإنسان ويعجز عن حمله بطريق الاستعارة التمثيلية.

٣- التنكير للتفخيم والتعظيم { إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْراً } نكر اليسر للتعظيم كأنه قال يسراً كبيراً.

٤- الجناس الناقص بين لفظ { اليُسْر } و{ ٱلْعُسْر }.

٥- تكرير الجملة لتقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب { فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْراً } ويسمى هذا بالإطناب.

٦- السجع المرصَّع مراعاة لرءوس الآيات { فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ } ومثلها { وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ* الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ } وهو من المحسنات البديعية.

لابد من فرج قريب آت***ينسي القلوب مرارة النكبات

ويعيد بهجتها سرورا عامرا***فترى الوجوه تفيض بالبسمات

وعد من الرحمن بشرنا به***فاقرأ " ألم نشرح " من الآيات "

لمحات بلاغية من سورة الاخلاص:

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١)اللَّهُ الصَّمَدُ (٢)لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣)وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ (٤) ﴾

ومن فوائد هذه السورة الكريمة:

أوَّلا: إثبات وحدانية الله جلَّ وعلا والردُّ على اليهود، والنصارى الذين يجعلون له الوَلَدَ؛ قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠].

ثانيًا: أن هذه السورة اشتملت على اسم الله الأعظم، الذي إذا سُئل به أعطى، وإذا دُعِيَ به أجاب.

فعن عبدالله بن بُرَيْدَة، عن أبيه رضي الله عنه: أَنَّ النبيَّ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم سمع رجلاً يقول: اللَّهُمَّ إِنِّي أسألُكَ أَنِّي أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كُفُوًا أحد، فقال: « لقد سألتَ الله بالاسم الذي إذا سُئل به أعطى، وإذا دُعيَ به أجاب» [١٨٨].

ثالثًا: استحباب قراءتها عند المبيت؛ كما تقدم من فعله عليه الصلاة والسلام وقراءتها أيضًا صباحًا ومساءً ثلاث مرات.

عن عبدالله بن خُبَيْب رضي الله عنه أنه قال: خرجنا في ليلةِ مَطَرٍ وَظُلْمَةٍ شديدةٍ، نطلب رسولَ الله ﷺ ليصلِّيَ لنا، فأدركناهُ، فقال: ((أَصَلَّيْتُمْ؟)) فلم أَقُلْ شيئًا، فقال: ((قُلْ))، فلم أَقُلْ شيئًا، ثم قال: ((قُلْ))، فلم أَقُلْ شيئًا، ثم قال: ((قُلْ))، فقلت: يا رسول الله، ما أقولُ؟ قال: ((قل هو الله أحد، والمعوِّذتين، حين تُمْسي وحين تُصبِح، ثلاثَ مرَّاتٍ، تكفيكَ من كلِّ شيءٍ))

يارب حمداً ليس غيرك يحمدُ***يامن له كل الخلائق تصمدُ

أبواب كل مُمَلَّكٍ قد أوصدت***ورأيتُ بابك واسعاً لا يوصدُ

قال ابن كثير في تفسيره: «عن ابن عباس رضي الله عنهما والسيد الذي كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والعليم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه، هذه صفته لا تنبغي إلا له، ليس

---

[١٨٨] رواه أبو داود، رقم: (١٤٩٣).

له كفء، وليس كمثله شيء، سبحان الله الواحد القهار.» وقال القرطبي:[٣٨] «الله الصمد أي الذي يصمد إليه في الحاجات.».

وهو الإله السيد الصمد الذي***صمدت إليه الخلق بالإذعان

الكامل الأوصاف من كل الوجوه ***كماله ما فيه من نقصـــا[١٨٩].

البَلاَغَة: تضمنت السورة الكريمة وجوهاً من البديع والبيان نوجزها فيما يلي:

١- ذكر الاسم الجليل بضمير الشأن { قُلْ هُوَ } للتعظيم والتفخيم.

٢- تعريف الطرفين { ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ } لإفادة التخصيص.

٣- الجناس الناقص { لَمْ يَلِدْ } { وَلَمْ يُولَدْ } لتغير الشكل وبعض الحروف.

٤- التجريد فإن قوله تعالى { قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ } يقتضي نفي الكفء والولد، وقوله { وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ } هو تخصيص الشيء بالذكر بعد دخوله في العموم وذلك زيادة في الايضاح والبيان.

٥- السجع المرصَّع وهو من المحسنات البديعية { قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ }.

لطيفَة: هذه السورة الكريمة مؤلفة من أربع آيات، وقد جاءت في غاية الإيجاز والإعجاز، وأوضحت صفات الجلال والكمال، ونزهت الله جل وعلا عن صفات العجز والنقص، فقد أثبتت الآية الأولى الوحدانية، ونفت التعدد { قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ } وأثبتت الثانية كماله تعالى، ونفت النقص والعجز { ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ } وأثبتت الثالثة أزليته وبقاءه ونفت الذرية والتناسل { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ } وأثبتت الرابعة عظمته وجلاله ونفت الأنداد والأضداد { وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ } فالسورة إثبات لصفات الجلال والكمال، وتنزيه للرب بأسمى صور التنزيه عن النقائص.

---

[١٨٩] قال ابن القيم أيضًا في نونيته:(ص٣٩).

فَائِدَة: قال النبي ﷺ أنه قال: "من قرأ { قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ } فكأنما قرأ بثلث القرآن" قال العلماء: وذلك لما تضمنته من المعاني والعلوم والمعارف، فإن علوم القرآن ثلاثة: "توحيد، وأحكام وقصص" وقد اشتملت هذه السورة على التوحيد، فهي ثلث القرآن بهذا الاعتبار، وقيل: إن ذلك في الثواب أي لمن قرأها من الأجر مثل أجر من قرأ ثلث القرآن، والله أعلم.

لمحات بلاغية من سورة الفلق

بسم الله الرحمن الرحيم

{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ}.

لاشك أنه من الأهمية معرفة فضل سورة الفلق ، ففيها زيادة للحرص ومن ثم الاغتنام، ولأنها من سور القرآن الكريم -كلام الله تعالى - ورغم أنها سورة قصيرة من خمس آيات ، إلا أن كثرة الوصايا النبوية الشريفة والنصوص الواردة عن رسول الله -ﷺ - بالحرص عليها فيها دلالة على عظيم فضل سورة الفلق ، والذي لا ينبغي تفويته بأي حال من الأحوال.

وحتوت سورة الفلق على مقاصد وحكمٍ جليلةٍ؛ ففيها تربيةٌ ربانيةٌ ليستعيذ المسلم بالله -تعالى- من أسباب المخاوف والهواجس، والشرور الظاهرة والباطنة، وذلك بالاعتماد على قدرة الله -عزّ وجلّ- ونبذ ما سواه، فهو خالق الكون ومدبّره، يقول الله -تعالى- : (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ*مِن شَرِّ مَا خَلَقَ)، والفلق هو: الصُبح، فالله تعالى يعلم عباده

سورة الفلق اللجوءَ إليه، والاستعانةَ به -عزّ وجلّ- من كلّ الشرورِ والمخاوف، وفيها أيضاً استعاذةٌ بالله -تعالى- من ظلمة الغاسق، أي: الليل، وورد في بعض التفاسير أنّ الغاسق إذا وقب هو: القمر إذا دخل في الكسوف، قال -تعالى-: (مِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ)، وفي السورة

كذلك استعاذةٌ بالله -عزّ وجلّ- من شر السحرة والحسدة، قال -تعالى-: (وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ*وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ)

مَن ألوذ به فيما أؤمله *** ومَن أعوذ به مما أحاذره

لا يجبرُ الناسُ عظماً أنت كاسرُه *** ولا يهيضون عظماً أنت جابره.

معنى يهيضون: يكسرون.

تضمنت السورة الكريمة وجوهاً من البديع والبيان نوجزها فيما يلي:

١- الجناس الناقص بين { فَلَقِ } و{ خَلَقَ }.

٢- الإطناب بتكرار الاسم { شَرِّ } مراتٍ في السورة { مِن شَرِّ مَا خَلَقَ } { وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ } { وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَاتِ } الخ تنبيهاً على شناعة هذه الأوصاف.

٣- ذكر الخاص بعد العام للاعتناء بالذكور { مِن شَرِّ مَا خَلَقَ } فإنه عموم يدخل تحته شر الغاسق، وشر النفاثات، وشر الحاسد.

٤- جناس الاشتقاق بين { حَاسِدٍ } و{ حَسَدَ }.

٥- توافق الفواصل مراعاة لرءوس الآيات.

لمحات بلاغية من سورة الناس

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ (١) مَلِكِ ٱلنَّاسِ (٢) إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ (٣) مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ (٤) ٱلَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ (٥) مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ (٦)﴾

سورة الناس فيها الاستجارة والاحتماء برب الارباب من شر أعدى الأعداء، إبليس وأعوانه من شياطين الإنس والجن، الذين يغوون الناس بأنواع الوسوسة والإغواء

وقد ختم الكتاب العزيز بالمعوذتين وبدأ بالفاتحة، ليجمع بين حسن البدأ، وحسن الختم، وذلك غاية الحسن والجمال، لأن العبد يستعين بالله ويلتجأ إليه، من بداية الأمر إلى نهايته

إثبات الوحدانية لله تعالى تثبت سورة الناس توحيد الربوبية، حيث أنّ الله -تعالى- رب كل شيء، ومالك كل شيء، حيث قال الله -تعالى-: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ)، كما أنّها تثبت توحيد الألوهية حيث أنّ الله -تعالى- وحده من يستحق العبادة والخلق كلهم عبيده حيث قال الله -تعالى-: (إِلَـهِ النَّاسِ). الاستشفاء والرقية بها ثبت عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- أنّ رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- كان يعمد إلى قراءة سورة الناس وسورة الفلق وسورة الإخلاص حال مرضه، حيث قالت: (أَنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كانَ إذا اشْتَكَى يَقْرَأُ علَى نَفْسِهِ بالمُعَوِّذاتِ ويَنْفُثُ، فَلَمَّا اشْتَدَّ وجَعُهُ كُنْتُ أقْرَأُ عليه وأَمْسَحُ بيَدِهِ رَجاءَ بَرَكَتِها) كما ويستحبّ تعويذ المسحورين بها. الكفاية بها من السوء والشر حثّ رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- على قراءة المعوذات وهي سورة الناس، وسورة الفلق، وسورة الإخلاص، في الصباح والمساء ثلاث مرات؛ لما فيهنّ من حفظ العبد وكفايته من الشر والسوء وكل شيء، وقد دلّ على ذلك ما ثبت عن عبد الله بن خبيب -رضي الله عنه- قال: (خرجنا في ليلةِ مَطَرٍ وظُلْمَةٍ شديدةٍ نطلبُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم لِيُصليَ لنا ، فأدركناه ، فقال : أصليتم ؟ فلم أقلْ شيئًا ، فقال : قلْ . فلم أقلْ شيئًا ، ثم

قال : قلْ. فلم أقلْ شيئًا ، ثم قال : قلْ : فقلتُ : يا رسولَ اللهِ، ما أقولُ ؟ قال : قل هو الله أحد والمُعَوِّذَتين حينَ تُمسي وحينَ تُصبحُ ثلاثَ مراتٍ تُكفيك مِن كلِّ شيءٍ) كما أنّه يستحب قراءة المعوذات ثلاث مرات حال المبيت اذا أوى العبد إلى فراشه، وقد دلّ على ذلك ما ثبت عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت: (أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم كانَ إذا أوَى إلى فِراشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَع كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِما، فَقَرَأَ فِيهِما: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، و{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ}، و{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ}، ثُمَّ يَمْسَحُ بهِما ما اسْتَطاعَ مِن جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بهِما علَى رَأْسِهِ ووَجْهِهِ وما أقْبَلَ مِن جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذلكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ).[الوصية بها كان رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- قد أوصى أصحابه بالمواظبة على قراءة المعوذتين، وقد دلّ على ذلك ما ثبت عن عقبة بن عامر -رضي الله عنه- قال: (بينا أنا أسيرُ معَ رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ بينَ الجحفَةِ والأبواءِ إذ غشِيتنا ريحٌ وظُلمةٌ شديدةٌ فجعلَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ يتعوَّذُ ب{ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ } و{ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ } ويقولُ يا عقبةُ تعوَّذْ بهما فما تعوَّذَ متعوِّذٌ بمثلِهما).

تضمنت السورة الكريمة وجوهاً من البديع والبيان نوجزها فيما يلي:

١- الإضافة للتشريف والتكريم { أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ } وفي الآيتين بعدها.

٢- الأطناب بتكرار الاسم { رَبِّ ٱلنَّاسِ * مَلِكِ ٱلنَّاسِ* إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ } زيادة في التعظيم لهم، والاعتناء بشأنهم، ولو قال (ملكهم، إلههم) لما كان لهم هذا الشأن العظيم.

٣- الطباق بين { ٱلْجِنَّةِ } و{ ٱلنَّاسِ }.

٤- جناس الاشتقاق { يُوَسْوِسُ..و.. ٱلْوَسْوَاسِ } ثم ما في السورة من الجرس الموسيقي، الذي يفضل الألحان بعذوبة البيان، وذلك من خصائص القرآن.

تنبيه: عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى فراشه جمع كفيه ونفث فيهما وقرأ { قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ } والمعوذتين، ثم مسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ برأسه ووجهه وما أقبل من جسده

تم الكلام وربنا محمود**وله المكارم والعلا والجود

وعلي النبي محمد صلاوته***ماناح قمري واورق عود

نصيحة لمحبي علم البلاغة

كيفية التدرج في تعلّم البلاغة:

أولاً وقبل كل شيء على طالب تعلم البلاغة إتقان النحو بدرجة ٧٥٪، لأن شيخ البلاغيين الجرجاني يقول عن النظم: "واعلم أن النظم هو أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه". وعرفه مرة أخرى فقال: "اعلم أن النظم هو توخي معاني النحو". فمن أتقن علم النحو سهُل عليه علم المعاني، والصعوبة التي يجدها دارس علم المعاني أو حتى القارئ فيه، مكمنها ضعفه في علم النحو.

سلّم تعلّم البلاغة:

- قراءة كتاب (البلاغة الواضحة) لعلي الجارم، ومصطفى أمين، مع العمل على التمرينات.

أو: " دروس البلاغة " تأليف: حفني ناصف، ومحمد دياب، وسلطان محمد، ومصطفى طموم.

أو: البيان والمعاني والبديع، للدكتور عبد الفتاح لاشين، وهي كتب كلها منشورة مطبوعة رخيصة الثمن غالية القدر، وذات طابع مدرسي.

- تلخيص كتاب (جواهر البلاغة)، للسيد هاشمي.

البلاغة فنونها وأفنانها، للدكتور فضل حسن عباس.

- الكافي في علوم البلاغة، للدكتور: عيسى الكاعوب وزميله.

- كتب الدكتور بسيوني عبد الفتاح فيّود، (علم المعاني /البيان / البديع).

- [الحفظ] (الجوهر المكنون) مع دراسة شرحه (حلية اللب المصون).

ثم وللتوسع في البلاغة:

· قراءة متن (التلخيص بشرح البهاء السبكي)، و(الشرح المختصر للسعد).

- ثم: نظم مائة المعاني، والبيان لابن الشحنة.

- ثم ينتقل الطالب إلى دراسة نظم "الجوهر المكنون" للأخضري.

- ثم ينتقل إلى دراسة "عقود الجمان"، ويمكن الاكتفاء بالجوهر المكنون.

- ثم يكثر بعد ذلك من القراءة في كتب البلاغة للمتقدمين، وكتب الأدب حتى تقوى ملكتة العلمية، ويهتم بالكتب التي تطرقت للبلاغة القرآنية.

- وهناك كتابٌ قيمٌ أنصحُ به، وهو: (تربيةُ الذوق البلاغي عند عبدالقاهر الجرجاني)، للدكتور عبدالعزيز عبد المعطي عرفة، وهو كتاب قيمٌ يؤرخ لتذوق البلاغة، والمستوى الذي وصلت إليه دراسة البلاغة، والجانب الذوقي منه على يد عبد القاهر الجرجاني، فهذا جانب مهم من جوانب التذوق للبلاغة القرآنية، يكون رديفاً للدراسة التي أوصيتك بها.

- واقرأ (إشارات الإيجاز في مظان الإعجاز)، للنورسي لترى كيف يوظف المسائل النحوية التي يظن البعض أنها مما لا فائدة فيه، ويستنبط منها إشارات بلاغية دقيقة.

وختاما فمفاتيح علوم البلاغة:

علم المعاني مفتاحه: النحو.

علم البيان مفتاحه: الأدب.

علم البديع مفتاحه: المعاجم وفقه اللغة.

وعليه فقبل أن تدخل لرحاب البلاغة تفيأ أولاً تحت ظلال وسائلها.

الخاتمة، نسأل الله حسن الخاتمة :

إخواني الطلاب الباحثون عن علم اللغة العربية، لغة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لقد وفقني في كتابة هذا البحث المتواضع، وسميته:

(فتح الرحمن في تسهيل المعاني والبديع والبيان)

تفاؤلاً بفتح الله لنا في علوم البلاغة وغيرها من علوم الشريعة الإسلامية الغرَّاء المباركة

وقد فتح علينا والحمدلله ***وتفائلا برحمة الله ولطفه وعونه

سيفتحُ اللهُ باباً كنتَ تحسبهُ***من شدة اليأسِ لم يخلق بمفتاحِ

الحمدلله كثيراً طيباً مباركا فيه:

فلك المحامد والمدائح كلها ***بخواطري وجوارحي ولساني

ولقد مننت علي ربِّ بأنعم ***مالي بشكر أقلهن يدانِ

وهذا تخليص لما مربنا:

علم البلاغة: هو أحد علوم اللغة العربية التي تهدف إلى تحسين التعبير وإثراء المعاني من خلال التركيز على الجانب الجمالي والتأثيري في النصوص. يتكون علم البلاغة من ثلاثة فروع رئيسية:

١. علم المعاني: يركز على مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

يهتم باستخدام الأساليب المختلفة لتحقيق الغرض من الكلام، مثل:

الإيجاز: التعبير عن المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة.

الإطناب: توضيح المعنى بزيادة في الألفاظ عند الحاجة.

التقديم والتأخير: لتوضيح أو إبراز الأهمية.

٢. علم البيان: يبحث في الطرق المختلفة للتعبير عن المعنى الواحد بأساليب متعددة، مثل:

التشبيه: مقارنة بين شيئين باستخدام أداة التشبيه (مثل، كـ، يشبه).

الاستعارة: تشبيه ضمني بحذف أحد طرفيه: (المشبه، أو المشبه به).

المجاز: استخدام الكلمة في غير معناها الأصلي لعلاقة معينة.

الكناية: التعبير عن معنى بطريقة غير مباشرة مع فهم المقصود.

٣. علم البديع: يهتم بتحسين الكلام جمالياً، ويشمل نوعين:

المحسنات اللفظية: تحسين جمالية النص باستخدام جرس الألفاظ، مثل:

الجناس: توافق كلمتين في اللفظ واختلافهما في المعنى.

السجع: توافق الفواصل في الحروف.

المحسنات المعنوية: تعزيز المعنى، مثل:

الطباق: الجمع بين الشيء وضده.

المقابلة: الجمع بين فكرتين متقابلتين.

أهداف البلاغة:

١ـ تحسين التعبير وجعله أكثر تأثيراً.

٢ـ إيصال المعاني بدقة ووضوح.

٣ـ إظهار جمال اللغة وثرائها.

أهمية البلاغة:

١ـ تُستخدم في الكتابة الإبداعية والخطابة.

٢ـ تعزز فهم النصوص الأدبية والقرآنية.

٣ـ تُثري الذوق الفني للمتلقي.

والحمدلله أولاً وآخراً

وصلى الله على نبينا محمد الأمين البشير النذير والسراج المنير

صلى عليك الله يا علم الهدى ***واستبشرت بقدومك الأيامُ

هتفت لك الأرواح من أشواقها ***وازينـــت بحديثك الأقلامُ

بين ظهر وعصر الثلاثاء من شهر رجب

١٤رجب ١٤٤٦هـ.

أهم المراجع البلاغية

١. أساليب بلاغية، الفصاحة - البلاغة - المعاني المؤلف: أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي الرفاعي الناشر: وكالة المطبوعات - الكويت الطبعة: الأولى، ١٩٨٠ م عدد الصفحات: ٣٠٣ .

٢. أسرار البلاغة المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت ٤٧١هـ) قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة عدد الصفحات: ٤٢٣

٣. أسرار البلاغة فى علم البيان المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت ٤٧١ هـ) المحقق: عبد الحميد هنداوي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م عدد الصفحات: ٢٩٦

٤. الأسلوب المؤلف: أحمد الشايب الناشر: مكتبة النهضة المصرية الطبعة: الثانية عشرة ٢٠٠٣ عدد الصفحات: ٢٠٦ .

٥. البديع عند الحريري المؤلف: محمد بيلو أحمد أبو بكر الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الطبعة: رجب - ذو الحجة ١٤٠٠ هـ عدد الصفحات: ٣١٥.

٦. البديع في البديع المؤلف: أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي (ت ٢٩٦هـ) الناشر: دار الجيل الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٧. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة المؤلف: عبد المتعال الصعيدي (ت ١٣٩١ هـ) الناشر: مكتبة الآداب الطبعة: السابعة عشر- ١٤٢٦ هـ-٢٠٠٥ م عدد الأجزاء: ٤.
٨. البلاغة ٢ - المعاني كود المادة: LARB المرحلة: بكالوريوس المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية الناشر: جامعة المدينة العالمية عدد الصفحات: ٥١٩
٩. البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع المؤلف: حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق الجناجيُ رئيس قسم البلاغة بجامعة الأزهر (ت ١٤٢٩ هـ) الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة - مصر الطبعة: سنة ٢٠٠٦ م عدد الصفحات: ٣٦٧ أعده للشاملة: رابطة النساخ، تنفيذ (مركز النخب العلمية)، وبرعاية (أوقاف عبد الله بن تركي الضحيان الخيرية).
١٠. البلاغة العربية المؤلف: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت ١٤٢٥هـ) الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م عدد الأجزاء: ٢.
١١. البيان والبديع كود المادة: LARB٤٠٩٣ المرحلة: بكالوريوس المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية الناشر: جامعة المدينة العالمية عدد الصفحات: ٥٠٩
١٢. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن المؤلف: عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (ت ٦٥٤هـ) تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف الناشر: الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي عدد الصفحات: ٦٢٣
١٣. الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور المؤلف: نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير

الكاتب (ت ٦٣٧هـ) المحقق: مصطفى جواد الناشر: مطبعة المجمع العلمي عام النشر: ١٣٧٥هـ عدد الصفحات: ٢٧٤

١٤. الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور [ابن الأثير، ضياء الدين أبو الفتح.

١٥. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت ١٣٦٢هـ) ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي الناشر: المكتبة العصرية، بيروت عدد الصفحات: ٣٤٤ .

١٦. خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني المؤلف: محمد محمد أبو موسى الناشر: مكتبة وهبة الطبعة: السابعة عدد الصفحات: ٣٧٦ .

١٧. دلائل الإعجاز بين أبي سعيد السيرافي والجرجاني المؤلف: حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق الجناجيُ رئيس قسم البلاغة بجامعة الأزهر (ت ١٤٢٩ هـ) الناشر: دار الطباعة المحمدية القاهرة - مصر الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م عدد الصفحات: ١٨٣ أعده للشاملة: رابطة النساخ، تنفيذ (مركز النخب العلمية)، وبرعاية (أوقاف عبد الله بن تركي الضحيان الخيرية).

١٨. دلائل الإعجاز في علم المعاني المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت ٤٧١هـ) المحقق: ياسين الأيوبي الناشر: المكتبة العصرية- الدار النموذجية الطبعة: الأولى عدد الاجزاء: ١ [الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع] عدد الصفحات: ٤٣٤

١٩. دلائل الإعجاز في علم المعاني المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت ٤٧١ هـ) المحقق: محمود محمد شاكر أبو

فهر الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة الطبعة: الثالثة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م عدد الصفحات: ٦٨٤

٢٠. دلائل الإعجاز في علم المعاني المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت ٤٧١هـ) المحقق: د. عبد الحميد هنداوي الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى،١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م عدد الصفحات: ٣٦٤

٢١. سحر البلاغة وسر البراعة المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان تحقيق: عبد السلام الحوفي عدد الصفحات: ٢٠٣

٢٢. شرح مائة المعاني والبيان المؤلف: أبو عبد الله، أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشيخ الحازمي http://alhazme.net [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - ١٥ درسا.

٢٣. علم البديع المؤلف: عبد العزيز عتيق (ت ١٣٩٦ هـ) الناشر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: بدون عام النشر: بدون عدد الصفحات: ٢٤٥ .

٢٤. علم البيان المؤلف: عبد العزيز عتيق (ت ١٣٩٦ هـ) الناشر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: بدون عام النشر: ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م عدد الصفحات: ٢٢٧.

٢٥. علم المعاني المؤلف: عبد العزيز عتيق (ت ١٣٩٦ هـ) الناشر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م عدد الصفحات: ٢٠٥.

٢٦. علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني» المؤلف: الدكتور محمد أحمد قاسم، الدكتور محيي الدين ديب الناشر: المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس - لبنان الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م عدد الصفحات: ٣٧٥

٢٧. علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع» المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ) الناشر: * عدد الصفحات: ٣٩٩.

٢٨. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر المؤلف: نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (ت ٦٣٧ هـ) المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد [ت ١٣٩٢ هـ] الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر - بيروت عام النشر:١٤٢٠ هـ

٢٩.المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي [ابن الأثير، ضياء الدين أبو الفتح الكتاب: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر المؤلف: ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (ت ٦٣٧ هـ) تحقيق: أحمد الحوفي - بدوي طبانة الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ـ القاهرة عدد الأجزاء: ٤

٣٠.المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد [ابن الأثير، ضياء الدين أبو الفتح.

٣١.مفتاح العلوم المؤلف: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت ٦٢٦هـ) ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م عدد الصفحات: ٦٠٢

٣٢. من قضايا البلاغة والنقد عند عبد القادر الجرجاني المؤلف: حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق الجناجيُ رئيس قسم البلاغة بجامعة الأزهر (ت

١٤٢٩ هـ) عام النشر: ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م عدد الصفحات: ٢٧١ أعده للشاملة: رابطة النساخ، تنفيذ (مركز النخب العلمية)، وبرعاية (أوقاف عبد الله بن تركي الضحيان الخيرية)

٣٣. المنهاج الواضح للبلاغة المؤلف: حامد عونى الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث الطبعة: - عدد الأجزاء: ٥.

٣٤. النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق المؤلف: حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق الجناجيُ رئيس قسم البلاغة بجامعة الأزهر (ت ١٤٢٩ هـ) الناشر: دار الطباعة المحمدية القاهرة - مصر الطبعة: الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م عدد الصفحات: ٤٣٦ ملاحظات: سقطت صـ ١٣٠، ٢٥٢، ٢٧٦ من الأصل المصور المعتمد عليه أعده للشاملة: رابطة النساخ، تنفيذ (مركز النخب العلمية)، وبرعاية (أوقاف عبد الله بن تركي الضحيان الخيرية.

الفهـــــرس

المقدمة ٣

علمُ البلاغةِ ٧

تَمهِيدٌ: ٧

مدخل عام الى علم البلاغة ٩

* البلاغةُ في اللغة: ٩

* بلاغةُ الكلامِ ٩

* أساسُ علم البلاغة: ١٠

* نشأة علمِ البلاغة ١٠

* الغايةُ منَ البلاغة ١٠

* عناصرُ البلاغةِ ١١

* الهدفُ من دراسة البلاغة ١١

* أقسامُ علمِ البلاغةِ ١١

* علم المعاني ١٢

* علم البيان ١٢

* علم البديع ١٣

مكانة علم البلاغة ١٣
تعريف البلاغة..... ١٥
البلاغة لغة: بلوغ المتكلم هدفه ومراده..... ١٥
معنى الفَصاحةِ لُغةً واصطِلاحًا..... ١٥
المقصود بتنافر الحروف في اللغة العربية من حيث الفصاحة والبلاغة؟ ١٥
ثمار وفوائد علم البلاغة ١٦
تعريف البلاغة في اللغة والاصطلاح. ١٧
أولاً: البلاغة لغة: ١٧
ثانياً: البلاغة اصطلاحاً:..... ١٧
الفرق بين البلاغة والفصاحة؟ ١٨
فوائد الفصاحة ١٨
الوسائِلُ المعينةُ على اكتِسابِ الفَصاحةِ ٢١
الفَصاحةُ عِندَ الأنبياءِ والمُرسَلين ٢٢
- فصاحةُ إسماعيلَ عليه السَّلامُ:..... ٢٢
- فصاحةُ شُعَيبٍ عليه السَّلامُ: ٢٢
نماذِجُ من الفَصاحةِ عِندَ النَّبيِّ ﷺ ٢٤
من فصيحِ كَلامِه الموجَزِ المتعَلِّقِ بالحِكَمِ والآدابِ ٢٤
من فصيحِ دُعائِه ﷺ..... ٢٥

من فَصيحِ ما قاله ﷺ تشريعًا ٢٥
من فَصيحِ جَوابِه ﷺ ٢٥
أمثلة على فصاحة العرب ٢٦
قُسُّ بنُ ساعِدةَ: ٢٦
فصاحة أبي بكر الصديق رضي الله عنه : ٢٧
فصاحةُ عُمَرَ بنِ الخطَّابِ رَضِيَ اللهُ عنه: ٢٧
فصاحةُ عائشةَ رَضِيَ اللهُ عنها: ٢٨
موانِعُ الفَصاحةِ ٢٩
حكم الفصاحة ٣٠
الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ أنموذجاً: ٣٠
القرآن الكريم المعجزة الخالدة الباقية: ٣٢
أساس الفصاحة والبلاغة والاعجاز ٣٤
كيفَ تَكونُ فَصيحَاً طليقَ اللسانِ؟ ٣٥
الكلمة الفصيحة ٣٦
من شروط الفصاحة في الكلام : ٣٦
المتكلم البليغ ٣٩
الباب الأول علم البديع ٤٠
أنواع المحسنات اللفظية ٤١
أقسام الجناس ٤٢

الاقتباس ٤٤
تعريف الاقتباس ٤٤
السجع ٤٦
ما الحكمة من اتفاق أواخر الآيات في القرآن؟ ٤٧
المُحسنات المعنوية ٤٩
الطباق والمُقابلة ٤٩
المقابلة ٤٩
الفرق بين المقابلة والطباق: ٥٠
المشاكلة ٥٠
الجمع ٥١
التفريقُ ٥٢
التجريد ٥٣
التلميحُ ٥٨
ثالثاً: الهدي النبوي في النصيحة بين التصريح والتلميح. ٦٥
مراعاة النظير ٦٨
حُسن التعليل ٦٨
اللف والنشر ٦٩
أسلوب الحكيم ٧١
التعريض في الكلام ٧٢
براعة الإستهلال: ٧٥

براعة استهلال أم سلمة رضي الله عنها ٧٧
أسلوب الالتفات ٧٩
أسلوب الالتفات في حديث الرسول ﷺ ٨١
محاسن وفوائد أسلوب الالتفات ٨٣
حسن التخلص ٨٥
نماذج من حسن التخلص: ٨٦
الختام ٨٩
خلاصة القول في علم البديع ٩١
المُبَالغة ٩٣
أنواع المبالغة ٩٥
التذييل ٩٧
فوائد التذييل؟ ١٠٣
الاحتراس ١٠٤
الموازنة ١٠٦
أسلوب المدح بما يشبه الذم ١٠٧
الباب الثاني علم المعاني ١١٠
موضوع علم المعاني: ١١٠

أهمية علم المعاني: ١١٠
نشأة علم المعاني: ١١١
أبواب علم المعاني ١١٢
فوائد علم المعاني ١١٤
الإسناد الخبري ١١٤
الجملة وأجزاءها ١١٧
أحوال المسند: ١٢٠
المسند اليه من حيث التقديم والتأخير ١٢١
الإضْمارُ في مَقامِ الإظْهار ١٢٢
الإظْهارُ في مَقامِ الإضْمارِ ١٢٣
التعريف بالمسند إليه ١٢٥
متعلقات الفعل ١٢٩
القصر ١٣٢
طرق القصر ١٣٣
أمور ترتبط بالقصر ١٣٣
أقسام القصر ١٣٥
طرق القصر ١٣٦
خلاصة القصر في علم البلاغة ١٣٧
الخبر والإنشاء ١٣٩

الوَصل والفَصل في علم المعاني البلاغية ١٤٥
فوائد معرفة الوصل والفصل ١٤٧
المساواة ١٤٩
فوائد المساوة ١٥٠
الإيجاز ١٥٢
فوائد الايجاز ١٥٤
الإطناب والاسهاب ١٥٦
الإسهاب والإطناب ١٥٨
فوائد الإسهاب والإطناب ١٥٨
أنواع الإطناب ١٦٠
استراحة في علم الإطناب ١٦٠
الإطناب: ١٦٠
الفصل الثالث: علم البيان. ١٦٤
أركان علم البيان: ١٦٤
أركان التشبيه ١٦٥
المجاز ١٦٦
الكناية ١٦٧
شَرحُ التَّعريفِ ١٦٧

أغْراضُ الكِنايةِ ١٦٧
الفرق بين الكناية والمجاز..... ١٦٩
أقسام الكناية:..... ١٦٩
أمثلة على الكناية في القرآن الكريم:..... ١٧٠
استراحة في باب الكناية..... ١٧٢
من فوائد الكناية: ١٧٢
بلاغة المرأة العربية..... ١٧٤
الكناية:..... ١٧٤
أهمية علم البيان..... ١٧٧
فوائد وثمار علم البيان..... ١٧٨
أغراض علم البيان..... ١٨٠
أقْسامُ التَّشْبيه..... ١٨٢
التَّشْبيهُ البَليغُ ١٨٣
التَّشْبيهُ المُجْمَلُ ١٨٤
التَّشْبيهُ المُفصَّلُ ١٨٥
التَّشْبيهُ التَّمْثيليُّ..... ١٨٦

التشبيهُ الضمنيّ ١٩٠
المجاز: ١٩٥
المجاز العقلي ١٩٦
المجاز اللغوي ١٩٧
المجاز المفرد المرسل ١٩٧
المجاز المركّب المرسل ١٩٨
الاستعارة ١٩٩
الاستعارة التصريحية والمكنية ٢٠٠
أمثلة توضيحية: الاستعارة المكنية من القرآن الكريم والسنة ٢٠٤
أمثلة الاستعارة المكنية من السنة النبوية ٢٠٤
أمثلة الاستعارة المكنية من الشعر العربي ٢٠٥
أمثلة عامة على الاستعارة المكنية ٢٠٦
أهم فوائد الاستعارة: ٢٠٦
الفرق بين الاستعارة المكنية و التصريحية ٢٠٧
أمثلة توضيحية من القرآن الكريم على الاستعارة التصريحية ٢٠٨
فوائد المجاز ٢٠٩

فائدة: ٢١٠
اختلاف أهل العلم في مسألة المجاز ٢١٠
أنواع المجاز ٢١٠
المجاز المرسل ٢١٨
المجاز العقلي ٢٢٠
الكناية في علم البلاغة ٢٢١
نصيحة لمحبي علم البلاغة ٢٣٨
الخاتمة ٢٤٠
اهم المراجع البلاغية ٢٤٣
الفهـــــرس ٢٤٩